صبح الشام

رواية عن الأزمة السوريّة

مذكّرات الدكتور حسين أمير عبداللهيان



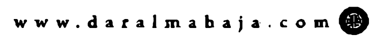
دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م

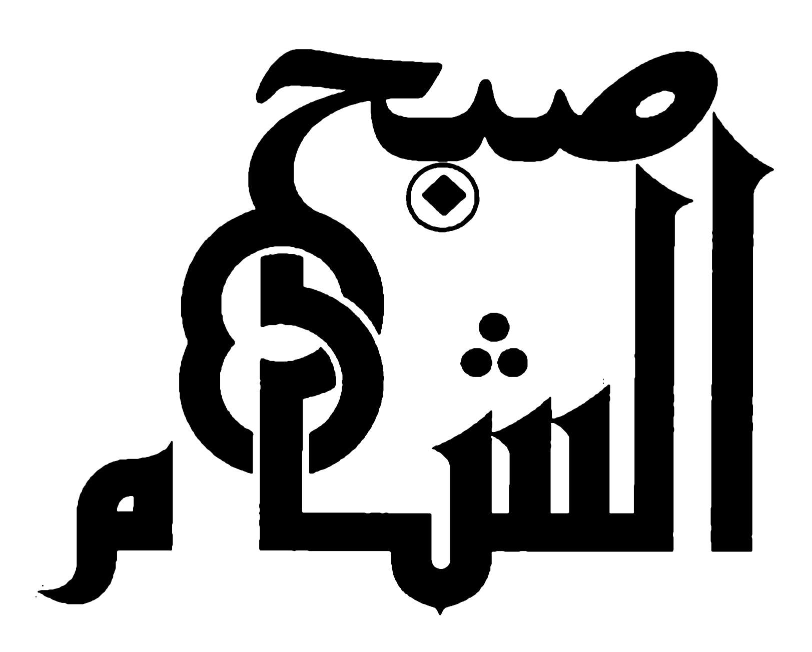






ISBN :978-614-480-700-2





رواية عن الأزمة السوريّة

مذكّرات
الدكتور حسين أمير عبد اللهيان

تدوين:
محمد محسن مصحفي





مقدّمة

بدأت علاقات طهران ـ دمشق الدبلوماسيّة في العام 1325 الهجريّ الشمسيّ (1946 ميلاديّ)، أي عام استقلال سوريا. ولم تشهد هذه العلاقات يومًا، خلال تاريخها، أثرًا للعداوة أو التوتّر والاضطرابات، وإن اتّسمت إبّان حكم البهلويّين بالبرودة بسبب طبيعة النظام الحاكم في سوريا والنظام الملكيّ في إيران. وشكّلت إقامة إيران علاقات دبلوماسيّة مع العدوّ الصهيونيّ جوهر هذا الخلاف في حين كان الكيان الغاصب بالنسبة إلى الحكومة السوريّة العدوّ الأساس.

عندما شنّ صدّام وحزب البعث الحرب المفروضة[1] على الجمهوريّة الإسلاميّة، أعلنت سوريا وقوفها بجانب إيران. وقد عزّز العلاقات الثنائيّة بين البلدين، موقفُ حافظ الأسد، ومعه الحكومة السوريّة المدافع عن الجمهوريّة الإسلاميّة، وانتهى إلى تحالف استراتيجيّ بين الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران والجمهوريّة العربيّة السوريّة.

---

(1) «الحرب المفروضة» على الجمهوريّة الإسلاميّة هو المصطلح الرائج في الأدبيّات السياسيّة.

بعد حرب الأيّام الستّة بين إسرائيل والعرب، واحتلال تل أبيب لهضبة الجولان عام (1345هـ.ش) (1967م)، الّتي لا يزال الرأي العامّ السوريّ يطالب بتحريرها حتّى يومنا هذا، واستقبال سوريا للمهجّرين الفلسطينيّين وكذلك استضافتها فصائل المقاومة الفلسطينيّة على أراضيها إضافة إلى دعم نظامها السياسيّ للمقاومة اللبنانيّة كما الفلسطينيّة، انضمّت سوريا إلى خطّ المقاومة.

وقد اتّسمت العلاقات بين طهران ودمشق بأهميّة قصوى خلال العقود الأربعة الماضيّة. فمنذ العام 1390 الهجريّ الشمسيّ (2011 ميلادي) مع بدء تدخّل أمريكا وحلفائها العلنيّ في المنطقة وانضمام بعض بلدان المنطقة والمنظمات الإرهابيّة للمشروع الأميركيّ، ممّا أدّى إلى اندلاع الأزمة السياسيّة والحرب الإرهابيّة، مرّت هذه العلاقات الاستراتيجيّة بمراحل عديدة لتصبح أكثر متانة وقد أسفرت عن نجاحات باهرة نظرًا للدور البارز الذي أدّاه كلّ من الشعب والقيادة والقوات المسلّحة السوريّة ووقوف الجمهوريّة الإسلاميّة وحلفائها بجانب سوريا سياسيًّا وفي الميدان.

بحسب إحصائيّات الأمم المتّحدة، تسبّبت الحرب الإرهابيّة المفروضة على سوريا بمقتل ما لا يقلّ عن 400 ألف، وجرح أكثر من 500 ألف، وتهجير سبعة ملايين شخص داخل سوريا وخارجها إضافة إلى تهجير 270 ألف نازح فلسطينيّ مقيم في سوريا، كما دمّرت هذه الحرب الإرهابيّة الكونيّة غير المتكافئة 70 في المئة من قطاع الصناعة السوريّ وهدّمت أكثر من مليوني وحدة سكنيّة، جزئيًا أو كليًّا. يقدّر الضرر اللاحق بقطاع الصناعة السوريّ، بمئة وثلاثة وأربعين مليار دولار والضرر اللاحق بقطاع النفط والغاز

بثلاثين مليار دولار. في حصيلة أوليّة، ويقدّر المبلغ اللازم لإعادة إعمار ما هدّمته الحرب بأربع مئة مليار دولار.

من شأن كلّ حدث من حوادث سوريا وهذه الأرقم الآنفة الذكر، أن تسوق أيّ بلد أو نظام سياسيّ إلى الدمار الشامل والتفكّك، إلّا أنّ عوامل مختلفة حالت دون انتصار التآلف الصهيوأمريكي، أو التحالف الغربيّ ـ العربيّ ـ العبريّ في مقابل سورية، وتجدر الإشارة هنا إلى صمود بشار الأسد بصفته الرئيس المُنتخب للجمهوريّة السوريّة، وروح واستقامة الشعب والجيش والقوات المسلّحة السوريّة كافّة، ودعم الجمهوريّة الإسلاميّة الاستشاريّ، وتضحيات المقاومين والمدافعين عن الحرم من مختلف الجنسيّات والدّماء الطاهرة التي أريقت دفاعًا عن الحرم الزينبيّ، إضافة إلى ما بذله اللواء الشهيد قاسم سليمانيّ، قائد فيلق القدس من مسعى رائع، وكذلك دور حزب الله المميّز، فضلًا عن تدخّل القوات الجويّة الروسيّة للمساعدة في مكافحة الإرهاب التكفيريّ.

الكتاب الّذي بين أيديكم يروي مذكّراتي عن «الحرب الإرهابيّة» على سوريا. ويعود الفضل في تدوين هذه المذكّرات إلى البطل الأمميّ في مكافحة الإرهاب، اللواء العزيز الحاج قاسم سليمانيّ. طلب منّي اللواء سليمانيّ في اجتماع لنا قبل عام من ارتقائه إلى الملكوت شهيدًا، أن أدوّن وأنشر قسمًا من ذكريّاتي مشدّدًا على ذلك من أجل إيصال رسالة البسالة والشهادة والشجاعة، وعلى المقلب الآخر لتبيين الجرائم والخيانة الّتي حصلت في سوريا ومنطقة غرب آسيا. يستطيع القارئ أن يرى بوضوح في كلّ صفحة

من صفحات هذا الكتاب مشاهد ناطقة تشهد بشجاعة قائد الثورة المفدّى آية الله العظمى السيّد علي الخامنئي (حفظه الله) وحكمته في الحفاظ على أمن الجمهوريّة الإسلاميّة بحدّه الأقصى، وتحقيق السلام والأمن في المنطقة والعالم، وحفظ الأمّة الإسلاميّة العظيمة وسوقها نحو حضارة إسلاميّة حديثة. كما يبدو جليًّا في طيّاته البصمات العظيمة والدامغة للبطل الأمميّ في مكافحة الإرهاب، اللواء سليمانيّ العزيز، لمن ينظر ويُتابع بعين القلب.

أردتُ في البداية أن ألقي بعبء هذا الحمل على كاهل مكتب المطالعات السياسيّة والدوليّة في وزارة الخارجيّة، أي البيت الّذي أنتمي إليه. إلّا أنّ أخي العزيز الدكتور محسن مؤمني شريف، والذي كان يشغل حينها منصب رئاسة الدائرة الفنيّة في منظّمة الإعلام الإسلاميّ، نصح مشدِّدًا على أن تأخذ الدائرة الفنيّة على عاتقها تدوين المذكّرات في قالب سرديّ، ونشرها لكونها تستهدف فئات واسعة من القرّاء، بدل أن تنشره دار النشر التابعة لوزارة الخارجيّة لقرّائها المحدودين وهم فئة خاصّة، وذلك لكي يعلم جيل الشباب مجريات الأحداث في سوريا وجزء من منطقتنا، ويتعرّف إلى بطولات اللواء سليمانيّ وشهداء الدفاع عن الحرم الزينبيّ، وهذا ما كان. لذا، أودّ أن أتوجّه بالشكر إليه لما بذله من عناية خاصّة، وكذلك إلى كلّ من عمل على هذا الكتاب، وأخصّ بالذكر الدكتور محمّد مهدي شريعتمدار (الخبير المخضرم في النصوص والمتون)، السيّد حميد قزويني (مسؤول البحث والتدوين في قسم التاريخ الشفهيّ في [حوزه هنرى] الحوزة الفنيّة) والدكتور محمد محسن مصحفي الّذي تفضّل بجمع المذكّرات وتدوينها في كتاب.

أخيرًا وليس آخرًا، لمديري الدائرة الفنّيّة وخبرائها جزيل الشكر ولا سيّما حجّة الإسلام والمسلمين سعيد فخر زاده، لمواكبته المبدعة والدقيقة المستمرّة على مدى ما يقارب العام، وحضوره الدائم من أجل إنتاج صورة ذهنيّة ونصّيّة وتوثيق أحداث الكتاب. كما أشكر وأثمّن دعم السيّد محمّد مهدي دادمان رئيس الحوزة الفنيّة ومساعدته في سبيل نشر كتاب «صبح الشام».

تعظيمًا لذكرى شهداء المقاومة والمدافعين عن الحرم خصوصًا اللواء العزيز سليمانيّ، أُهدي هذه الرواية المؤثّرة والمعبّرة عن الأحداث، والتي هي نتيجة جهود الحاج قاسم سليمانيّ؛ لواء الصلح والأمان، إلى جميع عوائل شهداء المقاومة العظام والمدافعين عن الحرم.

حسين أمير عبد اللهيان

(شهر مهر 1399هـ.ش) (أكتوبر 2020)

مقدّمة المؤلّف

في الأيّام الأخيرة للحرب السوريّة الداخليّة، وعندما اقترح الصديق العزيز السيّد سعيد فخر زاده، كتابة وتدوين مذكّرات الدكتور حسين أمير عبد اللهيان حول الأحداث السوريّة، فلم أتردّد في القبول لفضولي الشديد قبل أيّ سبب آخر.

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه المذكّرات غنيّة بالمعلومات «من الدرجة الأولى» التي تتناول أزمة كبيرة ومعقّدة استحوذت على اهتمام الإعلام سنوات عديدة، وقد لفتت الأنظار في الداخل أيضًا أكثر من أيّ موضوع خارجيّ آخر. في الأيّام التي بدأنا الحديث فيها، كانت الأزمة الأساسيّة قد انتهت وأعادت الحكومة السوريّة بسط سيطرتها على قسم كبير من أراضي البلد. لعلّ القضيّة الهامّة للشخص الإيرانيّ هو الدور الموفّق الذي لعبته إيران في هذه الحرب السياسيّة والعسكريّة الشاملة. الواضح أنّ المذكّرات تحتوي على مطالب جديدة اختبرها الدبلوماسيّون الإيرانيّون خلال الأزمة، وهي جديرة بالقراءة.

القضيّة الهامّة الأخرى أنّه وفي النزاعات التي تكون القوى الدوليّة العظمى طرفًا فيها، تؤدّي الجمهوريّة الإسلاميّة الدور الأساس باعتبارها قوّة محليّة، في مصافّ تلك القوى العظمى في

المجالات السياسيّة والعسكريّة واللوجستيّة. جميع هذه الأمور حوّلت مذكّرات الدبلوماسيّ الرفيع السيّد أمير عبد اللهيان، إلى الرواية الإيرانيّة الأولى التي تتناول الأزمة الدوليّة. وسيكون لهذه الرواية موقع متقدّم بين روايات الدبلوماسيّين ومسؤولي الدول الأخرى التي تتحدّث عن أحداث سوريا نظرًا للدور المحوري الذي تلعبه إيران.

تبدأ رواية السيّد أمير عبد اللهيان بسرد خلفيّات بداية الحرب في سوريا، والمراحل المختلفة التي شهدتها الأزمة، واللقاءات المتعدّدة لقادة الدول الأخرى ومسؤوليها هذا من جهة، إضافة إلى تقاريره عن الظروف الداخليّة لسوريا وللحكومة السوريّة من جهة أخرى، ما يقدّم صورة فريدة للأحداث المرتبطة بالأزمة وما يدور حولها والتي من دون شكّ، ستكون جديرة بالاهتمام والمطالعة مخاطبين الإيرانيّين والمحلّلين غير الإيرانيّين.

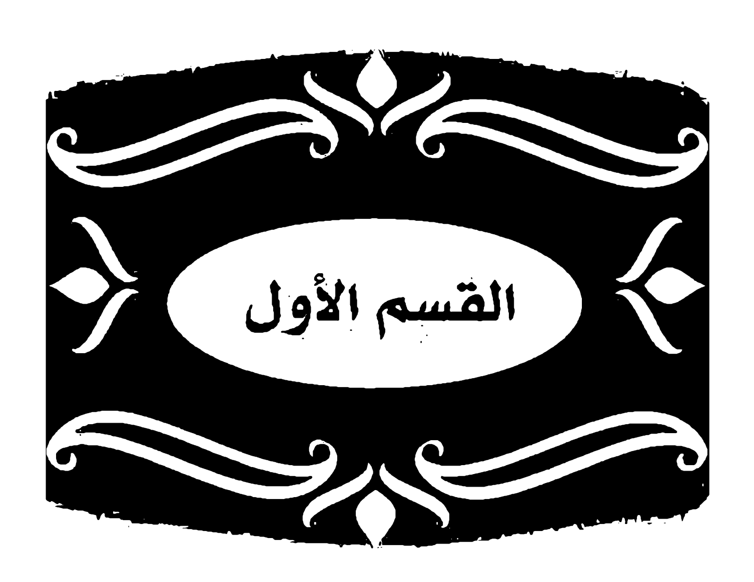
بدأت فكرة جمع هذه المذكّرات بواسطة السيّد محسن مؤمني شريف، رئيس الدائرة الفنيّة آنذاك وذلك أوائل العام (1397هـ.ش) (البيع عام 2018م)، وبعد اختيار السيّد سعيد فخر زاده مديرًا تنفيذيًّا للمخطّط، بدأت لقاءات السيّد أمير عبد اللهيان والسيّد عليّ أصغر محمدي وذلك منذ شهر أرديبهشت [نيسان] من السنة نفسها. ثمّ بدأ السيّد فخر زاده الجولة الثانية من لقاءاته الراوي بعد تدوين المسودّة الأولى في صيف وخريف (1398هـ.ش) (2019م). وتولّى السيّد حميد قزويني، الخبير بالنصّ، مراقبته من الناحية التاريخيّة والسيّد محمد مهدي شريعتمدار الجانب السياسيّ. تمّ تدوين

الكتاب خلال العامين (1398 ـ 1399هـ.ش) (2019 ـ 2020) على أمل أن يكون محلّ رضا القراء.

في النهاية أتوجّه بجزيل شكري لجميع الأصدقاء الذين ساعدوا في إيجاد هذا الأثر.

محمد محسن مصحفي

(مهر 1399هـ.ش) (أكتوبر 2020م)


القسم الأول

اختياري معاونًا لوزير الخارجيّة

عُدتُ في شهر فروردين من عام (1390هـ.ش) (آوريل 2011م) إلى طهران، بعد سنينَ ثلاثٍ من العمل سفيرًا للجمهوريّة الإسلاميّة في المنامة عاصمة البحرين، عيّنت بعدها مديرًا عامًا لشؤون الخليج الفارسيّ والشرق الأوسط في وزارة الخارجيّة. بعد أشهر قليلة حصلت خلافات بين رئيس الجمهوريّة آنذاك السيّد أحمدي نجاد ووزير خارجيّته السيّد منوتشهر متّكي. شيئًا فشيئًا، اتّسعت رقعة الخلاف بينهما، ونتيجةً لذلك أقال الرئيس وزير الخارجيّة في توقيت غير مناسب، بينما كان الأخير خارج البلاد يُجري مفاوضات رسميّة مع السلطات السنغاليّة العليا، وتسلّم الدكتور علي أكبر صالحي قيادة السلك الدبلوماسيّ[1].

في الأسابيع الأولى لتسلّم الدكتور صالحي وزارة الخارجيّة، عمّت تونس ومصر أحداث ووقائع غير مسبوقة ـ عُرفت فيما بعد

(1) عندما حصل هذا الأمر أدّى إلى بروز سوء تفاهم عند المضيف السنغالي أيضًا. وبغضّ النظر عن أن الدكتور أحمدي نجاد والمحيطين به قدموا توضيحات للجانب السنغالي تبيّن أنّ هذا الأمر قد حصل مسبقًا وجرى الإعلان عنه ذاك اليوم، إلّا أن المضيف السنغالي اعتبره تصرفًا يحمل إهانة له (الراوي).

بالصحوة الإسلاميّة ـ سُرعان ما تصدّرت عناوين أخبار وسائل الإعلام العالميّة كافّة. عكفت وزارة الخارجيّة على دراسة معمّقة لهذا التحوّل السياسيّ والاجتماعي العظيم الّذي ألقى بثقل تأثيره على المنطقة، بل ربّما على العالم أجمع.

وهكذا وجد الدكتور صالحي نفسه أمام منطقة ترزح كلّها تحت وطأة الأزمات. يُمكنني القول إنّه كان يقضي سبعين في المئة من وقته حينذاك منكبًّا على دراسة تحوّلات المنطقة وتحليلها، أو في رحلات خارجيّة لإجراء محادثات مع السلطات هناك والمشاركة في الاجتماعات. وبما أنّ مسرح هذه الأحداث والتحوّلات كلّها تراوح ما بين منطقة الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، ومنطقة الخليج الفارسي، تسلّمت الإدارة الّتي ترأستها مسؤوليّة هذا الملفّ. بعد أشهر قليلة تسلّمتُ منصب معاون وزير الخارجيّة في شؤون البلاد العربيّة والأفريقيّة، بناءً على قرار الدكتور صالحي وبطلب منه.

أمضيتُ خمس سنوات ونصف سنة معاونًا لوزير الخارجيّة، وكان ذلك في أوج الأزمات الّتي عصفت بهذا القُطر المضطرب من العالم؛ منها سنتان ونصف في عهد الوزير الدكتور صالحي، وثلاثة أعوام في عهد الدكتور محمّد جواد ظريف، سقط خلالها حكم حسني مبارك[1] في مصر واستُبدل به محمّد مُرسي[2]. ثمّ ما لبث أن أُطيح بمُرسي بعد ما يقارب عام واحد، وجاء عبد الفتاح

(1) محمد حسني السيّد مبارك (1928 ـ 2020م)، رئيس جمهوريّة مصر الرابع.

(2) محمد محمد مرسي عيسى العياط (1951 ـ 2019م)، رئيس جمهوريّة مصر الخامس.

السيسي مكانه. كما تنحّى زين العابدين بن عليّ عن الحُكم في تونس ولاقى علي عبد الله صالح المصير نفسه في اليمن. واندلعت ثورة في البحرين التي أوصلت نظام آل خليفة الحاكم قاب قوسين أو أدنى من الانهيار. ولم تسلم أجزاء واسعة من شمال أفريقيا والشرق الأوسط من أحداث مماثلة، حيث اجتاحت سيول الاحتجاجات والمطالب والثورات الشعبيّة الجارفة جميع البلدان العربيّة بالتتالي. ربّما بقينا نرصد هذه التغيّرات والتحوّلات تحديدًا طوال عام كامل تقريبًا. وبصفتي معاون وزير الخارجيّة، فقد أثقل كاهلي وزر مسؤوليّة ثقيلة جدًّا، نظرًا لتشعبات كلّ ملف من تلك الملفات والكمّ الهائل من التفاصيل المرتبطة به[1]. فمسرح هذه التحوّلات والتغييرات هو منطقتنا غرب آسيا وشمال أفريقيا ذواتا الطابع الإسلاميّ ومن المؤكّد أنّ نطاق تأثيرها سيشمل البلدان المجاورة لنا، والعالم الإسلاميّ بشكل عامّ، كما أنّ لاعبين إقليميّين مؤثّرين، كأمريكا والكيان الصهيونيّ يتحيّنون الفرص لركوب الموجة واستغلال هذه الحركات. لذا لم نستطع نحن في الجمهوريّة الإسلاميّة أن نقف موقف المتفرّج إزاء تلك الوقائع المفصليّة.

(1) انطلاقًا من كون الدكتور صالحي ولد في العراق، وعاش هناك حتّى سنّ الثالثة عشرة كما تابع دراسته في بيروت وعاش سنوات عديدة في الدول العربيّة، فهو يمتلك معرفة جيّدة بالعالم العربيّ. يضاف إلى ذلك رغبته الشديدة وما يمتلك من دافعيّة في هذا الشأن. فكان جادًّا وداعمًا جيّدًا لنا، حتّى إنّه كان يتابع الأخبار العربيّة والإنجليزيّة حتّى الواحدة فجرًا فكنّا نتحاور ساعات طويلة حول تلك التحوّلات والإجراءات التي يجب اتّخاذها (الراوي).

بقيت الأوضاع على هذا المنوال حتّى انتُخب السيّد حسن روحاني رئيسًا للجمهوريّة، فشكّل حكومته وعيّن السيّد ظريف وزيرًا للخارجيّة. أمّا بالنسبة إليّ، فاستقرّ رأي فريق السياسة الخارجيّة في الحكومة الجديدة على خيار من اثنين: إمّا العمل سفيرًا في إحدى سفارات الجمهوريّة الإسلاميّة وإمّا استكمال مهمّتي في ذلك القسم من وزارة الخارجيّة معاونًا لوزير الخارجيّة في أمور البلدان العربيّة والأفريقيّة. وكانت المنطقة لا تزال في حالة من الغليان وهي تشهد تحوّلات جدّيّة، بينما انشغل الدكتور ظريف تمامًا بالمفاوضات النوويّة المعقّدة فانصبّ جلّ اهتمامه على منطقة أوروبا والغرب. وهكذا عملتُ ثلاث سنوات مع المديرين والخبراء المخضرمين الّذين سبق وعيّنتهم في الدائرة، وطبعًا كنتُ أنسّق حيث يجب مع الأقسام المرتبطة الأخرى في النظام وفي وزارة الخارجيّة.

ربّما من أكثر أمور السياسة الخارجيّة الإيرانيّة توترًا وقد حصل خلال عملي معاونًا لوزير الخارجيّة، قبل أشهر قليلة من انتقالي من منصبي، هو موضوع العلاقة مع المملكة العربيّة السعوديّة عقب إعدام الشيخ النمر، العالم الشيعيّ الصادح بطلب العدالة، وما أعقب ذلك من ردود فعل واعتداءات بعض المحتجّين على القنصليّة السعوديّة في مشهد والسفارة السعوديّة في طهران. شكّلت هذه الحوادث الذريعة للسعوديّين المنزعجين جدًّا من نتائج الاتّفاق النوويّ، لقطع العلاقات السياسيّة مع طهران. كنتُ قد سافرت بضع مرّات إلى المملكة العربيّة السعوديّة قبل أن تقطع الرياض علاقاتها الدبلوماسيّة مع طهران، وأجريتُ الكثير من المحادثات فيما يخصّ العلاقات الثنائيّة، وتحوّلات المنطقة مع وزيري خارجيّة المملكة،

سعود الفيصل وعادل الجبير. الاحتجاج الذي شهدته العاصمة طهران أمام السفارة السعوديّة كان له عدّة أسباب؛ منها انتشار خبر يُفيد بتعرّض الشرطة السعوديّة في المطار لشابّين إيرانيّين من المعتمرين بتهديدهما بالاعتداء الجنسيّ، وشهادة أربع مئة وستّين حاجًّا من الحجاج الإيرانيّين في حادثة، حجّ التمتّع في مشعر منى عام 2015 وفي النهاية إعدام الشيخ النمر المستفزّ. لقد تعمّد الحكّام السعوديّون الجدد من مشعلي الحرب (آل سلمان) الإساءة إلى إيران في محاولة للفت نظر الأمريكان[1].

الصحوة الإسلاميّة والعالم العربيّ

مع تسلّمي الإدارة العامة لدائرة الشرق الأوسط والخليج الفارسيّ في وزارة الخارجيّة وجدتُ نفسي أمام مجموعة من الملفّات العالقة، أو بعبارة أدقّ مجموعة من الأزمات الملحّة ضمن نطاق مسؤوليتي. الموضوع الأول كان القضيّة الفلسطينيّة، الّتي لم

(1) عملت جاهدًا خلال تلك الليلة على التواصل مع اللواء ذو الفقاري، المعاون الأمنيّ ـ العسكريّ في وزارة الداخليّة، وكذلك حسين صادقي سفيرنا في الرياض آنذاك بهدف إدارة الأوضاع. وأكدت الأمر ظهر ذاك اليوم أثناء جلسة شورى معاوني وزارة الخارجيّة والتي عقدت برئاسة الدكتور ظريف، وطلبت من الشرطة الدبلوماسيّة العمل بوظائفها بعد أن وجّهت رسالة رسميّة إليها عن طريق الإدارة العامة للتشريفات الخارجيّة. للأسف خرجت الأمور من أيدي الشرطة لحظات ولحقت أضرار بمبنى السفارة السعوديّة في طهران. طبعًا لم يلحق أيّ أذى بالدبلوماسيّين السعوديّين في طهران ومشهد، إلّا أنّ الرياض تصّرفت على عجل ومن منطلق الخصومة، علمًا أننا كنا نعيش ظروفًا استشهد وجرح أثناءها 9 آلاف حاجّ من بينهم 460 حاجًا إيرانيًّا في مشعر منى، وكان سلوك طهران يبيّن مقدار صبرها، علمًا أنّ ضبط مشاعر الناس أمر صعب للغاية (الراوي).

تزل محطّ أنظار النظام بشكل عامّ، ووزارة الخارجيّة بشكل خاصّ. ويعدّ ملفّ فلسطين من أهمّ الملفّات في الوزارة على الدوام. الموضوع الثاني أو الأزمة الثانية كانت مرتبطة بالتحوّلات العراقيّة والنشاطات الإرهابيّة الّتي تُساهم في زعزعة الاستقرار. وبينما نحن منشغلون بهذين الملفّين الأساسيّين وتحدّياتهما ضمن نطاق عملنا في الشرق الأوسط، إذا بنا نتفاجأ بشرارة انطلقت في تونس وسُرعان ما تحوّلت إلى انتفاضة شعبيّة كبيرة في العام (1389 الهجري الشمسي) (2011م). لم تكن الثورة التونسيّة حدثًا بسيطًا منحصرًا بالحدود الجغرافيّة للبلد. فقد اندلعت أحداث الثورة تضامنًا مع بائع متجوّل أضرم النار في جسده احتجاجًا على الظروف الاقتصاديّة المتردّية في البلاد. انتشر الخبر عبر وسائل التواصل كالنار في الهشيم وأجّج موجة من الغضب والاحتجاجات ضدّ رئيس الجمهوريّة زين العابدين بن عليّ، وحكمه الفاسد على مدى أكثر من ثلاثة عقود، ثمّ ما لبثت عدوى هذه الهبّة الجماهيريّة الساخطة أن انتقلت إلى مصر.

قبل أن أنتقل إلى الكلام عن التحوّلات والاضطرابات في سوريا على مدى الأعوام الأخيرة، سأسعى إلى أن أقدّم باختصار صورة واضحة عن المشهد الإقليميّ والعالميّ العامّ في تلك المرحلة.

الحكومات العائليّة والملكيّة والرئاسات اللانهائيّة في بلدان كليبيا وتونس واليمن ومصر من جهة، والتوعية والتنوير الحاصل بفضل ثورتين شديدتي الأهميّة، الثورة الإسلاميّة في إيران والثورة الحاصلة في مجال التواصل وتوافر الشبكة العنكبوتيّة للجيل

الحديث، واطّلاعه عن حقائق مجريات الأمور في المنطقة من حوله وفي العالم من جهة أخرى مهّدا الطريق أمام تراكم المتطلّبات الشعبيّة والنزعة التغييريّة في هذه البلدان.

فأصبحت المتطلّبات النابعة من الإسلام، المبنيّة على حكم الشعب لدى هذه الشعوب كالنار تحت الرماد. وأُضيف إلى أبعادها تراكم المتطلبات الشعبيّة السياسيّة والاجتماعيّة في هذه البلدان، ولا سيّما لدى جيل الشباب الّذي اتّخذ انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، والدور الّذي أدّته القيادات السياسيّة والدينيّة في العراق بصفته دولة عربيّة، ملهمًا له. إذ إنّ التيّارات الإسلاميّة والقوميّة في العراق تمكّنت - على الرغم من وجود المحتلّ الأمريكيّ - من إرساء نظام سياسيّ مبنيّ على صوت الشعب وانتزاع الاستقلال بشكل متدرّجٍ وإجبار القوات العسكريّة المحتلّة على مغادرة البلاد عام 2010، وذلك بنضالها السياسيّ الدؤوب وباتّكالها على دور الشعب والمرجعيّة الدينيّة.

وقد استشعرت التيّارات الإسلاميّة والسياسيّة في بلدان شمال أفريقيا، وغرب آسيا بارقة أمل، وبدأت بطرح متطلّبات اجتماعيّة وسياسيّة، ومن جملة هذه التيّارات الّتي بثّ انتصار الثورة الإسلاميّة الأمل في عروقها وحفّزها لبذل مساعٍ جدّيّة في سبيل تغيير جذريّ، طيلة عقود جماعة الإخوان المسلمين الّتي اتّسمت معظم نشاطاتها بالسريّة التامّة لعقودٍ مضت.

هذه المطالب عمومًا والاحتجاجات الشعبيّة، ومعها بعض التحوّلات أدّت إلى اندلاع ظاهرة في منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا الرحبة، سُمّيت فيما بعد بالصحوة الإسلاميّة.

قد يعبّر بعضهم عن هذه الظاهرة بالربيع العربيّ، إلّا أنّني أعتقد أنّ حقيقة التحوّل الّذي انطلق وقُمع لاحقًا، لكنّه لم ينتهِ، هي صحوة إسلاميّة وليس ربيعًا عربيًّا! لقد حاول بعضهم إلصاق عنوان مختلق بهذا الحدث المذهل والبارز في التاريخ السياسيّ والاجتماعيّ لمنطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا، وتسميته بالربيع وفقًا لمخطّط محدّد يهدف إلى نزع الطابع الإسلاميّ عنه وإلباسه لبوس القوميّة، ولا سيّما أنّ مصر الإسلاميّة ذات التاريخ العريق كانت المسرح الأبرز لتجليّات هذا التحوّل.

لقد سمعتُ في أحد اجتماعاتي في القاهرة في عام (2012م)، من السيّد «محمد حسنين هيكل»[1] أنّنا لو تصوّرنا العالم العربيّ كشفرتيْ مقصّ تقع مصر في الزاوية حيث تلتقي الشفرتان، بحيث لو حصل أيّ تغيير طفيف في هذه الزاوية سيكون تأثيره في طرفي الشفرتين، أي في العالم العربيّ عدّة أمتار أو ـ حسب تعبيره هو ـ عدّة كيلومترات.

كان يقول: «وفق معرفتي بالعالم العربيّ، إذا تحرّكت التحوّلات في مصر نحو الإصلاحات، أو التغيير أو الثورة، فستترك تأثيرها من دون شكّ في كلّ العالم العربيّ، وإذا نجح أعداء العالم الإسلاميّ في قمع ثورة مصر وأغلقوا حدّي المقص، فسيترك الأمر تأثيره أيضًا في المنطقة». فيما يتعلّق بخصائص المجتمع المصريّ وتحوّلاته وتأثيره في الربيع العربيّ، سنذكر العديد من النقاط في الصفحات اللاحقة.

---

(1) محمد حسنين هيكل (1923م ـ 2016م) صحافي وسياسي مصريّ، شغل مدّة سبعة عشر عامًا منصب رئيس تحرير الأهرام المصريّة. وعمل مدّة وزيرًا للإعلام.

على كلّ الأحوال، الأحداث التي حصلت عام (1389هـ.ش) (2011م) قد تركت صدمة حقيقيّة في المنطقة بما في ذلك الحكومات العائليّة والملكيّة والرؤساء الذين يحكمون مدى العمر. ترافقت هذه الأحداث مع نتائج أيضًا، سقطت في تونس حكومة «بن علي» المغلقة والأمنيّة بشكل كامل. وسقط «حسني مبارك» في مصر وأُجبرت أمريكا التي كانت تدافع عنه، حتّى اللحظات الأخيرة، على قبول الواقع الجديد. لم يكن أمام السيّدة هيلاري كلينتون وزيرة خارجيّة أمريكا آنذاك وبعد أيّام على حصول التغيير في الأوضاع السياسيّة وسقوط حسني مبارك سوى الحضور في ساحة «التحرير» في القاهرة وقد حرصت على التقاط صور مع الشباب والثوار المصريّين وأرسلتها إلى العالم[1]؛ أما شباب مصر فقد أرسلوا رسائل عبر الفضاء الافتراضيّ بهذا المضمون: «إن ما تحمّلناه من الديكتاتور «حسني مبارك» و«أنور السادات»[2] والآخرين خلال هذه السنوات في مصر هو بسبب سياسات أمريكا والكيان الصهيونيّ الخاطئة».

إنّ الصور التي كانت تأتي في ذاك الوقت من مصر ـ ثمّ نشرتها الشبكات الأمريكيّة لاحقًا بشكل مدبّر للغاية ـ يظهر السيّدة كلينتون وهي تدخل ساحة التحرير في مصر، حيث كان يجتمع فيه قرابة الخمسين شخصًا فقط؛ أي في الساحة نفسها التي كان يجتمع فيها

(1) في ذاك الوقت كانت إدارة ملف التحوّلات في المنطقة في وزارة الخارجيّة على عاتقي مباشرة فعملنا مع الزملاء على تتبّع الأوضاع بدقّة (الراوي).

(2) محمد أنور السادات (1918 ـ 1981) رئيس جمهوريّة مصر الثالث.

قرابة المليون شخص قبل ليلة واحدة. وهذا أيضًا من العلامات التي توضح أنّ ما كان يحصل هو صحوة إسلاميّة وليس ربيعًا عربيًّا!

وهنا أشير إلى نقطة أخرى أيضًا. منذ البداية كنت أشاهد في المحادثات الدبلوماسيّة أنّ استخدامنا مصطلح «الصحوة الإسلاميّة» لم يرق لبعض المسؤولين العرب والأوروبيّين[1]. كنت أخاطب الجهات الأجنبيّة والدوليّة في المحادثات بأنّ من العلائم البارزة في ساحة التحرير في القاهرة أنّ النّاس الذين كانوا يجتمعون هناك، كانوا يصطفون في صفوف الجماعة أثناء الصلاة. وكانوا يردّدون شعاراتهم: «الإسلام هو الحلّ الوحيد» أي إنّهم يعتبرون الإسلام هو الطريق لحلِّ مشكلات بلدهم. وكنت أقول لهم إنّ الشباب والشابّات المصريّين لم يردّدوا في الشوارع شعارات اشتراكيّة، لم يردّدوا أي شعار غير إسلاميّ، بل كانوا يريدون مطالبهم كافّة أن تتحقّق في إطار الإسلام[2].

تميّزت التحرّكات الشعبيّة في شمال أفريقيا وغرب آسيا بأنّها لم تكن تُدار من قبل قائد واحد. لا يمكن لأيّ شخص ادّعاء قيادة هذه الحركات. سقط «حسني مبارك»؛ ولكن من هو الشخص الذي كان يقود شعب مصر؟ لا يمكن ذكر اسم أيّ شخص. ارتبطت هذه

---

(1) إنّ عنوان «الصحوة الإسلاميّة هو عنوان دقيق جدًّا وموزون وذو معنى، استخدمه الإمام القائد في تحليل تحوّلات المنطقة» (الراوي).

(2) سأتحدث في مكان آخر بالتفصيل لماذا كانت هذه الأحداث هي «صحوة إسلاميّة» وهل تم القضاء على «الصحوة الإسلاميّة» أم هي حيّة نشطة تتابع حياتها بشكل آخر. وسأوضح سبب عدم تسميتها بالربيع العربيّ، وأنّ هذا المصطلح مختلق وما هي الاستخدامات التي أرادها من أوجده (الراوي).

الحركات بعدد كبير من الأشخاص من جملتهم «الإخوان المسلمون»، والأحزاب الإسلاميّة على اختلافها بالإضافة إلى الأحزاب الوطنيّة. وفي تونس كان هناك تأثير لحزب النهضة والسيّد راشد الغنوشي[1]، إلّا أنّ راشد الغنوشي لم يُشاهَد في أَوْجِ التحوّلات وسط الساحات في تونس. أعتقد، في بداية التحركات الشعبيّة، أنّ أيًّا من القادة لم يطمئنّ إلى أنّها ستأتي بنتيجة. لذلك لم يكونوا يرغبون في ارتكاب أخطاء تمنعهم من متابعة نشاطهم السياسيّ في حدّه الأدنى كما كانت الحال في السابق، في حال بقاء الحكومات الديكتاتوريّة.

وكذلك كان الوضع في اليمن. كان الحوثيّون[2] نشطين في عام (2011م) وكانت مجريات الأحداث تُظهر وجود دور بارز للحوثيين وأنصار الله في تحوّلات اليمن السياسيّة والأمنيّة ساهم [الدور البارز] في الوحدة الوطنيّة للبلد.

في الحقيقة فإنّ الخاصيّة التي تشترك فيها الثورات كافّة هي أنّ هناك مجموعات من الشباب تدعو الناس للتجمع في إحدى الساحات عبر الفيس بوك والفضاء الافتراضيّ؛ فكان في مصر ميدان «التحرير» وفي اليمن، ميدان «التغيير»، وفي البحرين ميدان «اللؤلؤة» وهكذا في كلّ عاصمة ساحة كبيرة.

---

(1) ولد راشد الغنوشي عام 1941م، وهو من معارضي النظام السياسيّ السابق وقد اعتقل مرّات عدّة. وهو مؤسّس وقائد حزب النهضة في تونس. درس راشد الغنوشي الفلسفة والعلوم الإسلاميّة ودوّن العديد من المؤلّفات من جملتها حركة الإمام الخمينيّ وتجديد حياة الإسلام.

(2) الحوثيّون أو أنصار الله من الشيعة الزيديّة ومن أهمّ الحركات في اليمن.

إن فهم ما جرى في سوريا يتطلّب الدقّة في هذه النقاط، وسنبيّن في ما يأتي الأسباب التي جعلت الأحداث في سوريا تتخذ شكلًا آخر، لماذا عندما خرج المصريّون إلى الشوارع، وانطلقت الثورة لم تطلق رصاصة واحدة من قبل الناس؟ ولماذا لم تظهر قطعان داعش والقاعدة وجبهة النصرة في ساحة التحرير؟ ولماذا لم يحصل هذا الأمر في تونس، بينما عندما نصل إلى سوريا نلاحظ أنّ حركة الشعب الاعتراضيّة قد اتّخذت طريقًا منحرفًا وتحوّلت إلى حرب طويلة وإرهابيّة؟

المسألة الهامّة الأخرى أنّه وبالتزامن مع دعوة الشباب عن طريق الفيس بوك، فإنّ الأحزاب والحركات الإسلاميّة المتجذّرة حتّى الأحزاب الوطنيّة ذات التاريخ الطويل في النضال، قد لعبت دورًا على قدر استطاعتها في توجيه حركة النّاس والتحكّم بالمضمون. وكما أشرنا ففي التجمّعات كافّة كان سلوك الناس يطابق الشعائر الإسلاميّة لا غيرها[1].

(1) في وقت من الأوقات قرّر السيّد حسن نصر الله والأحزاب المؤيّدة له التجمّع في بيروت لأسباب معيّنة. وقد نصبوا في ذاك المكان خيمًا مع أنّ الجو كان حارًّا. في ذاك المكان كان حزب الله والمسلمون يؤدّون صلاة الجماعة ودعاء كميل وعلى بُعد أمتار من ذلك كانت الأحزاب المسيحيّة المؤيّدة للسيّد حسن نصر الله والمقاومة تتجمّع. كان شعار الجميع واحدًا؛ ولكن التجمّع المسيحيّ كان يختلف بإطلاقه الأغاني والرقصات، المقصود أنه لم يُشاهد في التجمّعات التي حصلت عام 1389 (2011م) في مختلف المدن، أنّ الناس تبادر إلى الغناء والرقص. كان الأمر المهمّ لديهم حفظ الشعائر الإسلاميّة ومراعاتها (الراوي).

وفي النهاية فإنّ الأحداث التي حصلت في المنطقة انتهت إلى تحوّلات متشابهة تقريبًا. وكانت البحرين وسوريا مستثنيتين من ذلك. ثورة الشعب البحرانيّ كانت الوحيدة التي امتلكت قيادة من بين كلّ الثّورات والكلّ كان يشترك في نموذج الحركة وبداية الاعتراض. كان الشباب يدعون الناس إلى التجمع في ميدان اللؤلؤة عن طريق الفضاء المجازي، ومن المناسب الإشارة إلى أنّ شخصًا باسم «الشيخ حسن مشيمع»، وهو من قادة الأحزاب الشيعيّة الفاعلة ومن المعتقدين بالاعتراض السلميّ، كان يتابع مطالبته مع بعض الشباب، ويؤدّون صلاة الصبح في ميدان اللؤلؤة جماعة، ثمّ يتحرّكون في مسيرة نحو قصر الأمير، وكلّ ما كان يريده أهل البحرين هو الحدّ الأقلّ وكان شعارهم «لكلّ بحرانيّ رأي».

على مستوى الساحة كان بعض الشبان يتحرّكون خلف «الشيخ حسن مشيمع» وعلى المستوى السياسيّ كانت حركة الوفاق البحرانيّة بقيادة أمينها العامّ «الشيخ علي سلمان» فعّالة وعلى المستوى العامّ كانت وجهتهم «آية الله الشيخ عيسى قاسم»[1] الذي كان يرسم للناس اتّجاهاتهم. إن وجود قيادة لثورة البحرين كانت تميّزها عن باقي الدول، من حيث الأسلوب والمنهج والمتابعة السلميّة لتحقيق المطالب[2]، إلّا أنّ حكومة البحرين والعسكريّين

(1) عيسى أحمد قاسم البحراني (ولد عام 1937م في البحرين)، عالم شيعيّ بارز وقائد شيعة البحرين.

(2) عندما بدأت التحوّلات ذات العلاقة بالصحوة الإسلاميّة في المنطقة، زار السيّد وليد المعلّم وزير خارجيّة سوريا إلى إيران حاملًا رسالة لنا من السعوديّين=

السعوديّين بادروا إلى القتل، والاعتقال، وسحب الجنسيّات، وحتّى إلى إعدام أبناء البلد الأصليّين والشباب اليافعين.

أُنهيت مسيرة الثورة في مصر بعد حوالي السنة لأسباب سنتحدّث عنها لاحقًا، بعد تدخّل السعوديّ والإماراتيّ مستفيدين من الناس. في تونس تحققت بعض المطالب، واكتفت الحركات الإسلاميّة بالحدّ الأقلّ. وبعد دورة واحدة عاد العلمانيّون إلى الحكم من جديد. في الواقع سارت التحوّلات في تونس إلى نقطة معيّنة ثمّ تمظهرت المطالب في قالب سياسيّ.

في البحرين استمرّت الاشتباكات، والتحرّكات والمطالبات الشعبيّة على الرغم من تدخّل الأجهزة الأمنيّة والعسكريّة السعوديّة. ووصل مستوى التدخّل إلى حدود يمكن فيها القول: إنّ النّظام السعوديّ قد أمسك بحاكميّة آل خليفة.

أردت الوصول إلى هذه النتيجة وهي أنّ حدثًا هامًّا قد وقع في المنطقة وسقط على أثره الحكّام الذين ورثوا السلطة في هذه الدول، بعد عدّة عقود فبدأ الحكّام الآخرون في المنطقة يفكّرون بما يجب عليهم القيام به.

=والبحرانيّين. أخبروا السوريّين أنّ ما تشهده البحرين يسبّب لنا مشاكل عديدة حيث يظهر تأثّر البحرانيّين بإيران فاطلبوا من الإيرانيّين أن يساعدونا في عدم حصول هذه التحوّلات. ولكن بعد أسابيع عديدة التهمت نيران المخطّطات الأمريكيّة والغربيّة وحتّى السعوديّة وإسرائيل سوريا واتجهت الأوضاع نحو زيادة عدم الأمن، في هذا الوقت طلبت سوريا منّا المشورة والمساعدة لقواتها لمواجهة الأعمال الإرهابيّة والمسلّحة التي انطلقت في المدن، ولأنّنا نرتبط بعلاقات قديمة وجيّدة مع سوريا لبينا الدعوة بسرعة ودافعنا بقوّة عن سوريا على المستوى السياسيّ والاستشارات العسكريّة (الراوي).

كانت الحكومة السعوديّة تعتقد أنّ استمرار هذه الحركات سيصل عمّا قريب إلى السعوديّة، وكان القلق شديدًا في الإمارات ومراكش والأردن.

في الجانب الآخر كان الأمريكيّون قلقين للغاية. كانوا يشاهدون حلفاءهم التاريخّيين والتقليديّين يسقطون، الواحد تلو الآخر، من دون أن يكون لديهم بديل مناسب عنهم. لذلك عمل الأمريكيّون والسعوديّون وحلفاؤهم على إعداد مخطّط يحول دون هذا السيل المدمّر.

كان قلق الكيان الصيهونيّ سابقًا على الجميع؛ لأنّ هذه التحوّلات وبرغم ما اعتراها من سقوط وصعود تشكّل تهديدًا حقيقيًّا لهم.

إنّ سقوط الحكّام الورثة في دول المنطقة تتبعه انتخابات، تشكّل نتائجها تهديدًا للصهاينة، وعلى الرغم من خيانة حسني مبارك التاريخيّة للقضيّة الفلسطينيّة، إلّا أنّ المطالب الأساسيّة الدائمة للشعب المصريّ هي الدفاع عن فلسطين ومواجهة الكيان الصهيونيّ. كما كان يُشاهد هذا المطلب في تونس ودول المنطقة الأخرى. لذلك شعر الصهاينة أنّ أحداثًا ستحصل في المنطقة نتيجة الصحوة الإسلاميّة ستؤدّي إلى قوّة محور المقاومة. عندما أدرك الكيان الصهيونيّ المصطنع أنّ الإخوان المسلمين وفيما لو حكموا مصر، فإنّ ذلك سيسبب اقتراب التوجّه الأيديولوجيّ لحماس في غزّة منهم، لذلك تضاعف على أثر ذلك قلقهم.

والأهم من ذلك من وجهة نظر الأمريكيّين وحلفائهم، أنّ الثورة الإسلاميّة قد تركت تأثيرها في هذه الدول كافّة. اعترفت بعض

النخب العربيّة في بعض المقابلات الصحفيّة والمؤتمرات التي كانت تعقد في هذا الشأن أنّ أفكار الإمام الخميني ﷺ كانت ملهمة لنا. وكانوا يتحدّثون في جلساتهم الخاصّة غير البعيدة عن أعين الأجهزة الأمنيّة عن التأثير المعنويّ والسياسيّ للثورة الإسلاميّة، وفي الوقت عينه كانت مخرجات سلوكيّاتهم تشير إلى بعض الشواخص المشتركة مع الثورة الإسلاميّة في إيران.

عندما رتّب الأمريكيّون وحلفاؤهم هذه الأمور بعضها إلى جانب بعض، كانوا يلاحظون في المطالعة التطبيقيّة أنّ الإسلام السياسيّ كما يراه مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران كان يتصاعد ويبرز يومًا بعد يوم. كانوا يشاهدون أنّ الإسلام وأفكار الإمام الخمينيّ ﷺ كانت تشكّل مصدر إلهام لشعوب المنطقة والعالم الإسلاميّ. وكانوا يدركون أنّ هذا الأمر يشير إلى النفوذ المعنويّ للثورة الإسلاميّة في المنطقة، وهو يختلف عن التدخّل في الشؤون الداخليّة للدول.

مواجهة أمواج الصحوة الإسلاميّة

بعد أشهر من البحث وتبادل الآراء وصل المثلّث المتشكّل من أمريكا، إسرائيل والسعوديّة إضافةً إلى حلفائهم إلى خلاصة، وهي الحَؤول دون هذا السيل الجارف من خلال مخطّط عكسيّ. الهندسة العكسيّة من وجهة نظرهم تعني إسقاط محور المقاومة. ولكن كيف يمكنهم إدخال محور المقاومة في أزمة في المنطقة؟ لذا قرّروا الشروع في العمل والمؤامرّة من خلال التدخّل في إحدى دول محور المقاومة. في المرحلة الأولى كانوا يرغبون في الإخلال

بالأمن داخل إيران. لذلك طرحوا في ذاك الزمان فكرة أنّ إيران تتّجه نحو السلاح النوويّ. وبدؤوا البحث الدقيق عن استهداف المراكز النوويّة والذريّة الإيرانيّة.

قرّروا أن يضربوا بداية رأس هرم المقاومة كما كان الأمريكيّون يعبّرون؛ decapitation policy (سياسة قطع الرأس) وكانوا يستخدمون عباراتٍ أكثر سوءًا، فكانوا يقولون يجب أن «نقطع رأس الأفعى». بعد التدقيق وصلوا إلى نتيجة أنّ هذا العمل يحمل في طيّاته إشكالات وتعقيدات عديدة؛ باعتبار أنّ إيران تعيش حال استقرار وعدم تزلزل من الناحية الدفاعيّة والشروط الأخرى، فلا يمكن الهجوم عليها والخروج من المعركة من دون خسائر. كان الأمريكيّ يدرك أنّه غير قادر على تحمّل تبعات هذا العمل.

لو كان هذا العمل ممكنًا، وكان الأمريكيّ قادرًا على الهجوم على إيران وتحمّل تبعاته، لفعلوا ذلك، ولعملوا مع شركائهم على إرسال بياناتٍ لمن تشخص أبصاره إلى إيران في المنطقة بأنّنا في أعلى مستويات المواجهة مع إيران. ولكنّ هذا العمل لم يكن عملًا قابلًا للتحقّق؛ لذلك لم يكن أمامهم سوى الأساليب الأخرى. من جملة خيارتهم قطع أذرع إيران التنفيذيّة التي تحميها إيران ضمن محور المقاومة في المنطقة. كانوا يعتقدون أنّ جزءًا من أذرع إيران التنفيذيّة هو حزب الله في لبنان وحماس والجهاد الإسلاميّ في فلسطين. من هذا المنطلق، وفي أَوْج تحوّلات المنطقة منذ عام (2011م) اتّخذ الإسرائيليّون قرارًا خاطئًا بالقضاء على غزّة. كان هجومهم على غزّة على مرحلتين في الحدّ الأدنى. كانت تحليلاتهم

تشير إلى أنّ إيران منشغلة بالمحادثات النوويّة ولديها الكثير من المشكلات التي تمنعها من الاهتمام بغزّة، كما كانوا يظنّون أنّ حزب الله منشغل بالفراغ السياسيّ الموجود في حكومة لبنان ولديه الكثير من المشاكل. من جهة أخرى فإنّ جزءًا كبيرًا من شباب حزب الله الذين سيواجهون الإسرائيليّ، قد دخلوا سوريا وهي في حالة حرب مع داعش لذلك كانت تحليلاتهم أنّ حزب الله لا يعيش وضعًا مناسبًا بحيث يتمكّن من المواجهة على جبهتين في وقت واحد وبالتالي لن يتمكّن من الدفاع عن غزّة. كما أنّ الدول الأخرى التي بإمكانها الدفاع عن حماس والقدس وفلسطين، ومن جملتها دولة مصر الثوريّة، تواجه تحدّيات كبيرة أيضًا.

كان السيّد «مرسي» يواجه تحدّيات داخليّة كبيرة. لذلك وصلوا إلى نتيجة مفادها أنّ الوقت الآن هو الفرصة المناسبة لإنهاء موضوع غزّة وإلحاقها بالأراضي الفلسطينيّة المحتلّة وبذلك يكونون قد أرسلوا رسالة قويّة إلى إيران وحلفائها. قاموا بعملهم هذا؛ ولكن الأمر الهامّ هنا أنّ القوات الصهيونيّة لم تتمكّن من الاستمرار بالحرب في غزّة سوى أيّام معدودة[1].

---

(1) بدأت هذه الحرب في الرابع والعشرين من آبان 1391هـ.ش (14 تشرين الثاني 2012م) في أوج تحوّلات المنطقة وهي حرب فرضها الصهيونيّ على غزّة بعد حرب الـ 22 يومًا وحرب الـ 51 يومًا. طلب الإسرائيليّون وقف إطلاق النار، وكما اعتادوا في اعتداءاتهم السابقة لم يتمكنوا من إطلاق آخر رصاصاتهم قبل وقف إطلاق النار. ووفقًا للعادة وبعد وقف إطلاق النار، وفي لحظات الحرب النهائيّة عمد الصهيونيّ إلى إطلاق آخر رصاصته نحو غزّة. ولكن في هذه الحرب كانت المقاومة الفلسطينيّة هي التي أطلقت رصاصاتها الأخيرة ثمّ كانت رسالتهم إذا قصفتم فلن نقبل وقف إطلاق النار وسنستمر بالحرب (الراوي).

استئصال إسرائيل حقيقة ولم يكن بمقدورها أن تفهم كيف أصبحت مجبرة على طلب وقف إطلاق نار مباشر، وإنهاء حربها في يومها الثامن من دون تحقيق أيّ نتائج في أَوْج اضطرابات المنطقة وما تعانيه إيران ولبنان ومحور المقاومة من ضعف.

خطّة سقوط حكومة الأسد وتغيير موازين القوى

درس الأمريكيّون والإسرائيليّون أسباب الهجوم على غزّة فوصلوا إلى نتيجة مفادها، أنّ من أهمّ العوامل في جبهة المقاومة وجود سوريا في الجبهة الخلفيّة. كانوا يعتقدون أنّهم إذا تمكّنوا من ضرب الأمن والثبات في سوريا وقطع خطوط المقاومة، تتغيّر موازين القوى في المنطقة بشكل أساسّي. كانوا يظنّون أنّ الأرضيّة لهذا العمل مهيّأة. بداية كانوا يعتقدون أنّ مؤشرات الديمقراطيّة في سوريا ليست قويّة، ثانيًا قد سقط الرؤساء الذين كانوا يحكمون مدى حياتهم بأمواج السيل الذي ضرب المنطقة؛ لذلك يمكن التوجّه نحو سوريا بهذا المنطق. باعتبار أنّ عائلة الأسد قد أمسكت بالسّلطة منذ مدّة طويلة؛ على الرغم من أنّ سوريا قد شهدت انتخابات برلمانيّة ورئاسيّة في أصعب ظروف الحرب مع الإرهاب.

كان الأمريكيّ والإسرائيليّ يعتقدان أنّ بإمكانهما الإمساك بهذا الوجه المشترك بين سوريا والدول العربيّة الأخرى ومن ثمّ يعمدان إلى إعادة هندستها من جديد، فتكون نتيجة هذه الهندسة العكسيّة سقوط بشار الأسد حليف إيران وصديق حزب الله في لبنان.

وبعد سقوط الأسد تقفل جميع طرق إرسال المساعدات اللوجستيّة من سوريا إلى خطوط المقاومة المتقدمة. كما يمكن إزالة

التهديدات التي قد تواجه إسرائيل من ناحية مرتفعات الجولان للأبد.

كان المخطّطون لمواجهة النظام السياسيّ في سوريا يظنّون أنّ الإشكال الأوّل ونقطة الضعف في سوريا هي أنّ حزب البعث هو الحزب الوحيد الحاكم الذي لا منافس له. وعدم وجود تعدّديّة في الحكم يشكّل نقطة ضعف للحكومة السوريّة لذلك كانوا يظنّون أنّ بإمكانهم ركوب هذه الأمواج وتحقيق آمالهم. الإشكال الثاني في سوريا أنّها كانت مثل مصر وتونس تتّجه نحو الحكومة العائليّة الدائمة.

لذلك كانوا ينظرون إلى هذه المسألة على أنّها نقطة ضعف. أمّا الموضوع والفرصة الثالثة التي كانوا يظنّون أنّها كفيلة بتحقيق سيناريو السقوط في سوريا هو أنّ الجيل الشابّ أصبح يحمل تطلّعات ومطالب أكثر ممّا هو موجود.

الاشتباكات الأولى

على هذا النحو وبعد أن أخذ الأمريكيّون وحلفاؤهم هذه المسائل بعين الاعتبار قرروا تغيير الأوضاع في سوريا. تقرّر في البداية أن تتولّى شبكتا العربيّة والجزيرة مهمّة القصف التمهيديّ الإعلاميّ وإدارة الرأي العامّ. بدأت قناة الجزيرة القطريّة بهذا العمل معتمدة على تخطيط دقيق. وهكذا فعلت كلّ وسائل الإعلام التابعة أيضًا. ولكنّ الحملات الإعلاميّة لم تدفع أهالي دمشق للتجمّع في أحد الشوارع أو الساحات، وهذا على خلاف السلوكيّات التي ظهرت في دول المنطقة الأخرى. وهذا يعني أنّ النموذج الذي

حصل في مصر وتونس واليمن وليبيا والبحرين لم يتحقّق في العاصمة السوريّة.

عندما يئسوا من نتائج هذا الأسلوب، أدخلوا مجموعات أجنبيّة مسلّحة وبسرعة خلال أيّام معدودة القليلة على منطقة درعا الحدوديّة في ذاك الزمان كنت في طهران في مبنى وزارة الخارجيّة أتابع ما يحصل من تحوّلات في المنطقة، حيث بحثنا مع زملائنا في الوزارة والمؤسّسات المعنيّة الأخرى في النظام مسألة الهندسة العكسيّة للثورة في سوريا. في تلك الأيّام استقبلت إيران مجموعة من البرلمانيين والمسؤولين التنفيذيّين السوريّين، كانوا قبل أيّام قد شاركوا في صلاة الجمعة في مدينة درعا التي وقع فيها أوّل الاشتباكات المسلّحة، وروى شهود العيان ما حصل على الشكل التالي، «إنّ اثنين من الإرهابيّين الأجانب قد اختبآ في مئذنة المسجد. وكانت ساحتا المسجد الداخليّة والخارجيّة تعجّان بالمصلّين، وإمام الجمعة كان منشغلًا بخطبة الصلاة، فبدأ إطلاق الرصاص عليهم بغزارة». ومن هنا كانت بداية الاشتباكات في سوريا.

يقول الأشخاص المشتغلون بالأعمال الأمنيّة والدراسات المعلوماتيّة والاستخباراتيّة في توضيحهم لحركة الثورات إنّ الثورة أو العصيان الذي يبدأ انطلاقًا من الحدود ليس ثورة. السبب في ذلك أنّه يجب البحث عنه في الجهة الأخرى من الحدود. ومعرفة العناصر التي دخلت البلد من الخارج والتي أوجدت الاضطرابات[1].

(1) في المقابل فالثورة التي تبدأ من المدن الكبيرة والعاصمة هي ثورة طبيعيّة وشعبيّة وتدلّ على أنّ جذور التحوّل هو في داخل المجتمع (الراوي).

بدأت القوى الأمنيّة والعسكريّة السوريّة العمل في درعا لإحكام السيطرة على المدينة مع علمها بأنّ الإرهابيّين دخلوا من خارج سوريا وهم الذين قتلوا الناس، وقد بدأت هذه القوى إطلاق النار على الإرهابيّين دفاعًا عن الناس وعن أنفسهم.

من جملة الأسئلة الهامّة التي كنّا نطرحها في تلك الفترة كيف يمكننا مساعدة الدولة السوريّة لمواجهة المجموعات الخارجيّة المسلّحة التي تحصّنت في المدن، واتّخذت من الناس دروعًا واقية، ولإيجاد أسلوب يمكن بواسطته مواجهة العصيان في المدن عن طريق سيّارات رشّ المياه وما شابه ذلك. بعد الاشتباكات في درعا أصدر السيّد بشّار الأسد، وبسرعة أمرًا قضى بأن تتعامل القوى العسكريّة السوريّة طبق المتعارف، فيما إذا ظهر العصيان في مدن أخرى.

وكان للواء سليمانيّ دور هامّ على المستوى الاستشاريّ. منذ ذلك الحين بدأت قوّات الدولة تواجه المعترضين من خلال استخدام سيّارات الإطفاء ورشّ المياه، وفي المقابل كان بعض المسلّحين الموجودين بين الناس يوجّهون نيران أسلحتهم الأوتوماتيكيّة إلى القوّات السوريّة. لذلك كان لا يمكن مواجهة الشخص الذي يطلق الرصاص برشّ الماء! علمًا بأنّه اتّضح، وبسرعة أنّ هذا العصيان ليس من جنس العصيان المدنيّ، وعلى هذا النحو انتقلت الأحداث إلى داخل سوريا والمدن الأخرى ومن جملتها دمشق. وبذلك بدأ مخطّط الهندسة العكسيّة الذي أطلقه مثلّث أمريكا، إسرائيل والمملكة العربيّة السعوديّة[1].

(1) في هذا الشأن كان هناك دور لبعض الدول من أمثال فرنسا، بريطانيا، وفي=

وقد أفصح الإرهابيّون، وأحيانًا الراعون لهم عن أهدافهم إلى حدٍّ ما، وكانوا يقولون، سنستمرّ بالاشتباكات حتّى نجعل لبنان وسوريا والعراق، هذه الدول المتحالفة مع الجمهوريّة الإسلاميّة غير آمنة.

وسندفع بالأمن في لبنان إلى مستوى يعجز فيه حزب الله عن أداء أيّ دور في المنطقة.

أمّا برنامج المخطّطين فكان زيادة الشعور بفقدان الأمن والفوضى بداية، ومن ثمّ سقوط النظام السياسيّ في سوريا، وبعد ذلك انتقال عدم الاستقرار الأمنيّ إلى لبنان والعراق، ومن هناك نحو الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران[1].

في هذه المرحلة كان السيّد «أحمد داوود أوغلو» وزير خارجيّة تركيا آنذاك يتّصل بنظيره الإيرانيّ السيّد الدكتور صالحي ثلاث مرّات على الأقلّ في الأسبوع، ويحذّر من أنّ بشار الأسد سيسقط في الأسبوع المقبل. وكالمعتاد كان الدكتور صالحي ينصحه عدم الاستعجال، والمساعدة في إعادة الهدوء والأمن إلى سوريا،

=الإقليم الإمارات، قطر وتركيا الذين كانوا يعارضون بشار الأسد والحكومة السوريّة (الراوي).

(1) سأوضح في مكان لاحق أنه عندما سقطت مدينة الموصل، وفيما لو لم يتّخذ المجلس الأعلى للأمن القوميّ في بلدنا قرارًا يحذّر فيه داعش من الاقتراب من الحدود مسافة أربعين كيلومترًا، لكنّا شاهدنا وجودًا لداعش في إيران والمنطقة بشكل آخر. تمكّنت قواتنا المسلّحة ومن خلال ما تمتلك من قوّة، من مباغتة داعش في العراق وتعاطت معها بشكل شديد وأوقفت وحدات داعش التي كانت تتحرك نحو حدودنا لتخريب الأمن فيها (الراوي).

ويؤكّد أنّ الإنسان العاقل لا يترك الوضع الموجود ليُدخل بلدًا آخر في وضعٍ مجهولٍ. وكان يؤكّد باستمرار رؤية طهران السياسيّة لدفع الأزمات.

بدأت طهران ومنذ بداية التحوّلات في المنطقة وسوريا بنشاط فاعل يهدف لتأمين أعلى مستوى من الأمن في المنطقة. وفي بداية الأزمة السوريّة وباقتراح مشترك من إيران ومصر (في زمان مرسي) عقدت جلسة رباعيّة مشتركة في القاهرة على مستوى معاوني وزراء الخارجيّات بين إيران ومصر وتركيا وقطر بحضور «الأخضر الإبراهيمي»، ممثّل الأمين العام للأمم المتّحدة في أمور سوريا. شاركتُ إلى جانب وفد سياسيّ - أمنيّ في ذاك الاجتماع، وعرضتُ مخطّطًا سياسيًّا من أربع موادّ تشكّل رؤية إيران حول سوريا. من جملة المحاور التي شكلت الخطّة السياسيّة التي قدمتها إيران في ذاك الزمان: وقف فوري لإطلاق النار، إيصال المساعدات، الحوار السوريّ - السوريّ بهدف إصلاح الدستور، وإقامة الانتخابات. وشرحت في جلسات ثنائيّة مع الأخضر الإبراهيمي مواقف إيران السياسيّة والميدانيّة. علمًا أن تركيا وقطر لم تكونا لتقنعا بأقلّ من إقالة رئيس جمهوريّة سوريا.

استغلال الاختلاف الشيعيّ والسنيّ

بناءً على السيناريو الذي رسمه الأمريكيّون وحلفاؤهم فإنّ سقوط سوريا سيترك تأثيره في العراق. حيث دخلت داعش الموصل بسبب خيانة سقطت المدينة على أثرها. المسألة الهامّة أنّ داعش وهي مجموعة إرهابيّة قد ارتبطت بالمؤسّسات الأمنيّة الأمريكيّة والغربيّة

خصوصًا وببعض دول المنطقة عمومًا وكان نفوذ الأجهزة الأمنيّة الغربيّة ـ العبريّة ـ العربيّة على داعش إلى حدود جعلت هذه المجموعة ذات سلوكيّات خاصّة. مثال ذلك بعد أن دخلت داعش الموصل أصدرت مذكّرة رسميّة دبلوماسيّة[1] أرسلتها إلى السفارات الأجنبيّة في بغداد باستثناء سفارة الجمهوريّة الإسلاميّة وعدد قليل من الدول. وقد حصل سفيرنا في بغداد آنذاك السيّد «حسن دانايي فر» على تلك المذكرة عن طريق إحدى السفارات الأوروبيّة فأرسلها إلى وزارة الخارجيّة في طهران ثمّ أرسلناها مباشرة إلى المسؤولين.

جاء في مذكّرة داعش التي خاطبت فيها السفارات الأجنبيّة: «سندخل بغداد في وقت قريب. وعندما ندخل بغداد، لن نتعرّض للسفارات والهيئات الدبلوماسيّة، وسنتعرض لكم إذا خالفتم ما نطلبه. نطلب منكم أن تبلّغوا دولكم أنّ داعش مجموعة تحرّريّة تحاول تحرير أهل السنّة في العراق من التسلّط الشيعيّ الّذي اتّخذهم رهائن، وإعادة الحكومة للسنّة وهي حقّ لهم. وبعد ذلك سنترك العراق» وطلبت داعش من السفارات الأجنبيّة إبلاغ دولهم بهذه المذكرة.

الحقيقة أنّ هناك تنسيقًا واضحًا وكبيرًا بين داعش والأجهزة الأمنيّة الأمريكيّة وحلفائها. لا أنسى في ذلك الوقت أنّني ذهبت إلى العراق برفقة العميد «علي شمخاني» ممثّل الإمام القائد وأمين عامّ المجلس الأعلى للأمن القوميّ. علمنا هناك أنّ الأمريكيّين

(1) في العادة فإنّ وزارة الخارجيّة والجهاز الدبلوماسيّ الرسميّ في البلد هو الذي يصدر مذكّرات دبلوماسيّة (الراوي).

والبريطانيّين، كانوا قد التقوا كلًّا من السادة «نوري المالكي»، «عمار الحكيم»، «عادل عبد المهدي»، «إبراهيم الجعفري»، وبعض المجموعات الشّيعيّة الأخرى، وأبلغوا جميع الشخصيّات القياديّة من الأكراد أنّكم إذا أردتم النجاة من داعش والحصول على مساعداتنا لتحرير الموصل، يجب أن يتنحى رئيس الحكومة ـ أي السيّد نوري المالكي ـ وأن يصل إلى السلطة شخص يقبله الناس والطوائف العراقيّة كافّة. وقد طلبوا أمرًا آخر هو إعطاء أهل السنّة في العراق أكثر ممّا يحقّ لهم (حسب عددهم السكانيّ) في الدولة والمجلس و...علمًا أنّ أهل السنة في العراق كانوا قد حصلوا في ذاك الوقت على نصيب كبير في الحكومة.

كان السيّد مالكي على معرفة عميقة بالأمريكيّ وكان يشاهد ما يفعلون في العراق. لذلك وقف في وجه أمريكا في بعض الموضوعات. وقد أرسل إليه الأمريكيّ تحذيرات عدّة. لكنّ السيّد المالكي لم يغيّر سلوكه.

لذلك عمدوا إلى الضغط عليه. كان الأمريكيّ يقول إنّ على المالكي أن يتنحّى، وأن تعاد الانتخابات مرّة ثانية. وضعوا برنامجًا كبيرًا للقيام بهذا العمل في العراق والضغط على الحكومة بالتزامن مع إضعاف بشار الأسد والحكومة السوريّة.

كانت داعش بالنسبة إليهم كالسيف المسلّط الذي يجب أن يبقى على رأس شيعة العراق[1]. في النهاية تقدّمت داعش إلى مقربة من

(1) أثناء المنافسة الانتخابيّة على رئاسة الجمهوريّة الأمريكيّة وفي مناظرة بين=

مدينة كربلاء. لا أنسى عندما زرت برفقة السيّد شمخاني بعض آيات الله العظام وبعض السياسيّين في العراق كّنا نشاهد القلق باديًا على أوجه بعضهم؛ أي إنّنا زرنا الآيات العظام في النجف وكربلاء في ظروف كانت فيها داعش على بُعد ثلاثين كيلومترًا من كربلاء، الكثير من الناس في هذه المدن كانوا يلبسون الأكفان ويحملون السلاح وبعضهم قد جمع حقائبه. كان بعضهم يقول قد ننام الليلة ونرى غدًا أنّ داعش قد احتلّت كربلاء والنّجف كما حصل في الموصل. وقد ذكرت هذا المثال لأبيّن مدى التقارب بين الضغوط الأمريكيّة وضغوط داعش داخل العراق، لا بل كانت متزامنة، وكان كلّ واحد منهما يتولى وظيفة ما في هذا المخطّط.

كان للأمريكيّ دور على المستوى السياسيّ والأمنيّ وداعش تعمل على المستوى الميدانيّ.

في تلك الأيّام التقيت السيّد «جيفري فيلتمان» في مبنى وزارة الخارجيّة في طهران باعتباري معاونًا لوزير الخارجيّة، وكان جيفري فيلتمان قد شغل ولمدّة ثماني سنوات منصب المعاون السياسيّ للأمين العام للأمم المتّحدة، أي الجزء الأكبر من مرحلة تولّي السيّد «بان كي مون» الأمانة العامّة والأشهر الأولى من تولّي السيّد «أنتونيو غويترش» لها وجيفري فيلتمان أمريكيّ كان يشغل منصب سفير أمريكا في بيروت (بين عامي 2004 ـ 2008) ومعاون وزير

=ترامب (الجمهوريّ) وهيلاري كلينتون (الديمقراطيّة) وجه ترامب انتقادًا صريحًا لكلينتون أنّكم أنتم الذين أوجدتم داعش. المعلومات الدقيقة للأجهزة الأمنيّة في الجمهوريّة الإسلاميّة حول داعش سمعتها من ترامب (الراوي).

خارجيّة أمريكا في واشنطن قبل أن يصبح معاونًا سياسيًّا للأمين العامّ للأمم المتّحدة[1]. جاء إلى إيران بجواز سفر للأمم المتّحدة باعتباره معاونًا سياسيًّا للأمين العام، ولكنه يحمل الفكر الدبلوماسيّ الأمريكيّ وأدبيّاته فكان مجيئه إلى طهران للحديث عن تحوّلات المنطقة، كان اللقاء في غرفة معاونيّة قسم البلاد العربيّة والأفريقيّة في وزارة الخارجيّة مدّة ثلاث ساعات[2].

اعترف بأنّه كان على معرفة جيّدة بأوضاع المنطقة؛ إلّا أنّه كان يحاور بلسان وأدبيّات منظّمة الأمم، لذلك كانت المحادثات بيننا في نهاية الصراحة.

---

(1) إنّ منصب المعاون السياسيّ للأمين العامّ في المنظّمة الدوليّة هو دائمًا من حصّة أمريكا. كان من المقرّر استبداله قبل أسابيع لتتولّى سيّدة أخرى المنصب. وهي سيدة أمريكيّة أيضًا كانت تعمل في وزارة الخارجيّة. ليس من المهمّ من هو شخص الأمين العام للأمم المتّحدة. هناك عدّة وظائف أساسيّة في الأمم المتّحدة هي للأمريكي بشكل دائم. فيلتمان خبير في شؤون المنطقة وكان يعمل مدّة في القنصليّة الأمريكيّة في فلسطين المحتلّة (الراوي).

(2) كان لغرفة معاون الشؤون العربيّة والأفريقيّة في وزارة الخارجيّة ميزة خاصّة بين غرف المعاونين الآخرين. المرحوم حسين شيخ الإسلام الذي توفّي في اسفند عام 1398 (آذار 2020م) على أثر جائحة كورونا وشغل أعوامًا منصب المعاون السياسيّ ثمّ قائم مقام وزارة الخارجيّة، كان يقول: في بداية الثورة شغل المرحوم رجائي مدّة قصيرة منصب الإشراف على وزارة الخارجيّة، ولأنّه كان يمتلك روحيّة العيش البسيط لم يكن مستعدًا للجلوس في غرفة الوزير فكانت هذه الغرفة مكانه الذي اختاره وقد نزع منها سجّادة الحرير. كانت كرسي الشهيد رجائي موجودة في الغرفة إلى الأيّام الأخيرة من عملي وهي سُنّة قد حافظ عليها كلّ من المرحوم شيخ الإسلام والدكتور صالحي في وزارة الخارجيّة حيث يُوضع كرسي الشهيد رجائي في مكان مناسب وعلى مرأى الهيئات الدبلوماسيّة الأجنبيّة مثالًا للحياة البسيطة لرئيس الجمهوريّة ثم نقلت فيما بعد إلى المخزن (الراوي).

كان يقول إنّ حلّ مسألة العراق، ولكي يبادر الأمريكيّون إلى المساعدة في مواجهة داعش، وتحرير الموصل وكسر حصار بغداد، يكون بأنْ تطلبوا من أصدقائكم العراقيّين إعطاء نصيب أكبر للسنّة من السلطة. فإذا كان نصيبهم عشرين في المئة على سبيل المثال من مجمل عدد السكّان، فأعطوهم ثلاثين بالمئة أعطوا المناصب العليا للسنّة، واحرصوا على رضاهم حتّى لا ينضمّوا إلى داعش!

كان يريد من خلال توضيح هذا المطلب، تحقيق هدف كانت تسعى إليه داعش بعد نشر بيان حول ذلك. والشيء نفسه الذي طلبه الأمريكيّون من العراقيّين، طلبه فيلتمان منّي.

في تلك الأيّام تحدّثت مع السيّد عمار الحكيم[1].

وقد قدّم إخصاءً للمناصب التي يشغلها أهل السنّة في البرلمان، والمسؤوليّات الأساسيّة منها معاون رئيس الجمهوريّة ومعاون رئيس الوزراء وهي تختلف تمامًا عمّا كان يدّعيه الأمريكيّ. كان السيّد عمار الحكيم يقول نحن لم نعمل انطلاقًا من المنحى السياسيّ بل انطلاقًا من الوحدة الوطنيّة في العراق.

النقطة المهمّة التي يمكن أن لا يكون لها معنى بمفردها؛ ولكن

(1) السيّد عمار الحكيم الرئيس السابق للمجلس الإسلاميّ الأعلى في العراق والرئيس الفعلي لحركة الحكمة الوطنيّة. وهو من القادة المهمّين في تاريخ هذا البلد المعاصر وممّا تبقّى من عظماء آل الحكيم ومَن جملتهم آية الله السيّد محسن الحكيم، الشهيد السيّد محمد باقر الحكيم، والسيّد عبد العزيز الحكيم وهو والد السيّد عمار والسيّد محسن (الراوي).

عندما نضع كلام السيّد فيلتمان إلى جانب سلوك السياسيّين الأمريكيّين وكيفيّة تعاملهم مع القادة الشيعة ونضع هذين الأمرين إلى جانب المذكّرة الرسميّة لداعش التي وزّعتها على السفارات في وقت كان الجميع قلقًا من تشكيل داعش للخلافة الإسلاميّة، تتشكّل أمامنا أجزاء مخطّط مشؤوم يراه كلّ مشاهد منصف.

كنّا نشاهد كلّ يوم في سوريا مشاهد التخريب والدمار والمشاهد المفجعة، وكان مقرّرًا في الوقت عينه أن تدمّر داعش العراق وفق عمليّات الهندسة العكسيّة المعقّدة. بناءً على المخطّط تتوقّف الحرب إذا تغيّرت ظروف العراق وفق ما يريده الأمريكيّون وحلفاؤهم!

وكان هذا هو هدفهم في لبنان أيضًا، أرادوا قطع الخطّ الممتدّ بين بيروت والجنوب بأيّ شكل من الأشكال بهدف محاصرة الشّيعة. وهذا ما يؤدّي إلى زيادة شعور إسرائيل بالأمن. لذلك سعوا إلى زرع مجموعات من الإرهابيّين في لبنان بطريقة ما ليقطعوا جميع الطرق على المقاومة، وليحقّقوا في النهاية مخطّطهم المشؤوم في تغيير النظام السياسيّ. لقد أوجدت أمريكا داعش لتتمكّن من خلالها إلى جانب مال النفط في المنطقة من تحقيق عدّة أهداف في سوريا والعراق وصولًا إلى لبنان[1].

في هذه الأجواء حصلت عمليّة إرهابيّة كبيرة مقابل سفارة بلدنا

(1) لم يتمكّنوا من الوصول إلى أهدافهم في لبنان لأنّ الجيش اللبنانيّ وحزب الله في لبنان كانوا يقضون على هذه المجموعات معتمدين في ذلك على تجربة الحرب على الإرهاب في سوريا (الراوي).

في بيروت. في الثامن والعشرين من آبان عام 1392هـ.ش (19/11/2019م)، وبينما كنت أتابع زيارتي لموسكو لإجراء محادثات مع «ميخائيل بوغدانوف»، الممثّل الخاصّ للرئيس الروسيّ لشؤون الشرق الأوسط وأفريقيا، أُبلغتُ بتفجيرين إرهابيّين وبشهادة المستشار الثقافيّ، وزوجة أحد الدبلوماسيّين الإيرانيّين، بالإضافة إلى 21 لبنانيًا من جملتهم مسؤول فريق أمن السفارة، الحاج رضوان، تم التنسيق مع الدكتور ظريف الذي كان مشغولًا بالمحادثات النوويّة في أوروبا ووصلت بعد ساعات قليلة إلى بيروت، وعملت مع السيّد ركن آبادي[1] سفير إيران في لبنان آنذاك، ومع المعاونين كافّة على اتّخاذ الإجراءات الضروريّة[2].

خلاصة المطالب المتقدّمة أنّ الهندسة العكسيّة التي أُنجزت كانت تتّبع هدفًا كبيرًا ـ لم يتغيّر حتّى اليوم ـ وهو مواجهة الحركة الطبيعيّة التي نشأت على أثر الصحوة الإسلاميّة في شمال أفريقيا وغرب آسيا ومحاربتها بقدر المستطاع ومن نتائج هذه الصحوة تعزيز قوّة محور المقاومة وإضعاف إسرائيل بشدّة، وهذا يعني أنّه ما

(1) الأخ العزيز غضنفر ركن آبادي وهو دبلوماسيّ ماهر وعظيم وثوريّ، استشهد في منى في الثاني من شهر مهر عام 1394 (24/9/2015م). وكان من جملة أهداف السعوديّين في الهجوم الانتحاريّ على سفارة بلدنا في بيروت اغتياله. في تلك الحادثة الأليمة استشهد وجرح بعض الدبلوماسيّين الإيرانيّين ولحقت أضرار كبيرة بمبنى السفارة ومحيطها. وكان لبندر بن سلطان دور في توجيه هذه العمليّة الإرهابيّة (الراوي).

(2) أعلنت المجموعة الإرهابيّة المنتمية لكتيبة عبد الله عزام وهي التي على ارتباط مباشر برئيس الجهاز الأمنيّ السعوديّ بندر بن سلطان، مسؤوليتها المباشرة عن العمليّة وقد جرى اعتقال المخطّطين لهذا الحادث في وقت لاحق (الراوي).

إذا استمرّت هذه الحركة، فإنَّ إسرائيل ستُحاصر من قبل دول عربيّة، وستكون حكوماتها داعمة للمقاومة. وكانت جهود الهندسة العكسيّة كافّة في سوريا تتمحور حول إيجاد اختلال في هذه الحركة الطبيعيّة والشعبيّة.

والهدف إضعاف الدول المحيطة بإسرائيل وجيوش الدول الإسلاميّة وإبقاء الكيان الصهيونيّ المصطنع قويًّا.

الهندسة العكسيّة، السعوديّة وتركيا

يجب أن أقول إنّ الجهود الأمريكيّة والصهيونيّة لإجراء هذا السيناريو ما زالت مستمرّة. يجب ألّا نتصوّر أنّ الأزمة في العراق وسوريا ولبنان قد انتهت وأنّ الخطر زال تمامًا. إنّ هذا السيناريو من وجهة نظر المخطّطين يجب أن يمتدّ في المنطقة ليشمل السعوديّة أيضًا، مع أنّها من حلفائهم ولكنّ السعوديّة بالنسبة إلى أمريكا حليف لا يوحي بالاطمئنان؛ لأنّ المجتمع السعوديّ بحاجة إلى تجديد وتحوّل، يحفظ المصالح الأمريكيّة وأن لا يخرج عن السيطرة، كما حصل في إيران أثناء سقوط الشاه. وتركيا الحاليّة ليست هي المطلوبة في العالم الذي تريد أن تديره أمريكا وحليفتها إسرائيل، مع أنّ الأتراك يعملون جاهدين لعدم المعارضة الجديّة لأمريكا؛ لذلك يمكن القول: إنّ الأمريكيّ يمتلك مخطّطات لكلٍّ من تركيا، السعوديّة، حتّى مصر، الهند، باكستان والدول الإسلاميّة الهامّة. من جملة مخطّطاتهم تقسيم الدول الإسلاميّة. إنّ جذور هذه التحوّلات جميعًا تعود إلى إيران والتفكير الناشئ بالثورة

الإسلاميّة، وهم يريدون الاستمرار بهذا النحو إلى مستوى أن لا يبقى في المنطقة اسم لقوّة بارزة تُدعى الجمهوريّة الإسلاميّة.

عند دراسة طبقات الصحوة الإسلاميّة في هذه الدول، يتّضح بما لا شكّ فيه عدم وجود شخص لم يتأثّر بخطاب الثورة الإسلاميّة.

وبهذا النحو نحن لم نتدخّل في تلك التحوّلات. بل ما نمتلكه هو المشتركات والنفوذ المعنويّ وقد ظهر هذا الموضوع في تحوّلات كلّ دولة بما يتناسب مع أوضاع ذاك البلد. إنّ الخطاب المنطقيّ والسلوك الإسلاميّ البنّاء والمحليّ الفاعل ترك مستوى من التأثير. وأنا أرغب في أن أؤكّد أنّ أمريكا مصرّة على سياسة تقسيم الدول الإسلاميّة. يبدأ التقسيم من العراق وسوريا، ومن ثمّ ينتقل إلى مصر، أفغانستان، باكستان وفي النهاية إلى تركيا والسعوديّة والجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. لذلك رفضت الجمهوريّة الإسلاميّة سياسة تقسيم دول المنطقة والعالم، ومن جملتها الدول الإسلاميّة واعتبرتها مؤامرة أمريكيّة ـ صهيونيّة تحاول تطبيقها بواسطة مال النفط في دول المنطقة النفطيّة.

الدوافع الاقتصاديّة وراء التدخّل العسكريّ الأمريكيّ

إضافة إلى ما تقدَّم يمكن تحليل الأحداث التي حصلت على مستوى آخر. إلى جانب المخطّطات التي كانت تسعى إليها أمريكا وحلفاؤها في المنطقة ذات الأهداف السياسيّة والعسكريّة والأمنيّة، يمكن الإشارة إلى هدف آخر يقع خلف الأهداف الظاهرة، يعود إلى معتقدات النظام الرأسماليّ الأمريكيّ، إنّ المسائل الاقتصاديّة أحد أسباب الأحداث الهامّة التي حصلت في العقدين الأخيرين في

المنطقة. إنّ أهمّ العناصر الّتي يجب أن تؤخذ بالحسبان لدى تحليل الأمور فيما خصّ النّظام الرأسماليّ الأمريكيّ، نهب ثروات الشعوب، واستغلالها وعدم العدالة.

وقعت ثلاثة أحداث هامّة في تحوّلات المنطقة في العقدين الأخيرين: الأول إدخال الجيوش الأمريكيّة على أفغانستان، إدخال الجيوش الأمريكيّة على العراق، الثالث الجهود الأمريكيّة لاحتلال سوريا[1].

أفغانستان بلد ذو استعدادات كبيرة على مستوى إنتاج الموادّ المخدّرة والثروات المعدنيّة الباطنيّة، وهي فرصة كبيرة من وجهة نظر الاقتصاديّين الأمريكيّين لاكتساب الثروة، في العام 1397هـ.ش (اجتمع رؤساء برلمانات الدول المجاورة لأفغانستان في روسيا للبحث في كيفيّة مواجهة الموادّ المخدّرة. وقد قدّم ممثّل الأمين العامّ للأمم المتّحدة، والمدير العامّ لمحاربة الموادّ المخدّرة في الأمم المتّحدة إحصاءات وأعلن أنّ نمو إنتاج الموادّ المخدّرة في السنوات الأخيرة (منذ أن استقر الأمريكيّون في أفغانستان) قد تضاعفت ثلاثين مرّة! أين تصرف هذه المواد المخدرة؟ كيف تخرج من أفغانستان؟ إن سبعين في المئة من هذه المواد تخرج من المطارات التي تقع تحت سيطرة الأمريكيّين، ومنها مطار باغرام.

(1) أعتقد أنّ الظروف لو كانت مناسبة لأمريكا لفعلت في سوريا ما فعلته في أفغانستان والعراق. أي عمدت إلى إنزال قوات عسكريّة في هذا البلد. طبعًا هناك أسباب كثيرة برزت خلال السنوات الماضية منعت أمريكا من القيام بهذا العمل وإلّا دخلت جيوشها سوريا واحتلتها (الراوي).

يرتبط جزء من هذا الكمّ الهائل للموادّ المخدّرة بالسياسات الداخليّة لبلدهم. وهناك جزء يرتبط بإنتاج الدواء والمسائل الطبيّة. وأمّا المسألة الهامّة هنا فهي أنّ الأمريكيّين يريدون أن تنحصر سوق هذه المواد بهم[1].

أفغانستان هامّة لأمريكا باعتبار امتلاكها معدنًا ذهبيًّا يطلق عليه الترياق وكافّة المعادن الأخرى ومنها الذهب.

من جهة أخرى تشير الدراسات التي أنجزها متخصصو النفط

(1) الموادّ المخدرة أداة بأيدي السياسيّين الأمريكيّين لإدارة المجتمع وهو بحث معقد يجب تناوله في مكانه الخاصّ به. تشير بعض التقارير والشواهد إلى أنّ السياسيّين الأمريكيّين يستفيدون من الموادّ المخدّرة لإلهاء الشباب والهدف من ذلك أن لا تقع حكومة الأقليّة الرأسماليّة التي لا يتجاوز تمثيلها الواحد في المائة في الخطر. كنت أقرأ في وقت سابق مذكّرات السيّدة كلينتون أثناء حملتها الانتخابيّة مع السيّد ترامب نقلت في قسم من الكتاب أنّها أعدّت برنامجًا رسميًّا كبيرًا في سفرها إلى ولاية كاليفورنيا ـ حسب ما أذكر ـ وقد طلبت من مسؤولي حملتها حذف بعض المحطّات من برنامجها ليتسنّى لها إقامة جلسات مع النساء والأمّهات في المدينة. وتضيف أنّ الجلسة قد أقيمت فقلت لهنّ ماذا تردن منّي إذا أصبحت رئيسة للجمهوريّة وأنا أوّل رئيسة امرأة؟ كتبت كلينتون: إنّ أغلب الأمهات الحاضرات أوضحن أنّ كلّ عائلة منهنّ لديها شابّ أو أكثر ممّن أدمنوا على الهرويين ولم تبادر أيّ من الحكومات الأمريكيّة لإعادة تأهيلهم وإعادتهم إلى الحياة العاديّة. بعضهم يستخدم الموادّ المخدّرة حتّى تصل به الأحوال إلى الموت. تقول كلينتون: إنّها طلبت من معاونيها البحث والتّحري فوجدوا أنّ تعداد القتلى بالهرويين أكبر من القتلى الذين سقطوا في فيتنام. طبعًا كلينتون ذكرت هذه المسألة لتقول إنّ ترامب أساء استخدام هذه المسألة. وأشارت إلى أنّ ترامب حصل على هذه المعلومات من مقابلتها هي وأعلن في برنامجه الإنتخابيّ عن نيّته حلّ المشكلة إلّا أنّه لم يفعل شيئًا بعد أن أصبح رئيسًا للجمهوريّة (الراوي).

الأمريكيّون حول العراق إلى أن خزائن نفط العراق تبلغ مقدارًا يمكن أن يبقى مئة سنة قادمة حتّى لو جرى استخراج ما بين اثني عشر مليون برميل وخمسة عشر مليون برميل في اليوم. وأكّد متخصصو النفط أنّه عندما ينتهي النفط في المملكة العربيّة السعوديّة فالعراق قادر على الاستمرار إلى حوالي خمسين سنة أخرى أو سبعين. أمّا هدف أمريكا فهو البحث عن بديل للنفط فيما لو حصلت أزمة في المملكة العربيّة السعوديّة.

تؤكّد المعلومات أنّ الاقتصاد، وإلى جانب الأهداف السياسيّة ـ الأمنيّة يشكّل باستمرار سببًا ثابتًا يبرّر التدخّل العسكريّ الأمريكيّ في الدول. نحن نعتقد أنّ أكبر احتياطات الغاز في العالم هي في إيران وروسيا وقطر، بينما يؤكد المتخصّصون الغربيّون أنّ سوريا تمتلك أحد أكبر احتياطيات الغاز. كنت أشاهد في بعض المحادثات كما سأبيّن لاحقًا تفاصيلها أنّ أكثر الفاعلين في هذه الأزمات إمّا أنّهم أمريكيّون وإمّا هم على ارتباط بالأمريكيّين؛ سواء أكان الأمر يتعلّق بالعراق أم بسوريا، أم كان حول موضوع أفغانستان، من الطبيعيّ أن يخطّطوا للحركة التي يريدون التوجّه إليها عندما يتتبّعون أهدافهم السياسيّة والأمنيّة، وفي البلد الذي نعجز الآن عن استخراج مصادره، فهل سنكون قادرين على ذلك بعد عشرين عامًا أم لا؟

هدف أمريكا من نشر الديمقراطيّة في الدول العربيّة

أدّت حادثة الحادي عشر من أيلول إلى تغيير العديد من المعادلات في العالم، وبغضّ النّظر عن اعتبارنا الحدث جعليًّا أم

حقيقيًّا (حيث هناك عشرات الشواهد لكل فرضيّة)، فقد أدّت عند الأمريكيّ إلى تغيير جذريّ في الرؤية السياسيّة. فوصلوا إلى نتيجة مفادها أنّ عليهم القيام بإجراءات جديدة لإزالة تلك الضربات الكبيرة التي نزلت بهم ـ إن لم نعتبر ذلك مدبّرًا ـ وقد بيّنت مراكز دراساتهم وكليّاتهم المتخصّصة أنّ هيكل الحكومات الموجود في الدول العربيّة غرب آسيا وشمال الشرق الأوسط لا تؤمن منافع متوسّطة وطويلة الأمد لأمريكا. لذلك قرّروا القيام بعملين: الأوّل أنّهم أرادوا فتح هذه الأنظمة المغلقة تحت اسم شفافيّة النّظام السياسيّ في هذه الأنظمة. وكان أحد المحلّلين العاملين في إحدى خلايا التفكير يقول: يجب القيام بعمليّة تبليغيّة بمستوى الديمقراطيّة الغربيّة حتّى إن الدول العربيّة التي يتناول فيها قادتها الماء بكوب من نحاس أو كوب الميلامين(زجاج صيني/ خزف)، وجب أن نجبرهم على تناوله بكوب من زجاج شفاف يُشاهد من الخارج كلّ ما بداخله وهذا مفيد لنا؛ أي إنّنا يجب أن نشاهد ماذا يحصل داخل النظام السياسيّ لتلك الدول. وعلى هذا النحو، الديمقراطيّة تعني الشفافيّة والشفافيّة تعني قدرتهم على مشاهدة أي حدث داخل الكوب (كناية عن البلد الهدف) وبالتالي الاطلاع عليه. هذا كان واحدًا من احتياجاتهم وجهودهم التي كانوا يسقطونها على الدول تحت مسميات الديمقراطيّة أو بناء الديمقراطيّة أو تحت عناوين من أمثال «خطة الشرق الأوسط الكبير»، «الشرق الأوسط الجديد»، «الشرق الأوسط الديمقراطيّ»، و...الثاني ضرورة تغيير هياكل الحكومات المتحالفة معهم ضمن حركة متدرّجة بهدف الحؤول دون حصول بعض الأحداث مثل الثورة الإسلاميّة في إيران، ووقوع

انفجار سياسيّ أو صدمة جديدة في المنطقة، بحيث يبقى حلفاؤهم أصحاب السلطة الوراثيّة والمحليّة على قوّتهم وفي الوقت عينه يتمكّنون من إدخال أطياف جديدة إلى الحكم أو أجيال جديدة فيه من العائلات الوراثيّة الحاكمة نفسها. وهذا الأمر يرتبط بالمطلب الأوّل أيضًا. بعد الحادي عشر من أيلول اجتمع بعضهم في البيت الأبيض، وجاهروا بالعداوة وقالوا بضرورة تغيير الأنظمة السياسيّة المغلقة، والإمارات والملكيّات في منطقة الخليج الفارسيّ والعالم العربيّ. وقد بدؤوا بالمملكة العربيّة السعوديّة. وبعد مدّة وصلوا إلى نتيجة مفادها أنّ المصالح تتحقّق بشكل أفضل فيما لو حاولوا إدارة التغيير والتحوّل، وعندما يكون منحنى التغيير معتدلًا ومتدرّجًا، وفي الحقيقة أراد الأمريكيّون تغيير العالم العربيّ بأجمعه تحت اسم خطّة الشرق الأوسط الجديد، وهي تغييرات لا تؤدّي إلى الانفجار السياسيّ والاجتماعيّ، وبعبارة أخرى أنّه يجب عدم حصول ثورات في هذه الدول، إلّا أنّ التغيير المدروس في المجالات السياسيّة والاجتماعيّة والمناسب لمصالح نظام السلطة يجب أن يحصل. إنّ طبيعة الثورة هي تحوّل وتغيير كبيرين؛ وتحصل عادة طبق منحنى سريع، إلّا أنّهم أرادوا، وللأسباب التي تقدّمت أن يغيّروا المنحنى وأن يديروه وبالتالي يمكنهم الوصول إلى النتيجة التي يريدونها وقد استفادوا من أساليب متعدّدة للوصول إلى هذا الهدف.

في الوقت الحاضر يناورون من قبل منظّمة الأونسكو حول وثيقة 2030[1].

---

(1) أيد رؤساء الدول وممثلو الهيئات المتخصّصة في الأمم المتّحدة والمجتمع=

ويشدّدون في المجال الثقافي على النساء والشباب وفق الميول الغربيّة ـ الأمريكيّة. إي إنّهم أرادوا إدخال أطياف وأجيال جديدة تمتلك رؤية خاصّة لمصالح أمريكا إلى الأماكن المؤثّرة في المجتمع والحكومة وبالتالي يحصل التغيير. وهذا يعني أنّهم يعملون على تغيير المذاق الثقافيّ والسياسيّ للناس وللجيل الشابّ والنساء. فهم يعلمون أنّ تغيير المزاج والفكر عند المرأة أو الأمّ، يؤدّي إلى تغيير أفكار الجيل بأكمله. لذلك حاولوا ومن خلال هذه الأساليب الوقوف أمام الثورة وعمليّة التحوّلات في المنطقة.

كانوا يظنّون أنّهم إذا أدخلوا القوى العسكريّة على أفغانستان والعراق تحت شعار محاربة الإرهاب، ونزع السلاح، وبناء الديمقراطيّة، فستندفع الناس لاستقبالهم وسيفرشون لهم السجّاد الأحمر. إلّا أنّهم عمليًّا، وجدوا أنفسهم عالقين في معضلة أكبر بعد الاحتلال، وهي كيفيّة الخروج من هذه البلاد بخسائر قليلة وبشكل يحفظ ماء وجوههم.

على كلّ الأحوال، ساهمت التحوّلات السريعة في المنطقة في إسقاط بن علي في تونس. وبعد ذلك، أدّى السقوط المتتالي لبعض

=المدني الذين اجتمعوا عام 2015 في الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة، أصدروا وثيقة عُرفت بخطّة التنمية المستدامة 2030) . أصبحت هذه الوثيقة بديلًا عن أهداف التوسعة الألفيّة وتشتمل على 17 هدفًا أساسيًّا و169 هدفًا خاصًّا. صحيح أن الجمهوريّة الإسلاميّة قد وقّعت بداية على الوثيقة (في إجراء غير مدروس)، إلّا أنّها أعلنت عن عدم تنفيذها لمعارضتها للمجتمع الإيرانيّ على المستويات الثقافيّة والاجتماعيّة. طبعًا ما زال المخطّطون للوثيقة يبذلون جهودًا لتطبيقها في إيران بأساليب متعدّدة (الراوي).

الحكّام المقتدرين، أمثال معمر القذافي، حسني مبارك، وعلي عبد الله صالح[1] إلى إيجاد أمواج من الخوف عند الدول صاحبة التاريخ الاستعماريّ أمثال أمريكا وبريطانيا وفرنسا وتبعه قلق كبير عند الدول ذات الأنظمة الملكيّة المتوارثة.

لهذا السبب وفي برنامج أمني مخطّط له بدأت أمريكا، بريطانيا، الصهاينة وبعض الدول الغربيّة وبمؤازرة السعوديّة والإمارات في اتّخاذ إجراءات لمواجهة هذه الأمواج. أعتقد أنّ الإدارة المركزيّة لهذه الإجراءات كانت بأيدي الأمريكيّين واللوبي الصهيونيّ.

جهود أمريكا لإدارة الأزمة

يتبيّن من خلال دراسة سلوك الأمريكيّين في تلك المرحلة أنّهم كانوا غير راضين عن تحوّلات المنطقة والتحرّكات الشعبيّة التلقائيّة وأنّهم بذلوا جهودًا لإدارة الأحداث في مصر. إلّا أنّهم وفي أيّ مكان دخلوا كانت تظهر أحداث أخرى، ولم يتمكّنوا من السيطرة على الأوضاع. والمشكلة عينها كانت تواجههم تقريبًا في أماكن أخرى. أمّا التقييم الأمريكيّ فكان يبيّن أنّ حركة الناس في المنطقة تقع تحت التأثير المباشر أو غير المباشر للتعاليم الإسلاميّة، أو لخطاب الإسلام السياسيّ والثورة الإسلاميّة في إيران[2].

كانت علائم وجود هذا التحليل عند الأمريكيّين تظهر تارة على

(1) علي عبد الله صالح (1942 ـ 2017م) رئيس جمهوريّة اليمن منذ عام 1978 إلى السابع والعشرين من شباط عام 2012.

(2) أشرنا فيما تقدّم إلى أنّ هذه المسألة تختلف عن ادّعاء تدخّل إيران في هذه التحوّلات (الراوي).

مستوى الإعلام وتارة أخرى على شكل رسائل للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران التي كانت تمتلك مضمونًا كهذا. وكان هذا الأمر يُشاهد أيضًا أثناء المحادثات الدبلوماسيّة. ويظهر من خلالها أنّ الأمريكيّين كانوا يحملون تحليلًا كهذا وأنّهم قد أوجدوا مخطّطًا معقّدًا للمواجهة[1]. كانوا يعتقدون أنّ التغيير إذا لم يحصل عن طريق استمرار نموذج عدم استخدام العنف الذي يسقط فيه القادة الدكتاتوريّون بالتوالي ثمّ يتسلّم السلطة أشخاص يصلون إليها عن طريق الانتخابات الديمقراطيّة، أو تحت شعارات إسلاميّة، سيؤدّي إلى تأثّر سائر شعوب المنطقة به. وكان هذا الأمر يشكّل من وجهة نظرهم خطرًا كبيرًا. لذلك كانوا يرفعون من تكاليف تغيير الأنظمة الموالية لأمريكا عند شعوب المنطقة، وكانوا يفهمونهم أنّ أيّ تغيير في الأنظمة السياسيّة لبلدانهم ستكون تكاليفه باهظة، وهو يعادل سلب الأمن والاستقرار مدّة طويلة. لذلك مارسوا بعض الحركات لتتّجه الثورات نحو استخدام العنف بحيث، عندما يجلس المصريّون ليحاسبوا أنفسهم يحدثّون أنفسهم بأنّ عهد حسني مبارك (حليف أمريكا وإسرائيل) ولو لم يكن له نتائج إيجابيّة، يكفيه أنّه كان يؤمّن الأمن والاستقرار. وعليه يجب أن تصل الشعوب الأخرى إلى هذه النتيجة أيضًا فينتابهم الشكّ والتردّد، أمّا بالنسبة

(1) أعتقد أنّهم تمكّنوا من القيام بأعمال هامّة فتمكّنوا ومن خلال حركة الاعتراضات والثورات والحركات الشعبيّة أن يحرفوا التوجهات بالتدريج عن أصل القضيّة نحو مكان آخر (الراوي).

إلى سوريا فاستخدموا نموذجًا مختلفًا، فكانوا يروّجون لفكرة أنّ رحيل بشار الأسد سيوفّر الأمن والرفاه لسوريا.

من جهة أخرى أظهر الأمريكيّون في العقود الأخيرة أنّ الأمور عندما لا تسير طبق ما يريدون، يتتبّعون مصالحهم من خلال إيجاد الاضطرابات وتعكير الأجواء السياسيّة والاجتماعيّة. وهذا هو الهدف الذي أراده الأمريكيّ في العراق من خلال إيجاد الفوضى حتّى العمليّات الإرهابيّة المدبّرة والمدارة من قبل أمريكا وفي النهاية هدفوا إلى تضييق الأمور على الشعب العراقيّ ثمّ ليصل الشعب إلى نتيجة مفادها أنّ الأمن أهمّ لدينا من أيّ شيء آخر وبما أنّ الأمريكيّ قادر على إيجاد الأمن، فلا ضير في تبعيّة أميركا وما تطلبه أميركا.

والحقيقة أنّهم يفتقدون المعرفة الدقيقة بالمنطقة فلم يدرسوا الظروف بشكل جيّد. بعد أن دخل الأمريكيّون العراق، وجدوا أنّ الأرضيّة صلبة وثابتة وقويّة، والبيئة صعبة للغاية، وتختلف عمّا كانوا يخطّطون له نظريًّا، أصبحوا عند ذلك يدركون شيئًا من الأوضاع. في هذا الإطار وطبقًا لهذا التحليل، أطلق الأمريكيّ شرارة الشروع بالاشتباكات في سوريا في شهر آذار عام 2011 وليتمكّن من القول في النهاية: إنّ سوريا بحاجة إلى إصلاحات بعد سلسلة الاشتباكات والفوضى وفقدان الأمن[1].

---

(1) كنّا ومنذ البداية مع القيام بالإصلاحات السياسيّة ومتابعة طرق الحلول السياسيّة في سوريا ومعارضين للتدخّل في شؤون سوريا الداخليّة والحرب الإرهابيّة.

ولإيجاد الإحساس والشعور بضرورة الأمن الذي يمكن للأمريكيّ وحده أن يأتي به. يبدو أنّ مدبّري هذا البرنامج قد ارتكبوا خطًا كبيرًا.

لذلك بدؤوا في سوريا استخدامهم الاشتباكات المسلّحة بادئ ذي بدء من أجل خلق الموجة التي أرادوها.

اختلاف الاعتراضات في سوريا عنها في الدول العربيّة

من جملة المسائل الهامّة التي يجب عدم الغفلة عنها أن الأحداث في سوريا وعند مقارنتها مع ما حصل في تونس، مصر، اليمن، والبحرين قد بدأت بعد ثلاثة أشهر متأخرة عنها، وهذا يعني أن الرأي العام في سوريا لم يكن مستعدًا بعد للتأثّر بالتحوّلات التي حصلت في شمال أفريقيا وغرب آسيا. إضافة إلى ذلك، فإنّ هناك أمرًا آخر يجعل من سلوك الشعب السوريّ مختلفًا عن سلوك الشعوب العربيّة الأخرى.

صحيح أنّ الشعب السوريّ كان لديه ملاحظات على الهيكل السياسيّ والنظام الحزبيّ الواحد للحكومة في بلدهم، إلّا أنّهم كانوا يشعرون باستمرار بضرورة أن يكونوا في الجبهة المقابلة للعدوّ الصهيونيّ والسبب في ذلك وجودهم في جبهة المقاومة وما كانوا يمتلكون من شعور وإحساس بالنسبة إلى العدوّ الصهيونيّ المحتلّ لمرتفعات الجولان. من هذا المنطلق كانت خطوات السوريّين في هذه المرحلة تتسم بالكثير من الحذر حتّى لا يستغلّ العدوّ أيّ تحرّك لهم.

أشرنا فيما تقدّم إلى أنّ الاعتراضات والاشتباكات بدأت في محافظة درعا على الحدود بين الأردن وسوريا، وهي تحكي عن

شكل من أشكال التدخّل الخارجيّ، وكانت تتّسم بأنّها مسلّحة وإرهابيّة (داعش وجبهة النصرة). في هذه المرحلة سعى المخطّطون لهذه السياسة إلى أن تكون بداية الحملة على سوريا واسعة ذات أبعاد مختلفة. كان هذا الهجوم داخل سوريا على مستويات عدّة:

الأوّل: إنّ الجولات السياسيّة والمطلبيّة في سوريا تحوّلت بسرعة إلى اشتباكات مسلّحة. وهذا أمر لم يحصل تقريبًا في أيّ من دول شمال أفريقيا وغرب آسيا.

الثاني: إنّ الحرب في سوريا لم تكن بين الناس والقوميّات والشيعة والسنّة، بل كانت بين الإرهابيّين الأجانب، إلى جانب بعض الذين انفصلوا عن الجيش السوريّ المدعومين من تركيا وقطر والسعوديّة لكونهم معارضين لبشّار الأسد من جهة[1] وبين الدولة السوريّة من جهة أخرى. ثمّ وصلت هذه الاشتباكات شيئًا فشيئًا إلى دمشق.

وكما أوضحنا من قبل فقد عمل في هذا التيّار أن يستحدثوا في سوريا النموذج الّذي حصل في سائر البلدان بشكل طبيعيّ، ويطوّروه بشكل مهَندس واصطناعيّ (أي نموذج تجمّع الناس في ميدان العاصمة للاعتراض، إلّا أنّ هذا الأمر لم يحصل في سوريا، بل انطلقت مجموعة من الحركات والمظاهرات المتفرّقة. في المقابل كان الإرهابيّون فاعلين في مختلف الأراضي السوريّة[2].

(1) شكّل هؤلاء مجموعة عرفت بالجيش الحرّ (الراوي).

(2) كان الجيش المعروف بالجيش الحرّ لا يمارس العنف والإرهاب كما عرف عن المجموعات الأخرى، إلّا أنّه بدّل من طريقته ليماشي أساليب تلك=

الجهود السياسيّة لإقناع طهران

بدأ المدافعون عن هذا المخطّط بمجموعة من الإجراءات على المستوى السياسيّ في المنطقة. أمّا أبرز الدول في المنطقة التي بذلت جهودًا كبيرة لإقناع الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران بالتخلي عن دعم سوريا، فأوّلًا تركيا ومن ثمّ قطر.

في عام 1391 (2012م)، وفي أوج الأزمة السوريّة بدأت بعض الدول جهودها لركوب موجة معارضة الدولة السوريّة والعمل في هذا الاتجاه، باعتبار ما كان يتصوّره المحلّلون الدوليّون والمحليّون من أنّ حكومة بشّار الأسد ستسقط خلال أسابيع قليلة حيث كانوا ينظرون إلى مطالب المعترضين في سوريا على أنّها تّتسم بالجديّة.

لا أنسى أنّ وزير خارجيّة تركيّة آنذاك، السيّد «أحمد داوود أوغلو»، والسيّد «الشيخ حمد» رئيس الوزراء ووزير خارجيّة قطر، وكذلك السيّد «خالد العطيّة» الوزير المساعد في الشؤون الخارجيّة في قطر، حضروا إلى طهران في مدّة قصيرة، على أعتاب شهر رمضان المبارك، وحصلت جلسات حضرتُها إلى جانب الدكتور علي أكبر صالحي وزير الخارجيّة، والسيّد الدكتور سعيد جليلي ممثل الإمام القائد وأمين المجلس الأعلى للأمن القوميّ.

حاولوا في هذه الجلسات أن تكون الأجواء النفسيّة للمحادثات

=المجموعات فبدأ بأساليبه الإرهابيّة معتقدًا أنّ التخريب يساعد في إسقاط بشّار الأسد. كما أنّ العمليّات الإرهابيّة كانت تُقسّم بين داعش والنّصرة والجيش الحرّ، وكانوا قد استهدفوا عشرات المساجد والمستشفيات ومحطّات إنتاج الكهرباء (الراوي).

إلى جانبهم، أي إنّ وزيري الخارجيّة أكدا على أنّ مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران الإمام الخمينيّ (رضوان الله تعالى عليه) يرفض الظلم ثمّ يستدلّون بأنّ بشّار الأسد غير مقبول من شعبه ثمّ كانوا يستنتجون قائلين: إنّكم يجب أن ترضوا بإسقاط بشّار الأسد اتّباعًا لقائدكم الإمام الخميني (رض). إلى جانب هذا المطلب كانوا يحملون تحذيرًا جديًّا، فكانوا يدّعون أنّ هناك قرارًا بالاشتباكات المسلّحة الواسعة في صلاة التراويح التي يقيمها أهل السنّة في المساجد[1].

وكانوا يضيفون: إنّ هذا الحدث إذا ما حصل في سوريا فسيقتل الصائمون والمصلّون في المساجد وستجري سيول الدماء، ثمّ كانوا يزعمون أنّ على إيران المساعدة على إبعاد بشار الأسد قبل شهر رمضان. وكانت بعض وسائل الإعلام من أمثال شبكة CNN الأمريكيّة، BBC البريطانيّة، العربيّة السعوديّة والجزيرة القطريّة يقرعون على هذا الطبل.

في هذه الأيّام وبتخطيط من أمريكا وحضور هيلاري كلينتون وزيرة خارجيّة أمريكا آنذاك، اجتمع واحد وثمانون بلدًا في تونس التي خرجت حديثًا من التحوّلات السياسيّة التي شهدتها[2].

---

(1) تطلق صلاة التراويح على الصلاة التي يصلّيها أهل السنّة جماعة في شهر رمضان، ووقتها بعد صلاة العشاء. والمتعارف عليه بين أهل السنة قراءة جزء من القرآن في كلّ ليلة حيث تتألّف صلاة التراويح من عشرين ركعة. ويُسلّم بعد كلّ ركعتين وهناك استراحة (ترويحة) بعد كلّ أربع ركعات، لذلك يطلق عليها صلاة التراويح.

(2) خرج «زين العابدين بن علي» من تونس وتولّت السلطة الحركات السياسيّة الجديدة ومن جملتها «حزب النهضة» (الراوي).

جرى هذا اللقاء تحت عنوان «مجموعة أصدقاء سوريا» وكانت مجموعة أصدقاء سوريا تتكلّم بكلام واحد ولها هدف واحد: «العمل على زعزعة الأمن، وإيجاد حالة عدم الاستقرار السياسيّ والاجتماعيّ في سوريا، وإجبار بشّار الأسد على التنحّي».

أتذكّر أنّ السيّد «راشد الغنوشي» قائد حزب النهضة في تونس لم يكن قادرًا على اتّخاذ موقف مختلف حول سوريا(1).

وكنت قد التقيت في هذه الأيّام السيّد راشد الغنوشي، وكان استقباله للوفد الإيرانيّ حارًّا للغاية وقد سعى كي لا يتكلّم بحديث ذي نبرة عالية ضدّ النظام السياسيّ في سوريا وشرح نواياه الخيّرة للمنطقة وإيران.

وقد التقيت في جلسة وزير خارجيّة تونس آنذاك برفقة سفير بلدنا، الدكتور محمّد محمّدي ورئيس الدائرة السياسيّة المعنيّة في

(1) في أحد اللقاءات اللاحقة التي جمعتني بالسيّد الغنوشي في منزله بتونس كان يتحدّث عن محبّته للإمام الخمينيّ رحمه الله ومقدار التأثّر به. والمعروف أنّه ألّف كتابًا حول شخصيّة الإمام ولهذا السبب سجن سنوات أثناء حكم «بن علي» وقد روى السيّد راشد الغنوشي مسألة هامّة أذكرها بين هلالين. يقول: إنّ الحكم الذي صدر ضدّه في زمان بن علي بجرم تدوين كتاب حول أفكار الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه، هو السجن لخمس سنوات، بعد صدور الحكم تحدث أحد الدبلوماسيّين الإيرانيّين في تونس وقال إنّه على الرغم من صدور الحكم إلّا أنّ السيّد راشد الغنوشي يبقى من قادة تونس في المستقبل وسنرى له مستقبلًا هامًّا في تحوّلات تونس المستقبليّة. ثمّ تحدّث بكلام يمزج فيه بين الجدّ والمزاح بقوله: إنّ كلام سفيركم (أو الدبلوماسيّ) قد أدى إلى إضافة عدّة سنوات إلى سنوات سجني الخمس. راشد الغنوشي اليوم هو رئيس مجلس النواب في تونس (الراوي).

وزارة الخارجيّة، موسى فرهنگ، وقد حصلت اللقاءات في جوّ حميميّ. في تلك الأيّام كانت مسألة إسقاط النظام السياسيّ في سوريا وتوجيه ضربة لمحور المقاومة تجري على الألسن حتّى في الدول الإسلاميّة التي شهدت ثورات(1).

(1) منذ بداية الأزمة السوريّة كنّا ننتظر من السيّد راشد الغنوشي الدفاع عن سوريا باعتبار اتصالها بموضوع المقاومة ومواجهة الكيان الصهيونيّ وأن يكون له موقف واقعيّ. والمقصود من الموقف الواقعيّ أن يأخذ بعين الاعتبار حقائق الأوضاع السياسيّة في سوريا، والحرب الإرهابيّة عليها، وكذلك حاجات الشعب السوريّ في امتلاك الأمن والاستقرار ليتمكّنوا من اتّخاذ قرار بخصوص مستقبل بلدهم. وقرار الناس هو الذي يحدّد إمّا بشّار الأسد أو غيره كنّا نتوقّع منه موقفًا كهذا إلّا أنّ تونس اتّخذت موقفًا حادًّا ضدّ السيّد بشّار الأسد حتّى هذه اللحظة لم يتحدّث السيّد راشد الغنوشي بصوت عال دفاعًا عن سوريا وبشّار الأسد. ولكن عندما شاهد تعقيدات المسألة السوريّة والتدخّل الخارجيّ فيها والحرب الإرهابيّة عليها عن قرب، قلّص من انتقاداته لحكومة بشّار الأسد مركزًا على المحادثات والاستشارات الدبلوماسيّة واجتنب اتّخاذ موقف علني ضد السيّد بشار الأسد. وصل في عام 1397 (2018م) لرئاسة المجلس الوطنيّ في تونس طبعًا إنّ جزءًا من مواقف السيّد الغنوشي تجاه سوريا له علاقة بالإخوان المسلمين ووجودهم في سوريا ومواجهتهم بالقوّة في زمان الرئيس حافظ الأسد وعدم الالتفات إلى مطالبهم، كما أنّ جزءًا آخر من مواقفه يعود للمحاولات التي كانت تبذلها بعض الشخصيّات على مستوى تعظيم الخلاف بين الشيعة والسنة ومدى الابتعاد بينهما مما ترك تأثيره في أذهان بعض الشخصيّات الإسلاميّة ومن جملتهم السيّد راشد الغنوشي، في اللقاء الأخير الذي جمعني به أي في النصف الثاني من شهر فروردين عام 1395 (نيسان 2016م) وكان قد مضى حوالي خمس سنوات على أحداث سوريا، تحدّثنا بشكل مفصّل في الكثير من الموضوعات، في ذاك اللقاء لم يتحدّث السيّد راشد الغنوشي بأيّ كلام سلبيّ عن سوريا وبشّار الأسد. وقد استنتجت أنّ مجموع ما حصل في سوريا غيّر رؤيته وقد ابتعد عن رؤيته القديمة الحادّة بضرورة سقوط بشّار الأسد (الراوي).

في الجلسة الأولى لاجتماع ما عُرف بمجموعة أصدقاء سوريا، وعندما خرجت هيلاري كلينتون وزيرة الخارجيّة الأمريكيّة آنذاك من الاجتماع، صرّحت للصحافيين قائلة: سنعطي السلاح لمعارضي بشار الأسد لنصل بذلك إلى النتيجة.

وأمّا «الأمير سعود الفيصل» وزير خارجيّة المملكة العربيّة السعوديّة وبعد أن خرج من اللقاء، فقد صرّح بأنّه غير راضٍ عن نتائج هذا الاجتماع الذي حضره حواليّ 81 بلدًا، وأريد التشديد على وجوب رحيل بشّار الأسد، ولا طريق آخر سوى إمداد معارضي بشار الأسد بالسلاح والمال.

هذا هو الجوّ في الدول العربيّة والغربيّة، وكانت تركيا وقطر تبذلان جهودًا لإقناع إيران في إيقاف دعمها لسوريا. وعلى المستوى الدوليّ عُقِدَت جلسات عديدة بحضور أكثر من ثمانين بلدًا في تونس، وفي بروكسل وباريس. طبعًا بدأ تدفّق الإرهابيّين الأجانب إلى سوريا تحت مسمّى المعارضين المسلّحين، وذلك من مختلف أصقاع العالم (أوروبا، أمريكا، شمال أفريقيا، آسيا الوسطى و...).

وترافق هذا الأمر مع دعم الأجهزة الأمنيّة الأجنبيّة التي وصل بها الأمر إلى أن يزور رئيس الجهاز الأمنيّ السعوديّ (بندر بن سلطان) موسكو كما أخبرني المسؤولون الروس لإقناع روسيا بإيقاف دعمها لسوريا، حيث كانوا يعتقدون أنّ بشار الأسد سيسقط بالأسلوب العسكريّ.

خطّة إيران الرباعيّة؛ طريق الحلّ السياسيّ للأزمة

قدّمت إيران في شهر دي عام (1391هـ.ش) (كانون الثاني 2013) خطّة سياسيّة للأمين العامّ للأمم المتّحدة، في ذاك الوقت كان السيّد الدكتور صالحي وزير خارجيّة إيران وكان هذا هو المخطّط السياسيّ الوحيد على طاولة المفاوضات الدبلوماسيّة، وذلك في ظروف كان اللاعبون المحليّون والدوليّون يدعمون الحلّ العسكريّ، ثمّ أصبح السيّد الدكتور ظريف وزيرًا للخارجيّة، وكنت أتولّى مسؤوليّة المعاونيّة في هذا الشأن، أعدنا دراسة الخطّة المقترحة ثمّ قدمناها من جديد إلى الأمم المتّحدة. عملنا سابقًا عشرات الساعات في إعداد هذا المقترح على مستوى الدراسات والمطالعات والاستشارات، قمت مع بعض المسؤولين بعدد من الزيارات ودرسنا الخطّة السياسيّة عدّة مرات مع السيّد بشّار الأسد ليشارك فيها القادة السوريّون. أمّا قضيّة التشاور المستمر مع رئيس الجمهوريّة السوريّة السيّد بشّار الأسد فهي توصية، كان يقدّمها الإمام القائد الخامنئيّ باستمرار وعلى أعلى المستويات، وكذلك «اللواء سليمانيّ» إلى الأجهزة ذات العلاقة والتقينا عشرات المرّات مع المجموعات السوريّة المعارضة سواء في طهران أو مناطق أخرى.

جرى تقديم هذه الخطّة ذات الموادّ الأربع بعد الأخذ بعين الاعتبار الظروف الواقعيّة في سوريا، لتشكّل خريطة طريق للحلّ السياسيّ. كانت الجمهوريّة الإسلاميّة تؤكّد ضرورة توقّف القتل والمذابح وكذلك توقّف الإرهاب في سوريا، بناءً على ذلك كان

اقتراح طهران في البند الأوّل من الخطّة الرباعيّة وقف إطلاق النار. كان ينبغي أن يتوقّف إطلاق النار من جميع الأطراف المتحاربة بدءًا من «الجيش الحرّ» إلى «جبهة النصرة» المنفصلة عن القاعدة إلى داعش التي بدأت تظهر شيئًا فشيئًا في سوريا وكذلك من جانب الجيش السوريّ.

البند الثاني: من الخطّة الرباعيّة التي قدّمتها الجمهوريّة الإسلاميّة، إرسال مساعدات إنسانيّة فوريّة إلى مناطق الاشتباكات، باعتبار أنّ الناس في هذه المناطق كانوا تحت حصار الإرهابيّين.

البند الثالث: إعادة النظر بالدستور في سوريا ومن ثمّ إقامة استفتاء على الدستور الجديد.

البند الرابع: إقامة انتخابات نيابيّة ورئاسيّة وتشكيل حكومة وحدة وطنيّة في سوريا بمشاركة جميع الأطراف.

تتضمّن الخطّة التي قدّمتها الجمهوريّة الإسلاميّة نقطة جوهريّة. وعلى أساسها يتمّ تشكيل حكومة وحدة وطنيّة بمشاركة الأطراف المعتقدة بالحلّ السياسيّ فقط. الواضح أنّ الأشخاص الذين حملوا السلاح أي الإرهابيّين الأجانب، والأشخاص المرتبطين بالأفكار والمجموعات الإرهابيّة، غير مشمولين بها[1].

---

(1) الآن، وبعد مضي سبع سنوات على الأزمة في سوريا فإنّ إحدى أهمّ المشكلات التي تواجهها الطروحات السياسيّة والتي جعلت الحلّ أبترغير كامل، وعلى رغم مشاركة ممثّلي الحكومة السوريّة والمعارضين في جنيف وأستانة وسوتشي، محاولات الجهات الغربيّة والأمريكيّين والسعوديّين تبديل لباس الإرهابيّين فقد ألبسوا بعض الإرهابيّين لباسًا رسميًّا، وأرسلوهم إلى المحادثات معتبرين أنّ=

على المستوى السياسيّ كانت الجهود المحليّة والدوليّة والخطّة الرباعيّة الإيرانيّة على طاولة المحادثات. حاولت إيران جعل هذا المخطّط بندًا على جدول أعمال الأمين العام للأمم المتّحدة وعلى جدول أعمال مجلس الأمن. وبهذا الهدف بدأت سلسلة محادثات مع الأوروبيّين أمثال فرنسا، ألمانيا، النمسا، سويسرا، إيطاليا، بريطانيا وبعض دول المنطقة من أمثال عُمان، قطر، الكويت، لبنان، باكستان وكذلك روسيا والصين ومصر وأستراليا والنرويج و...ومنظّمة الأمم المتّحدة، ومنظّمة التعاون الإسلاميّ والجامعة العربيّة. وقد لعبت بعض دول المنطقة كالجزائر، العراق، لبنان والكويت دورًا بنّاءً في تنفيذ الخطّة الرباعيّة التي قدّمتها الجمهوريّة الإسلاميّة.

=جلوسهم على طاولة المحادثات يدفعهم لترك السلاح علمًا أنّ ذاتهم وهويّتهم الإرهاب، وأهدافهم إرهابيّة.

في أوج الاشتباكات في سوريا التقيت مجموعة من المعارضين السوريّين في ألمانيا. قلت لهم في الظاهر يبدو أنّكم من المعتقدين بالحلّ السياسيّ ولكن امتدادكم داخل سوريا يعود للمجموعات الإرهابيّة المسلّحة. عليكم أن لا تسعوا في جعل الإرهابيّين الذين لم يرحموا الشعب السوريّ أن يبدلوا لباسهم ويرتدوا لباسًا رسميًّا ثمّ يأتون للجلوس على طاولة المحادثات. قدّمت لهم أمثلة وقلت على سبيل المثال، في الأسبوع الماضي قام الإرهابيّون باستهداف محطة إنتاج الكهرباء في دمشق وفي الوقت نفسه فجّروا مولّد كهرباء أحد المستشفيات الذي يعطي ما يقرب من الأربعين ميغاوات. فإذا كانت مشكلة الإرهابيّين مع النظام السياسيّ الحاكم في سوريا فلماذا يستهدفون محطّة إنتاج الكهرباء في المستشفى، ممّا يزيد مشكلة علاج الناس، ولماذا يهاجمون المستشفى؟ قلت لهم يبدو أنّ الذين يحملون السلاح داخل سوريا لا يشكّل الشعب السوريّ لهم أيّ أهميّة وهم في الحقيقة يكذبون (الراوي).

في عام 1391 (2012م) قدّم رئيس الجمهوريّة العربيّة السوريّة خطّة سياسيّة تتّسم بالابتكار. تتضمن خطّة السيّد بشّار الأسد لإنهاء الأزمة رفض العنف والإرهاب، رفض التدخّل الأجنبيّ، رسم مستقبل البلد على أساس رفض احتكار السلطة والتعدّديّة السياسيّة، إكمال العمليّة السياسيّة على أساس الميثاق الوطنيّ، ومن ثمّ تدوين دستور جديد، ويأتي بعد الانتخابات البرلمانيّة وتشكيل حكومة جديدة. وقد أعلن الدكتور صالحي وزير خارجيّة إيران آنذاك تأييده العلنيّ للخطّة التي قدّمها الرئيس الأسد. إلّا أنّ الدول التي شاركت في لقاء تونس ومن جملتها أمريكا، السعوديّة، قطر، تركيا، فرنسا، بريطانيا و...لم تُبدِ أيّ اهتمام بذلك واستمرت بدعمها للمعارضين والمسلّحين. بينما انتقل بشار الأسد إلى رؤية أكثر دقّة من خلال وضع الإصلاحات في الدستور الجديد تمهيدًا للاستفتاء العامّ.

التحدّيات أمام المحادثات

كانت هناك مسألة أضيفت إلى العوائق التي حالت دون تجهيز الأرضيّة المناسبة للحوار بين الأطراف المشاركة في الأزمة، وهي من هم الذين ينبغي أن يشاركوا في الحوار السياسيّ بين مختلف الأطراف؟ أحد طرفي الحوار طبعًا هو الحكومة، ولكن من هو الطرف الآخر؟ الدول المساندة للإرهاب كانت تقول لقادة هذه المجموعات الإرهابيّة: قصّروا لحاكم، ارتدوا لباسًا رسميًّا، وأمسكوا الأقلام بأيديكم بدلًا من السلاح ثمّ اذهبوا إلى جنيف للمشاركة في المحادثات. وكانوا يغيّرون أسماء هذه المجموعات

أثناء المحادثات. مثال ذلك كانت مجموعة «جبهة النصرة» يطلق عليها في وقت من الأوقات «فتح الشام».

في الجهة المقابلة، كان ممثّلو الحكومة السوريّة يعلنون رفضهم الجلوس مع الإرهابيّين. لم يكن ممكنًا للحكومة السوريّة أن تعترف رسميًّا بمجموعة إرهابيّة يشكّل المحاربون الأجانب أكثر من ثلاثين في المائة من أفرادها.

السؤال الآخر الذي كان يُطرح في هذا الشأن: هل يعقل أن تجلس المجموعات المسلّحة التي قتلت الناس ولم تتخلّ عن السلاح على طاولة المفاوضات بوساطة منظّمة الأمم المتّحدة؟ وقد ناقشتُ هذا الأمر مطوّلًا مع المسؤولين في منظّمة الأمم المتّحدة. الحكومة السوريّة كانت تؤكّد على أنّ المعارضين السياسيّين الحقيقيّين هم الذين يجلسون على طاولة المفاوضات. كما يجب أن يكون هؤلاء من الذين يمتلكون أرضيّة داخل المجتمع السوريّ. قد يكون بعضهم سوريًا ولكنّه يعيش منذ سنوات طويلة في الغرب. كانت الحكومة تقول: حدّثونا عن وزنهم السياسيّ؟ بعد البحث اتّضح أنّ الكثيرين منهم لم يكن لهم أيّ تأثير في المجتمع السوريّ. كان من المقرّر أن يتخلّى هؤلاء عن السلاح بعد الوصول إلى اتّفاق في المحادثات؛ ولكن لم يكن لهم أيّ وزن في الميدان، ليقيم أحد وزنًا لكلامهم، هؤلاء الأشخاص كانوا يعيشون غالبًا في أوروبا. وقد أرسلتُ بعض مساعديّ إلى أوروبا للحديث والحوار مع العديد منهم. الخلاصة التي وصلنا إليها أنّ الكثير من المعارضين الذين يسكنون في الخارج ولا يمتلكون أي قوّة، وبالتالي الحوار معهم لا

يأتي بأيّ فائدة عمليًّا. كان الأمريكيّون يساعدون بعضهم من أموال النفط السوريّ المسروق. كانوا يتصوّرون أنّ هذه المجموعات والأحزاب المعارضة للرئيس بشّار الأسد قد تنطلق بهذه الأموال وتصبح أكثر فاعليّة. أذكر أنّ أحد المسؤولين الأمريكيّين وهو صاحب منصب عالٍ وموظّف في منظّمة الأمم المتّحدة كان يقول: بعد مدّة شاهدت هؤلاء (المعارضين المدعومين من الغرب) يمتلكون في أوروبا أجمل القصور وأغلى السيارات طبعًا كانوا يشاركون أسبوعيًّا في عدّة جلسات ضدّ بشّار الأسد. أعتقد أنّ من جملة الحظوظ التي رافقت السيّد بشّار الأسد والشعب السوريّ أنّ المعارضين والمخالفين لم يمتلكوا أيّ برنامج وليسوا متّحدين فيما بينهم، على الرغم من الجهود التي بذلتها إحدى وثمانون دولة في العالم والتي كانت تدعمهم تحت ضغط أمريكا. إلّا أنّ هؤلاء الأفراد كانوا يفتقدون القابليّة للاستفادة من هذا الدعم.

عدم جهوزيّة الأرضيّة للحوار بين الأطراف المتنازعة

عندما عرضنا فكرة المحادثات لم يكن أيّ من الأطراف المتنازعة جاهزًا لها. في ذاك الوقت كان الجميع يتحدّثون عن الحرب. وكان ما يقرب من ستين في المئة إلى سبعين في المئة من الأرض السوريّة إمّا في أيدي المعارضين المسلّحين والإرهابيّين وإمّا تحت حصارهم، وكان الجميع يردّدون أن حكومة بشار الأسد ستسقط خلال أسبوعين. عندما كنّا ندعو إلى محادثات سياسيّة، كان معارضو الحكومة السوريّة ومخالفو الاتّجاه السياسيّ لإيران في المنطقة يقولون إنّ الإيرانيّين يقدّمون خديعة بخطّتهم هذه التي

تحمل اسمًا جميلًا وهو المحادثات، وإلّا فلماذا نذهب للمحادثات إذا كانت الظروف تشير إلى انتصارنا؟

لو كان المعارضون بمعنى ما يمتلكون الكياسة اللازمة لوجب أن يحدّثوا أنفسهم بأنّهم يحاصرون ما يقرب من سبعين في المئة من الأراضي السوريّة، أو أنها تحت أيديهم، وهم في موقف قويّ، لذلك يمكنهم دخول المحادثات والوصول من خلالها إلى أفضل النتائج إلّا أنّ هؤلاء كانوا واثقين بانتصارهم الميدانيّ، وكانت الظروف المحليّة والدوليّة تؤيّدهم.

كان باراك أوباما وهيلاري كلينتون يلتقيان بعض قادة المعارضين في البيت الأبيض، وبعضهم لم يكن له أيّ وزن على الإطلاق، ثمّ ينشرون هذه الأخبار ويشجّعوهم على الاستمرار بالحرب الإرهابيّة وإسقاط النظام السياسيّ في سوريا. كانوا يمدّونهم بالمعنويّات حتّى إنّهم صاروا يقولون: إنّ أمريكا تقف خلفنا، كلّ العالم يدعمنا، إذًا لماذا ندخل المحادثات؟ سنستمرّ حتّى إسقاط بشار الأسد.

كان بعض المعارضين يعتبر النصر قريب الحصول بحيث يصرّحون بأنّ هذه الحوارات واللقاءات التي نقوم بها كفيلة بإسقاط بشار الأسد والنظام الحاكم، حتّى لو لم نقم بأيّ عمل في الميدان. وكان المعارضون يتحدّثون حول الجمهوريّة الإسلاميّة ويقولون: «إنّ سوريا على أعتاب السقوط وإنّ الإيرانيّين يتابعون الحلّ السياسيّ بالإجبار خصوصًا في هذه الظروف المضطربة التي تعيش فيها الجمهوريّة الإسلاميّة أوضاعًا غير مستقرة إضافةً إلى أنّ الأمريكيّين يشدّدون الحصار عليها أو كما كانت تعبّر هيلاري

كلينتون عن ذلك بالحصار القاتل، والسبب في ذلك أنهم عاجزون حقيقة عن الإتيان بأيّ عمل آخر»[1]. علمًا بأنّهم كانوا يملكون فهمًا خاطئًا عن الأوضاع.

في تلك المرحلة حتّى عندما كنّا ندعو الحكومة السوريّة للحوار، كانوا يجيبون بأنّ خطّتكم جيّدة؛ إلّا أنّنا الآن يجب أن نتعاطى بقوّة مع العدوّ في ساحة الحرب، ويجب أن نقضي على الإرهاب، وأن نأتي بهم إلى طاولة المفاوضات من موقع القوّة، إلّا أنّهم لم يعارضوا الإجراءات السياسيّة للجمهوريّة الإسلاميّة على الإطلاق؛ بالأخص شخص قائد سوريا، السيّد بشّار الأسد، الذي كان مؤمنًا بالحلّ السياسيّ في أوج الدفاع والحرب ضد الإرهاب. إضافةً إلى المحادثات الدبلوماسيّة لوزارة الخارجيّة في ذلك الزمان، كان هناك محادثات على مستوى عالٍ بين اللواء سليمانيّ والمسؤولين السوريّين حول الابتكارات السياسيّة والميدانيّة، وقد أدّت كلّ من وزارة الأمن، الأمانة العامّة للمجلس الأعلى للأمن القوميّ والأجهزة الأمنيّة والعسكريّة أدوارًا مضاعفة في حفظ الأمن الوطنيّ في البلد وأمن المنطقة.

من جملة الحظوظ التي كانت إلى جانبنا في سوريا والمنطقة،

---

(1) في وقت لاحق أوضحت السيّدة هيلاري كلينتون وزيرة الخارجيّة الأمريكيّة آنذاك في مذكّراتها الضربات التي وجّهتها الجمهوريّة الإسلاميّة لسياسات أمريكا في سوريا، وكتبت عن حالة واحدة على سبيل المثال أنّ حزب الله حليف الجمهوريّة الإسلاميّة قد أدخل ألف مقاتل على سوريا وهؤلاء الألف هم الذين غيّروا المعادلة في سوريا لمصلحة بشّار الأسد، وبالتالي ألحقوا الضرر بنا (الراوي).

تقديم تقييمات دقيقة وميدانيّة ومعلومات تدلّ على تجربة واسعة للأجهزة الأمنيّة والاستخباراتيّة في الجمهوريّة الإسلاميّة وأداء هذه الأجهزة الاحترافيّ. سافر الدكتور ولايتي باعتباره مستشارًا دوليًّا للإمام القائد إلى سوريا مرارًا وكنت إلى جانبه على الدوام حيث أجرينا مباحثات هامّة ومفيدة. وكان للأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القوميّ[1] دور تنسيقيّ خاصّ في أعلى المستويات في هذه الساحة.

عقد جلسة طهران

في أوضاع كهذه عقدت الجمهوريّة الإسلاميّة الحوار السياسيّ الأول بين ممثّلي الحكومة السوريّة والمعارضين في طهران، دُعيَ العديد من الأحزاب والمجموعات المعارضة والهيئات السياسيّة والمدنيّة المؤمنة بالحوار من داخل سوريا وخارجها من دول أمريكا وأوروبا ومنطقة غرب آسيا بعد التعرّف إليهم. بعضهم كان لديه موانع (قيود) وملاحظات سياسيّة، ولهذا كان غير قادر على الحضور إلى طهران لذلك أعلنوا في اللحظات الأخيرة انسحابهم من المشاركة. كانوا يقولون نحن نرفض الأساليب الغربيّة والسعوديّة؛ ولكن لدينا أيضًا ملاحظات تمنعنا عن المشاركة في هذه الجلسة، في النهاية حضر قرابة 170 شخصًا في الجلسة من أحزاب المعارضين ومجموعاتهم والمنظّمات المدنيّة، حضر من جانب الحكومة السوريّة «قدري جميل»، الذي كان يشغل منصب معاون رئيس الحكومة آنذاك مع فريق.

(1) الدكتور سعيد جليلي والأدميرال علي شمخاني.

استمرت الجلسة ثلاثة أيّام ليلًا ونهارًا في فندق استقلال.

كانت إدارة الجلسة على عاتقي، والإدارة العليا على عاتق الدكتور صالحي، باعتباره وزيرًا للخارجيّة، وحضر من الجمهوريّة الإسلاميّة كلّ من السيّد عامري، المدير العامّ لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهو شخص على دراية باللغة العربيّة وصاحب علاقات قويّة ويتمتّع بروحيّة عالية، السيّد رؤوف شيباني، سفيرنا المجد إضافةً إلى المديرين والمتخصّصين كافّة في منطقة الشرق الأوسط والشؤون الدوليّة في وزارة الخارجيّة.

يعتبر هذا الحوار هو الأول بين الطرفين المتخاصمين في سوريا، وخلافًا للتصوّر الأوّليّ لبعض المحللين، كانت الأجواء الغالبة على جلسة طهران تُظهر وجود معارضة للحكومة السوريّة. إنّ أكثر الأشخاص ليونة، من بين الذين وفدوا من أوروبا، أمريكا، أو من الداخل السوريّ، كانوا من المنتقدين الحقيقيّين للنظام ويطالبون بإجراء تعديلات جذريّة فيه. كانت أجواء الضغوط لتغيير النظام في سوريا على أشدّها، حتّى إنّ السيّد قدري جميل، معاون رئيس الحكومة، ورئيس الهيئة التي أرسلها السيّد بشّار الأسد إلى طهران، ترك سوريا، وهاجر إلى إحدى الدول الأجنبيّة بعد عدّة أسابيع من جلسة طهران، إلّا أنّه حافظ على أصوله في الدفاع عن وحدة سوريا وسيادتها وسلامة أراضيها[1] وكانت الأجواء السياسيّة والدوليّة في تلك المرحلة شديدة للغاية.

(1) كان قدري جميل موافقًا على الإطار السياسيّ الذي قدّمته طهران وما زلنا على علاقة به (الراوي).

دُعيت الحركات السياسيّة كافّة وكذلك الشخصيّات على مبدأ قبول الحوار، وكانت معرفة الأشخاص في تلك الأوضاع معقّدة للغاية، خصوصًا أنّنا تحركنا في الدعوة على مستوى المعارضين والخصوم السياسيّين إلى دعوة المنظّمات المدنيّة.

ففي الدول العربيّة على سبيل المثال، فإنّ للنقابات تاريخًا طويلًا وبعضهم من المعارضين الحقيقيّين من أمثال نقابات الأطبّاء أو الحقوقيّين.

طبعًا يجب الإشارة إلى أنّ جميع الأشخاص الذين اجتمعوا في طهران كانوا يمتلكون قاسمًا مشتركًا مهمًّا، أي إنّهم وعلى رغم معارضتهم للنظام في سوريا، كانوا يعارضون الحرب وحمل السلاح أيضًا ويشدّدون على طريق الحلّ السياسيّ.

بعد جلسة طهران، استمرّت اتّصالاتنا سواء بالذين اجتمعوا في طهران أو الذين لم يحضروا. وعملنا من دون ضجيج على إرسال بعض هذه المجموعات إلى الداخل السوريّ لتحاور دمشق. ولكن المشكلة الكبيرة التي كانت تواجه أغلبهم أنّهم يسكنون في أوروبا، وهم على ارتباط قويّ بالأجهزة الأمنيّة والسياسيّة في البلدان التي يعيشون فيها، إلّا أنّهم يفتقدون الوزن والنفوذ داخل سوريا.

دعونا السفراء والهيئات الدبلوماسيّة كلّهم في طهران لافتتاح المؤتمر؛ ليشاركوا في الجلسة. وهيّأنا الأجواء ليتمكّن الراغبون من الهيئات الدبلوماسيّة من المشاركة في جلسات الحوار.

ومن بين الذين حضروا من المشاركين: الأكراد، العلويّون، السنّة، المسيحيّون، الدّروز و....وكان هناك حضور جامع تقريبًا

لمختلف طبقات المجتمع السوريّ وفئاته في الوقت عينه كان بعضهم في الداخل والخارج يقول إنّ إيران دعت بعض المعارضين دعاة الهدوء والسّلام ليشاركوا في عراضة طهران. والحقيقة أنّ أجواء اللقاء كانت متشنّجة للغاية.

أخذت المشاجرات العصبيّة والجديّة ذات الطابع العربيّ قسمًا كبيرًا من وقت الجلسة، كانت جلسات هذا اللقاء من أصعب الجلسات التي أوكلت إليّ، في هذه الأيّام الثلاثة أو الأربعة من الحوار كان الجدال والنقاش السياسيّ حتّى العراك بين الأفراد والمجموعات يستمرّ حتّى أذان الصبح[1].

كان الدور الذي لعبه الدكتور صالحي وزير الخارجيّة آنذاك مفيدًا وبارزًا. من جملة الأمور التي ساعدتنا كثيرًا على هامش الجلسات وأثناءها حضوره الدائم في إحدى غرف الفندق. وطوال مدّة اللقاء كان يسكن إحدى غرف الفندق حتّى إنّه كان يبيت الليل هناك.

لأنّ الحوارات كانت مشحونة بأجواء متشنّجة وثمّة احتمال بأن يخرج المشاركون عن الآداب واللياقات الدبلوماسيّة، لم نستطع المخاطرة بالطلب من وزير الخارجيّة أن يدير الجلسات. كان حضوره مقبولًا في افتتاحيّة الحوار وختامه، ولكن لم يكن من المنطقي أن يحضر باقي الجلسات حضر الدكتور صالحي في الفندق طيلة أيّام انعقاد اللقاء، ليكون جاهزًا في حال أراد وفد من الوفود لقاءه ومحادثته، أو أردنا استشارته في موضوع ما. وإلى

---

(1) كان المعارضون في الداخل والخارج يوجّه بعضهم الاتّهامات إلى بعض ممّا يؤدّي إلى مخاصمات لا نهاية لها (الراوي).

جانبي كان جميع الزملاء المساعدين بدءًا من المديرين السياسيّين العامّين، رؤساء الإدارات وصولًا إلى المتخصّصين والعاملين في المعاونيّة العربيّة والأفريقيّة، وقد بذلوا جهودًا صادقة وكبيرة. وقد ساعدنا كلّ من المعاون الإداريّ ـ الماليّ والمدير العامّ للتّشريفات ومتخصّصي التّشريفات في قسم الدعم اللوجستيّ والإدارة العامّة للمعلومات والإدارة العامّة للمطبوعات على مستوى التغطية الخبريّة[1].

بعد نحو ثلاثة أيّام من العمل ليلًا ونهارًا ومع كلّ الصعوبات تمكّن المشاركون المعارضون من إصدار بيان موحّد، تطلّب تدوين هذا البيان ساعات من الحوار والوقت والجهد والطاقة. وكانت المجموعات السوريّة هي التي تقوم بهذا العمل. وكنّا نبذل جهودنا لتهيئة الأرضيّة المناسبة للحوار. كنّا نرفض العمل مع أيّ مجموعة أو ضدّها. وأصبح هذا اللقاء بداية جيّدة للحوار بين مختلف الجهات وهو من الأسباب التي دفعت السوريّين للاعتقاد بالتوجّه نحو الحوار. هذه الجهود التي بذلتها الجمهوريّة الإسلاميّة تركت آثارًا كبيرة على مستوى تهدئة الأوضاع في سوريا، وتعزيز ثقة المعارضين بإيران.

---

(1) حميد بيات (المدير العامّ للشرق الأوسط وشمال أفريقيا آنذاك)، حميد فردوس بور (رئيس الدائرة الأولى للشرق الأوسط)، موسى فرهنك (رئيس دائرة شمال أفريقيا)، محمّد رضا رؤوف شيباني (سفير بلدنا في دمشق)، بهمن حسين بور (المدير العامّ للتّشريفات، وبهروز كمالوندي (المعاون الإداريّ والماليّ في وزارة الخارجيّة).

بعد هذا اللقاء اتّخذت خطوات تكميليّة أخرى بهدف تهيئة الأجواء، ودفع الجميع للمشاركة في محادثات جينيف والحوار السياسيّ بين الأطراف المتخاصمة. وعلى الأثر تفاقمت وتيرة الحرب ضد داعش في تلك الأثناء جرت الاستفادة من موقع روسيا في مجلس الأمن في الأمم المتّحدة وفي بعض المحافل الدوليّة الأخرى بهدف تهدئة الأوضاع والاستقرار في سوريا.

تأييد خطّة إيران في مجلس الأمن

مع أنّ الظروف لم تكن مهيّأة للجمهوريّة الإسلاميّة لتشجيع الأطراف المتنازعة على ترك الحرب والإقبال على الحوار السياسيّ، إلّا أن وجود خطة منطقيّة تشكل قاعدة للحوار كان ذا أهميّة كبيرة.

لذلك كانت الخطّة السياسيّة للجمهوريّة الإسلاميّة على جدول أعمال المسؤولين كافّة بدءًا من رئيس الجمهوريّة وصولًا إلى وزير الخارجيّة والآخرين. بحثنا في الخطّة مع مختلف الدول سواء التي توافقنا الرؤية أو تعارضنا، وفي النهاية جرى الاعتراف بالخطّة الإيرانيّة شيئًا فشيئًا. ومع مرور الوقت وصلت الدول التي دعمت الحل العسكريّ إلى نتيجة، مفادها أنّ طريق حلّ الأزمة السوريّة سياسيّ، حيث لا فائدة من العسكرة. في النهاية، وفي أجواء المحادثات النوويّة، جرى تأييد الخطّة العميقة والموزونة للجمهوريّة الإسلاميّة في قالب قرارات مجلس الأمم في الأمم المتّحدة.

وقبل الموافقة على الخطّة في مجلس الأمن، شاركنا برفقة وزير

الخارجيّة، الدكتور ظريف بنيويورك في جلسة بحضور اثنين وعشرين وزير خارجيّة. وقد شارك فيها كلّ من «جان كيري» و«سرغي لافروف» وزيري خارجيّة كلّ من أمريكا وروسيا. جرى الاتّفاق في تلك الجلسة على مضمون قرار مجلس الأمن [بشأن سوريا] الذي تُشكّل الخطّة الرباعيّة للجمهوريّة الإسلاميّة جوهره.

وهكذا تقدّم ممثّل أمريكا بمشروع قرار إلى مجلس الأمن على أساس خطّة إيران وجرت الموافقة عليه بعد ظهر ذلك اليوم. وبما أنّ جان كيري كان بحاجة إلى التقدّم في المحادثات النوويّة، كان يتعاون معنا في خصوص سوريا، وقد أجرى لقاءً صحفيًّا بعد الموافقة فقال: «استفدنا في اصدار هذا القرار من الخطّة الرباعيّة للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران»، أعتقد أنّ هذا الحدث وبغضّ النّظر عمّا كان يجري في ذهن جان كيري، يشكّل انتصارًا سياسيًّا جيّدًا لبلدنا. إنّ صيغة قرار الحلّ السياسيّ في سوريا التي جرت الموافقة عليها في مجلس الأمن أصبحت ملاكًا ومنطلقًا للأعمال اللاحقة، وهي من الابتكارات السياسيّة للجمهوريّة الإسلاميّة (الصور في الملحق).

بشّار الأسد والخطّة الرباعيّة الإيرانيّة

فيما يتعلّق بالسيّد بشار الأسد يجب الإشارة إلى مسألة، فقد أظهر في محطّات مختلفة استعداده لإمداد دول محور المقاومة بالسلاح، وغير السلاح عند حاجة أيّ بلد أو مجموعة إلى ذلك ـ مثل حزب الله في لبنان ـ عند مواجهة العدوّ الصهيونيّ. ومع ذلك، كان يعترينا القلق على بعض المستويات، عندما بدأت الأزمة في

سوريا بسبب الهياكل السياسيّة الخاصّة ووجود الحكومات العائليّة، أو القبليّة أو الملكيّة في بعض الدول العربيّة، فهذا يعني أن للقائد الكاريزميّ دورًا مهمًّا في هذه المجتمعات وهؤلاء القادة هم القادرون على وصل أجزاء الوطن كافّة بعضها ببعض. فإذا فُقد هذا النوع من القادة تعرّض وجود البلد للخطر. في تلك الفترة كان بعض المتخصّصين الإيرانيّين يعتقدون بأنّ بشار الأسد يختلف عن والده المرحوم حافظ الأسد، بعض المحلّلين كان يعتقد بما أنّه ليس من القادة الذين عاشوا تجربة الحرب وتخطّي الأزمات المعقّدة، لذلك يجب القلق حول مقدار مقاومته. في النهاية هو طبيب عيون، درس في أوروبا، ولا يمتلك تجربة كبيرة في الحكم وإدارة البلد.

قد لا ينبغي توقّع أن يدير الأزمة بشكل مؤثّر، والحقيقة أنّ القلق كان يعتريني بداية الأزمة من هذه الجهة، وكنت أصرّح بذلك في بعض اللقاءات الداخليّة. أوّلًا نحن نعتبر أن دور القيادة هامّ للغاية في سوريا، ثانيًا كنّا نشعر أنّ قيادة بشّار الأسد طبيب العيون قد تكون إحدى نقاط الضعف. وأمّا في العمل فقد وجدنا بشار الأسد صلبًا وقويًا للغاية في مواجهة الأزمة[1].

(1) سافرت إلى سوريا بداية الأزمة والتقيت السيّد بشار الأسد ودعوته وعائلته لزيارة إيران والتنقل بين طهران وأصفهان و...بهدف الاستراحة. أشار السيّد بشار الأسد في الجواب إلى عدّة نقاط. قال: أنا أعتبر أنّ نجاح سوريا في الثبات أمام الأزمة الحاليّة إضافة إلى مختلف الأسباب والعوامل، مدينة للإمام الخامنئيّ وأنا لديّ رغبة شديدة لرؤيته مرّة أخرى عن قرب. يضاف إلى ذلك، أنّني عندما كنت أدرس في أوروبا كنت أزور أحد المطاعم الإيرانيّة مرّة في=

أعود بعد ذكر هذه المسألة للخطّة الرباعيّة لإيران الهادفة لحلّ الأزمة في سوريا. وتزامنًا مع تقديم هذه الخطّة كنا نتحدّث مع السيّد بشّار الأسد باستمرار حول تفاصيل الأفكار الإيرانيّة.

ولكن، لماذا وضعنا السيّد بشار الأسد في أجواء هذا المطلب؟

الجواب واضح. عندما نتحدّث عن السيّد بشار الأسد، فنحن نتحدّث عن حليف لنا. لم نُرِد اتّباع أسلوب يشعر من خلاله السيّد بشار الأسد بنوع من الثنائيّة في سياستنا.

وهذا هو الاتجاه الذي كان يشدّد عليه الإمام القائد واللواء سليمانيّ باستمرار(1).

من جملة الأمور الهامّة لدينا أنّنا عندما نتحدّث مع المعارضين

=الأسبوع برفقة زوجتي ومذاقي يأنس بالطعام الإيراني. أحبّ التنزّه في شوارع طهران وزيارة المطاعم والحقيقة أنه بالالتفات إلى ظروف سوريا وفي أوج مقاومة الشعب للإرهاب، فالوقت غير مناسب لذلك على الإطلاق (من جملة ما امتاز به السيّد بشار الأسد قبل الأزمة، وما زال يحافظ عليه حتّى الآن أنّه يدخل أحد مطاعم المدينة من دون كاميرات تصوير ومن دون سيناريو مسبق ليشارك الناس طعامهم) ثمّ أضاف طلبت من زوجتي أن تقوم بزيارات إلى عوائل الشهداء وقد عقدنا العزم على أن نبقى إلى جانب الشعب (الراوي).

(1) أخبرني أحد المسؤولين الغربيّين في وقت ما أنّنا بذلنا جهودًا لنفهم خلفيّات كلام قائد إيران. وبعد سنوات أدركنا أنّه لا يوجد في الكون أكثر صدقًا وصراحة من قائد إيران. لأنّ الكلام الذي يتلفظ به أمام الناس هو بعينه السياسة التي تتبعها الجمهوريّة الإسلاميّة عمليًا. هو يتحدث بشكل شفّاف وعلنيّ ويقول نحن دعمنا المقاومة في حرب الأيّام الثلاثة والثلاثين وفي حرب الأيّام الاثنين وعشرين يومًا. ويعلن بصراحة أننا ساعدنا في العراق وأفغانستان وهذه رؤيتنا اتجاه الجيران (الراوي).

السوريّين، يجب أن لا يشعر السيّد بشار الأسد أنّنا تركناه وتخلّينا عنه.

لذلك وبعد إعداد الخطّة الرباعيّة وعبورها مراحل الإعداد والتدوين، قرّرت الجمهوريّة الإسلاميّة وقبل الموافقة على الخطّة وعرضها على الأمم المتّحدة والمؤسّسات الدوليّة الأخرى، أن تتحدّث بهذا الخصوص وعن قرب مع السيّد بشار الأسد وأن تضعه في أجوائها بشكل كامل. في الحقيقة أردنا في بداية العمل أن نقول له إنّ هذه هي فكرتنا ومقترحنا، وإذا كان لديكم ملاحظات فأبلغونا بها؛ لأنّنا عندما نتحدث عن تشكيل حكومة وحدة وطنيّة، فنحن لا نقتفي أثر الآخرين. كنّا نحاول إيجاد نوع من الصلح بين الأطراف السوريّة المتنازعة؛ أمّا الآخرون فكانوا يقولون: يجب أن يتنحّى بشار الأسد بداية عن السلطة، وأن يأتي شخص آخر مكانه، ثمّ يجري تشكيل حكومة وحدة وطنيّة(1).

سافر الدكتور صالحي في ذلك الوقت إلى سوريا لعرض الخطّة وكنت برفقته. قدّم السيّد بشار الأسد في لقائه الدكتور صالحي أفكارًا صحيحة وطبعًا دعم عموم طريق الحلّ السياسيّ الذي قدمته

(1) بعد ذلك أدرك العديد من اللاعبين الدوليّين كم كانت أفكارهم هذه سطحيّة. ففي ليبيا وعلى رغم الظلم الذي كان يمارسه نظام القذافي الديكتاتوريّ فقد تمكّنوا من القضاء على قيادته ونظامه. ولكن وبعد عدّة سنوات من سقوطه لم يتمكّنوا حتّى الآن من إيجاد نظام سياسيّ في ليبيا وإعادة الأمور إلى حالاتها الطبيعيّة. وفي العراق وأفغانستان ادّعى الأمريكيّون أنّهم جاؤوا لاقتلاع جذور الإرهاب والنتيجة ازدياد الإرهاب في هذين البلدين ولولا القادة الدينيّون والسياسيّون في العراق وأفغانستان، لكان الوضع الآن أسوأ بكثير (الراوي).

إيران. ثمّ عدنا إلى سوريا مرّة أخرى بعد إدخال تعديلات على الخطّة الأولى، وبحثنا بشكل نهائيّ تفاصيلها مع السيّد بشار الأسد والسيّد وليد المعلم وزير الخارجيّة. وبهذا النحو حصل لدينا الاطمئنان إلى أنّنا إذا عرضنا هذا المخطّط على المجاميع الدوليّة، فسيكون السيّد بشار الأسد والنظام السياسيّ في سوريا إلى جانبه، والأهمّ من ذلك أنّ حركتنا لا تترك آثارًا سلبيّة في النظام السياسيّ المستقرّ في سوريا. وبعبارة أخرى وصلنا بشكل مشترك مع السوريّين إلى خلاصة وهي أنّ الخطّة المعروضة تساعد في خروج سوريا من الأزمة. إلّا أنّ النجاح فيها كان بحاجة إلى عوامل عدّة، من جملة ذلك إرادة وتجاوب الناشطين الفاعلين في سوريا، وكذلك الفاعلون الدوليّون والمحلّيون.

في الوقت عينه وإضافة إلى هذا الابتكار السياسيّ، كان إرسال المساعدات الإنسانيّة من جملة المسائل الجدّيّة للجمهوريّة الإسلاميّة.

فقد اضطربت الأوضاع الحياتيّة والمعيشيّة للشعب السوريّ نتيجة الحرب الداخليّة. وعملت إيران منذ البداية وبعد الأخذ بعين الاعتبار الحيثيّات كافّة لإيجاد حلّ سياسيّ سريع للأزمة في سوريا، ليتمكّن الشعب السوريّ من اتّخاذ القرارات الضروريّة، لمستقبل بلدهم في جوّ آمن وهادئ.

مسألة حول السياسة الخارجيّة للجمهوريّة الإسلاميّة

هناك مسألة مبنائيّة يجب عدم الغفلة عنها فيما خصّ المسائل الأساسيّة للسياسة الخارجيّة، والأمن القوميّ، ثمّة أصول ومبان وردت في الدستور، وعلى أساسها يتّخذ النظام قراراته الخارجيّة.

وليس الأمر يجري على قاعدة أن تتصرّف الحكومات في الأمور الأساسيّة والسياسة الخارجيّة على أساس السلائق والأمزجة. ولذلك فإنّ السياسة الخارجيّة للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، تعتمد على أساس محوريّة قرارات النظام في الخطوط العامّة والاستراتيجيّة علمًا أنّه من الممكن أن تختلف أساليب العمل تبعًا لاختلاف الحكومات والسلائق. أمّا الإجراءات المتّبعة فهي على الشكل الآتي: بعد مرور الملفات بالمراحل التخصصيّة في وزارة الخارجيّة والأجهزة الأمنيّة والعسكريّة ذات العلاقة وبعد تخمّر الفكرة في مجموعات الأمانة العامّة لمجلس الأمن القوميّ، تطرح المسألة أمام المجلس الأعلى للأمن القوميّ ليجري اتّخاذ القرار. رئيس الجمهوريّة هو رئيس المجلس الأعلى للأمن القوميّ أيضًا ويحضر جلساته. وفي النهاية فالقرار المتّخذ في المجلس الأعلى للأمن القوميّ يجري إبلاغه الأجهزة كافّة لينفّذ بعد موافقة الإمام القائد عليه.

فيما يتعلّق بسوريا والتي هي مسألة جيواستراتيجيّة وجيوسياسيّة بالنسبة إلى محور المقاومة، وهي ترتبط بالأمن في المنطقة، وبحلفائنا والأمن القوميّ للجمهوريّة الإسلاميّة، فالقرار فيها جرى اتّخاذه على مستويات عالية في النظام وجرت الموافقة في المجلس الأعلى للأمن القوميّ على الخطّة الرباعيّة باعتبارها الخطّة المقدّمة من إيران إلى المحافل الدوليّة، وقد وافق عليها الإمام القائد.

دمشق في الحصار؛ دخول المستشارين الإيرانيّين

كانت الجهود مصبوبة على الحوار بين مختلف الأطراف المتنازعة كذلك على التعريف بالخطّة الرباعيّة الإيرانيّة، بينما في

ساحة المعركة كانت المجموعات المعارضة للحكومة، أي «الجيش الحرّ» المدعوم من تركيا و«جبهة النصرة» و«جيش الإسلام» المدعومان من المملكة العربيّة السعوديّة وبعض المجموعات الأخرى التي اتّضح فيما بعد تبعيّتها للأجهزة الأمنيّة في الدول الأخرى، قد أخذت بمحاصرة دمشق شيئًا فشيئًا. في الخلاصة شهدنا منذ النصف الثاني من عام 1391 (خريف 2012م) ظروفًا صعبة للغاية في دمشق حيث حاصرتها المجموعات الإرهابيّة المسلّحة. أخذت حلقة الحصار تضيق لدرجة حتّى أنّ حرم السيّدة زينب عليها السلام لم يسلم من هجوم بعض الحركات الإرهابيّة المتمركزة على بعد مئات الأمتار من الحرم. عندما وصلت الأمور إلى هذا المستوى، عرضت الحكومة السوريّة على إيران تقديم دعم المستشارين العسكريّين لها في الميدان. من جهة أخرى ونظرًا لحساسيّة الجمهوريّة الإسلاميّة تجاه الدفاع عن الأماكن المباركة وحرم السيّد زينب عليها السلام والسيّدة رقيّة عليها السلام، فقد وضع الاهتمام الخاصّ بهذه المسألة على جدول أعمال طهران ـ دمشق المشترك.

على هذا النحو بدأت الجمهوريّة الإسلاميّة باتّخاذ بعض الإجراءات بطلب من الحكومة السوريّة. الإجراءات هذه تمثّلت في تقديم الاستشارات لقادة الجيش السوريّ الأمر الذي يُمكنهم من الثبات في مواجهة الإرهابيّين. إنّ تجربة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران في مواجهة مجموعات المنافقين في ثمانينيّات القرن الماضي، إضافة إلى تجارب السنوات الماضية الكبيرة في مساعدة أصدقائنا في سوريا، ومن ثمّ العراق، شكّل مساعدة كبيرة لنتمكّن

من الحفاظ على دمشق، وبعض المناطق السوريّة مقابل الاعتداءات المعقّدة والمنظّمة لداعش والمجموعات الإرهابيّة. وسأعود في الصفحات اللاحقة إلى أساليب المساعدة الإيرانيّة. وهنا من الجدير التوقّف، وقفة إجلال وإكبار أمام تضحيات المدافعين عن الحرم من السوريّين إلى الإيرانيّين والعراقيّين والأفغانيّين واللبنانيّين وإيثارهم هذه الأساطير قد تركت أعمالًا عظيمة أدّت إلى فشل مخطّطات الأعداء وحملت معها الأمن لجميع المنطقة ولا سيّما سوريا والعراق.

الضغوط النفسيّة الكبيرة على دمشق

تحمّلت سوريا في بداية الأزمة ضغوطًا كبيرة. قدّم معارضو بشار الأسد أصحاب الدعم الماليّ والتسليحيّ والإعلاميّ الكبير من عشرات الدول، خططًا خاصّة لسقوط دمشق. ولم تكن هذه الضغوطات في البعد العسكريّ فقط، بل إلى جانب الحملات العسكريّة الشديدة، انطلقت الحرب النفسيّة بهدف كسر روحيّة الشعب السوريّ. استخدم الأجانب والمعارضون أشدّ الضغوط على دمشق ليضاعفوا مظاهر فقدان الأمن والاستقرار في هذه المدينة. لذلك بذلوا جهودًا حثيثة للتأثير في روحيّة العسكريّين، المسؤولين السياسيّين والشعب السوريّ. الأحداث التي وقعت في سوريا هذه السنة كان كلّ واحد منها كفيلًا بإيصال بعض الحكومات إلى الزوال، مثال ذلك أنهم اقترحوا عدّة ملايين من الدولارات على «رياض فريد حجاب» رئيس الحكومة السوريّة آنذاك مقابل تركه البلد باعتباره معارضًا، وقد أعدّوا خطّة فراره. ودفعوا له نصف

المبلغ نقدًا داخل سوريا ووعدوه بالنصف الثاني في الأردن بعد أن يتحدّث في الإعلام ضدّ بشار الأسد[1]. وفي مكان آخر اقترحوا على أحد الضبّاط من الصفّ المتوسط مبلغ سبع مئة ألف يورو لينفصل عن الجيش[2].

العلاقة بين الإرهابيّين والكيان الصهيونيّ

الصورة التي كانت موجودة قبل عام (2011م) حول سوريا، والمخاطر التي قد يتعرّض لها نظامها السياسيّ هي احتمال أن تسعى الدول لتغيير أوضاعها عن طريق الأساليب الناعمة أو الانقلاب الهادئ. ولكن ظهرت في بداية الأزمة علائم تشير إلى دخول الإرهابيّين من مختلف العالم إلى سوريا ثمّ جرى جمع معلومات تشير إلى أنّ بعض دول المنطقة تعمل على تخريب سوريا وتغيير النظام السياسيّ في هذا البلد. على هذا النحو كانت الصورة الحقيقيّة تكتمل يومًا بعد يوم في الأذهان عمّا يجري من تحوّلات وعن مسارها.

فيما يتعلّق باللاعبين السياسيّين الذين أدخلوا الإرهابيّين إلى هذا البلد، فقد كانوا يعدّون لبرنامج كبير يتضمّن جزء منه القضاء على

(1) رياض فريد حجاب، 46 سنة، لجأ إلى الأردن في السادس عشر من مرداد (6 آب 2012) 1391 برفقة عائلته.

(2) بعد فرار رئيس الحكومة آنذاك إلى الأردن طلبوا منه إجراء لقاء صحفيّ. يقول: كان من المقرّر أن يدفعوا النصف الثاني من المبلغ قبل المقابلة. فأبلغوه بعدم وجود مال أكثر من الذي حصل عليه وأن المهمّ بالنسبة إليهم خروجه من سوريا، وأن طريق العودة أصبح مقفلًا بالكامل. وهدّدوا بإيجاد المشاكل له إن لم يجر المقابلة (الرواي).

بشار الأسد، ثمّ إسقاط النظام، وتقسيم سوريا والعراق. وكانت أهدافهم الأساسيّة موزّعة على مراحل معقّدة. طلبوا من بعض الحركات أمثال «جبهة النصرة» الاستقرار في منطقة الجولان السوريّة، وهي منطقة تقع على الحدود مع العدوّ الصهيونيّ المحتل. حصلت اتّفاقات بين الإسرائيليّين وقادة «جبهة النصرة» ووضع الصهاينة إمكانيات كبيرة أمامهم، وكان المطلوب منهم الحفاظ على أمن حدود العدوّ الصهيونيّ من داخل الأراضي السوريّة. من جملة البنود الأساسيّة لهذا النوع من الاتّفاقيّات الاعتراف الرسميّ بالكيان الصهيونيّ.

عندما توافق هذه المجموعة على هذا البند، فالصهاينة جاهزون للموافقة على البنود الأخرى المتبقية. لذلك دفعت «جبهة النصرة» بجزء كبير من قواتها إلى الجولان لتمنع أي تعرض لحدود العدوّ الصهيونيّ. في المقابل تعهدت إسرائيل، وبالإضافة إلى الدعم التسليحي والمالي، نقل قوات «جبهة النصرة» عن طريق الجولان إلى داخل الأراضي الفلسطينيّة المحتلة للمعالجة عند إصابتهم بجروح.

وقد أقام الصهاينة مستشفى ميدانيًّا قرب حدود الجولان السوريّ، وعند الضرورة يمكنهم نقل بعض الأفراد بالمروحيّات إلى مستشفيات في تل أبيب والمدن الفلسطينيّة المحتلّة الأخرى للعلاج.

لماذا لم تُشجّع إيران سوريا على إجراء الإصلاحات؟

قد يُطرح سؤال: باعتبار العلاقة القريبة التي تربط إيران بسوريا، لماذا لم تشجّع دمشق قبل بداية الأزمة على إجراء إصلاحات سياسيّة أو اجتماعيّة وأن تتابع ذلك بشكل جديّ؟

الجواب: إنّ هذا الموضوع لا يرتبط بإيران بشكل مباشر. بمعنى أنّنا وعلى الرغم من علاقات الصداقة التي تربطنا بسوريا وشخص السيّد بشار الأسد، إلّا أنّه لا يمكن في العلاقات الدبلوماسيّة مخاطبة بلد بالقول بأنّ نظامكم السياسيّ تعتريه مشاكل؛ فاذهبوا وعالجوا مشاكلكم[1]. هذه الأمور هي من صلاحيّة شعب ذاك البلد.

في المقابل يمكن لذاك البلد أن يقول في الجواب: إنّ المسائل الداخليّة ترتبط بنا وبشعبنا. في النهاية هناك معايير تحكم العالم يجب العمل على أساسها، مثال ذلك أنّ رئيس الجمهوريّة وممثّلي المجلس في سوريا يُنتخبون مباشرة من الشعب، وفي السعوديّة يجري تنصيب أعضاء المجلس بواسطة الملك، وأبناء عبد العزيز هم الوحيدون الذين يصلون إلى الحكم، حتّى عندما كنا نجري محادثات مع المملكة العربيّة السعوديّة لم نقُل لهم يجدر بكم إجراء الاصلاحات في نظامكم السياسيّ ليكون الشعب هو الذي يحدّد مصيره، في النهاية سواء أكان الأمر صحيحًا أم خطًا، هناك معايير تحكم كلّ نظام سياسيّ، وفي اطار تلك المعايير والخصائص يجب أن نقرر كيف ننظّم علاقاتنا بذلك البلد. طبعًا نحن نحمل الاحترام لشعوب دول المنطقة، وتقع على عاتقنا وظائف إنسانيّة إسلاميّة تجاهها ونهتّم بها، ولكن من دون التدخّل في شؤونها الداخليّة،

(1) هذا الموضوع يختلف عن تبادل المعلومات. وإذا تمكن جهاز أمني من جمع معلومات تشير إلى حركات أمنيّة تستهدف دولة حليفة أو صديقة، يمكن نقل ذلك إلى تلك الدولة عبر القنوات الأمنيّة (الراوي).

علمًا أنّ بشار الأسد قد بدأ إصلاحات سياسيّة بسرعة. المشكلة أنّ الأطراف المقابلة لم تكن جاهزة للاعتراف الرسميّ برئيس الجمهوريّة القانونيّ في سوريا، ولم تهتم بالإصلاحات وكانت تعمل جاهدة على إسقاط النظام السياسيّ.

نعم، عندما اشتدّت الأزمة، وطلبت الحكومة السوريّة من إيران إرسال مستشارين عسكريّين للمساعدة، سعينا وفي مختلف الموضوعات أن ننقل لها المطالب التي كنّا نعتقد بتأثيرها في الأمن في سوريا، مع الحفاظ على شأنيّة الحكومة السوريّة، ومع مراعاة الآداب الدبلوماسيّة والحفاظ على حدود السيادة الوطنيّة في هذا البلد.

مصالح الدول المتنازعة في أزمة سوريا

المملكة العربيّة السعوديّة

إنّ دول المنطقة التي تدخّلت في مسائل سوريا بهدف القضاء على النظام السياسيّ، دخلت كلّ واحدة منها الميدان لدافعٍ ما. المهمّ بالنسبة إلى المملكة العربيّة السعوديّة أن تساعد في سلسلة الإجراءات التأخيريّة في دول المنطقة قبل أن تصل أمواج نهضة الشعوب الإسلاميّة إليها. في النهاية، فإنّ الشيعة في مناطق المملكة العربيّة السعوديّة الشرقيّة يعيشون تحت الضغوط والقيود والتمييز. والحياة التي يعيشها أهل السنّة السعوديّون في أغلب مناطقها ليست هي الحياة المطلوبة. سنحت لي الفرصة خلال العقدين المنصرمين لأشاهد مختلف المناطق والمدن في المملكة العربيّة السعوديّة عن قرب. سافرت في التسعينيّات بالسيارة إلى العديد من مناطق

المملكة. عندما يقصد مواطنونا المملكة العربيّة السعوديّة لأداء فريضة الحج، يشاهدون مطار جدّة المرتّب وبعض المدن كمكّة والمدينة. ودبلوماسيّونا يشاهدون مدينة الرياض إضافة إلى تلك المدن، يبدو أنّ كلّ شيء منظّم في هذه المدن. والحقيقة أنّكم إذا ابتعدتم قليلًا عن الرياض ومكّة والمدينة فستشاهدون الأوضاع التي يعيشها حتّى أهل السنّة.

أي إنّ ظلم الحكومة يقع على أهل السنّة أيضًا، وفي المناطق الشيعيّة السعوديّة، فقد عاش هؤلاء قليلًا من الهدوء أيّام الملك عبد الله وحسب، وعلى هذا الأساس، أراد حكّام المملكة العربيّة السعوديّة أن لا تصل أمواج الاعتراضات إلى الشعب السعوديّ. لذلك كانوا يدعمون أيّ إجراء يؤدّي إلى تأخير هذه الحركة. وبعبارة أخرى، السعوديّة ترغب في أن يعيش بلد آخر قبلها هذا النزاع، لتكون الفرصة سانحة لديها لإدارة الأوضاع. لذلك يمكن ومن خلال ما تقدّم الإشارة إلى أنّ أحد أهداف السعوديّة من التدخّل في سوريا إيجاد التأخير في حركة الشعب وانفجاره فيها ضد النظام الملكيّ اللاديموقراطيّ.

الحقيقة أنّ بعض القادة المتبجّحين في العالم العربيّ، قد كُسِرت هيبتهم بعد خسارتهم أمام إسرائيل في حرب الأيّام الستّة. في زمان «جمال عبد الناصر» تمكّنت إسرائيل من الانتصار على العرب، وهي لم تكن صاحبة إمكانيّات كبيرة. ولكنّ إسرائيل هذه لم تتمكّن من الصمود ثلاثة وثلاثين يومًا، وبدأت تطلب وقف اطلاق النار في حرب الثلاثة والثلاثين يومًا على لبنان، المعروفة بـ «حرب

تموز»، علمًا أنّها مسّلحة من رأسها إلى أخمص قدميها، ولم تكن تواجه جيش ودولة لبنان، بل كانت تواجه مجموعة مقاومة باسم حزب الله، شعرت السعوديّة وبعض الدول العربيّة بالحقارة نتيجة نجاح سوريا في الدفاع عن المقاومة وفلسطين، وكانوا لا يتحمّلون وجود قائد باسم بشار الأسد مع هذه الخاصيّات بين قادة العالم العربيّ. لقد أظهر سلوك الأسد مقابل إسرائيل، مقدار الخوف، التنازل، والخيانة لدى بعض القادة في الدول العربيّة ممّا ترك تأثيره في الرأي العامّ العربيّ. لذلك كان بعض القادة العرب يدعمون رحيل بشار الأسد ويؤيّدون وجود بديل له مؤيّد للتطبيع مع إسرائيل.

السعوديّون يرفضون وجود سوريا في محور المقاومة. أثناء الأزمة في سوريا وتولّي الملك سلمان السلطة، حصل لقاء بين محمد بن سلمان (ولي العهد) وأحد المسؤولين الأمنيّين في الحكومة السوريّة.

طلبت سوريا من السعوديّة إيقاف الدعم الماليّ والتسليحيّ للإرهاب التكفيريّ وطلبت السعوديّة ابتعاد بشّار الأسد عن المقاومة، الواضح أنّ الأسد رفض هذا الطلب.

إضافة إلى ما تقدّم لا يمكن في تحليل سلوك حكّام السعوديّة الغفلة عن منافستها لإيران، فإن أرادت السعوديّة توجيه ضربة لإيران ومتابعة معارضتها أو منافستها للجمهوريّة الإسلاميّة، فإنّها ستعتبر سقوط سوريا نصرًا كبيرًا لها. إنّ سقوط سوريا من وجهة نظر السعوديّة يعني القضاء على واحد من الأجزاء الأساسيّة لمحور المقاومة وقطع يد الجمهوريّة الإسلاميّة في المنطقة، لذلك بذلت

السعوديّة كامل جهودها في تقديم إمكانيّاتها الماليّة والأمنيّة خدمة لأمريكا وإسرائيل. دعت السعوديّة الإرهابيّين التابعين لها كافّة من أصحاب الفكر الوهابيّ عن طريق شبكاتها المزروعة في العالم وتوجّهت بهم نحو سوريا. أمّا منفذ هذا المخطّط كما تشير المعلومات الأمنيّة الموثوقة في المنطقة والغرب، هو شخص بندر بن سلطان رئيس الجهاز الأمنيّ السعوديّ آنذاك.

قطر

قطر بلد يرغب في لعب دور في المنطقة وأن يكون من الناشطين فيها. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار مؤهّلاتها، فإنّ دورها سيكون مختلفًا عن السعوديّة. ففي حرب الثلاثة والثلاثين يومًا في لبنان على سبيل المثال لعب الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، الأمير السابق ـ والد الشيخ تميم أمير قطر الحالي ـ دور الوسيط بين المقاومة والجيش اللبنانيّ من جهة وإسرائيل من جهة ثانية. فمن جهة سعى لتنفيذ وقف إطلاق النار الذي أرادته إسرائيل، وعمل من جهة أخرى على الحفاظ على علاقاته بحزب الله. إذًا قطر تسعى نحو دور ما، وقد كان لها دور سواء في الأماكن الإيجابيّة أو السلبيّة. وقفت قطر إلى جانب الإخوان المسلمين في مصر بسبب نظرتها الخاصّة لهم. بينما كان لها دور متناقض في سوريا. يقال إنّ بعض المجموعات المسلّحة كانت على ارتباط بقطر وفي الوقت عينه كانت تؤدي دورًا سياسيًا لتبيّن حضورها الفاعل. طبعًا قوّة معارضة قطر لسوريا أثناء رئاسة الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني لرئاسة الحكومة ووزارة الخارجيّة كانت أكبر بكثير إلّا أنّها اتّجهت لتكون مع الوقت أكثر منطقًا وواقعيّة.

كانت قطر تستضيف في الدوحة، وخلال السنوات الماضية رجل الدين السنيّ «يوسف القرضاوي»[1]، الذي كان يصدر فتاوى لإسقاط بشار الأسد، أوجدت الفرقة بين المسلمين[2]. أمّا الدور الذي كان يلعبه القرضاوي في سوريا فكان جزءًا من برنامج قطر. لم يكن القرضاوي هو الذي يؤثر في قطر في خصوص الأزمة السوريّة، بل قطر هي التي كانت تستغلّ وجود القرضاوي في برامجها وخططها للمنطقة. لقد زاد في الإفراط والتطرّف حتّى أصبحت قطر نفسها تخشى على أمنها إذا ما استمر بنشاطه[3].

أصلحت قطر مواقفها تجاه سوريا أولًا عندما علمت أنّ الكثير من الإجراءات التي اتّخذتها ضّد الحكومة السوريّة لم تصل إلى نتيجة، وأن بشار الأسد لن يسقط بسهولة. وثانيًا عند بروز مشكلات

---

(1) الشيخ يوسف القرضاوي، رجل دين مصريّ يعتبره بعضهم الأب المعنويّ للإخوان المسلمين وكان للإخوان المسلمين أنصار كثر في دول غرب آسيا حتّى شمال أفريقيا.

(2) كان دور قطر في أفغانستان مختلفًا. فقطر افتتحت مكتبًا رسميًا لحركة طالبان في الدوحة وهيّأت الأجواء أمام من يرغب بالحوار مع طالبان للقدوم إلى قطر ومن جملتهم الأمريكيّون. وفي النهاية جرى توقيع اتّفاق الصلح بين أمريكا وطالبان خلال شهر اسفند 1398 (آذار 2020) في قطر (الراوي).

(3) الحقيقة أنّ فتاوى الشيخ القرضاوي تركت تأثيرها الكبير في تصاعد الحرب بين الشيعة والسنّة لا في سوريا فقط بل في دول المنطقة الأخرى أيضًا ويشاهد نماذج من هذا التأثير في العراق حتّى في مصر. ويجب أن لا يغيب عن البال التأثير الذي تركه السعوديّون في بعض الشخصيّات الدينيّة من أمثال القرضاوي. على كلّ الأحوال ارتبط بعض علماء أهل السنة ماليًا وفكريًا ببعض الدول العربيّة في المنطقة؛ علمًا أنّ الكثير من علماء أهل السنة حافظوا على استقلاليّتهم ولم يسمحوا للسلطة والثروة بالتأثير فيهم (الراوي).

بينها وبين المملكة العربيّة السعوديّة، حيث عمدت السعوديّة ومصر والإمارات والبحرين إلى مقاطعة قطر. دخلت قطر بالتدريج حالة من الانزواء في منطقة الخليج الفارسيّ فرضه السعوديّ عليها.

أمّا طهران فعملت على تمتين علاقاتها بالدوحة وساعدت مع تركيا في مواجهة الحصار الذي فُرض عليها.

الكويت

عملت الكويت طوال الأزمة في سوريا على اتّباع سياسة حكيمة ومعتدلة. سياسة فعّالة وبنّاءة مقارنة مع الدول الأخرى. من جملة الأعمال التي قامت بها الكويت أنّها عقدت اجتماعين في أوج الأزمة بهدف جمع مساعدات للنازحين السوريّين. وقد دُعي إلى الاجتماعين كلّ من الأمين العامّ لمنظّمة الأمم المتّحدة آنذاك السيّد بان كي مون، وكذلك المنظّمات الدوليّة. أراد الكويتيّون القول إنّنا أولًا مع الشعب السوريّ، وإنّنا ثانيًا نلعب دورًا بنّاءً وإيجابيًّا في التحوّلات الواقعة. الكويتيّون لا يتّخذون مواقف صريحة وواضحة في المسائل الحسّاسة، لم يتّخذوا أيّ موقف تجاه بشار الأسد أو المعارضين، بل كانوا يركّزون مواقفهم في المسائل الإنسانيّة، وكانوا يسعون لتكون الأرقام الكبيرة في المساعدات مقدّمة كهديّة من الشيخ صباح أمير الكويت. والسؤال لماذا كانت الكويت تؤدّي هذا الدور؟ عملت الكويت في الأساس على أن تكون الجهة الإيجابيّة في نزاعات المنطقة، وأن تلعب دورًا بنّاءً مع أنّها كانت تتعرّض تارة لضغوط من قبل السعوديّين، أو بعض الجهات الأجنبيّة الأخرى.

تمتلك الكويت نسيجًا اجتماعيًّا خاصًّا يضمّ الشيعة والسنّة ولكن الفضاء الحاكم على ذهنيّة أمير الكويت أن يعمّ الهدوء المنطقة. وهو يدرك جيّدًا أنّ الاستقرار في المنطقة يخدم جميع الأطراف يدرك أمير الكويت الدور الإيجابيّ ومساعدات إيران الإنسانيّة أثناء احتلال صدّام للكويت في تسعينيّات القرن العشرين الميلاديّ، والكويت لم تؤيد سياسة السعوديّة المتطرّفة تجاه اليمن. إلّا أنّها تعيش ظروفًا لا تسمح لها بالمعارضة العلنيّة، في النتيجة عملت الكويت على إنهاء الحرب في اليمن والوصول إلى الصلح. ولكن السعوديّة كانت تعمد إلى التخريب. عندما تلقّى أمير الكويت رسالة الشيخ روحانيّ للحوار والتعاون في أمور المنطقة كان أمامه خياران: إمّا أن يسكت عن الدعوة وإمّا أن ينشط في سبيل تحقّقها. عندما تلقّى الرسالة الإيرانيّة في أوج الأزمة السوريّة والاشتباكات في المنطقة ومن جملتها في اليمن، أرسل أحد الوزراء إلى مسؤولي دول الخليج الفارسيّ ليخبرهم أنّ إيران قد أرسلت لنا هذه الرسالة الودّيّة، وأنّه من المفيد التجاوب مع طهران، وأن نكون في ذلك صوتًا واحدًا. وهذا يعود إلى سيرة أمير الكويت وروحيّته. ولا ننسى أنّ تجربة احتلال صدّام للكويت ترك تأثيرًا في كيفيّة رؤيتهم للمسائل، أصبحوا يشعرون بعد ذلك ماذا تعني الحرب وأيّ نتائج يمكن أن تترتّب أثناء الدفاع عن شخص مجرم مثل صدّام. أعتقد أنّ الدرس الذي تلقّوه من هذه القضيّة دفعهم لاعتماد أسلوبٍ وسلوك معتدلين.

تركيا

هناك مسألة تتعلّق بتركيا عملت الجمهوريّة الإسلاميّة على عدم السماح بإلحاق ضرر بالعلاقات الممتازة مع تركيا برغم تعارض وجهات النظر بينهما في خصوص قضيّة سوريا، وتحديدًا فيما يخصّ مستقبل بشار الأسد. أعتقد أنّ هذا الأمر نوع من الحنكة (الفنّ) الذي أبداه الطرفان فعلى الرغم من قضيّة الإدارة الصحيحة للأزمة في سوريا، كان المطلوب الحفاظ على العلاقات الثنائيّة والارتقاء بها، خصوصًا في الأمور الخلافيّة بينهما[1].

يجب أن ندرك في خصوص تركيا أنّه وبعد وصول الإخوان المسلمين للحكم في كلّ من مصر وتونس سنحت الفرصة لتركيا التي تميل إلى الإخوان المسلمين للعب دور أكبر في المنطقة.

كانت تركيا في ذلك الوقت تعيش تحت تأثير الأفكار السياسيّة للسيّد أحمد داوود أوغلو وزير الخارجيّة آنذاك وهو أستاذ جامعيّ وواحد من مفكّري حزب العدالة والتنمية في تركيا. وقد قدّم أطروحة دكتوراه تحمل عنوان «العمق الاستراتيجيّ لتركيا وإحياء الفكر العثمانيّ الجديد» هذا النوع من التفكير روّج لمسألة عودة تركيا إلى عظمتها في المرحلة العثمانيّة، خصوصًا في منطقة الشام، فكانت الحكومة التركيّة تتابع هذا النوع من التفكير باعتباره استراتيجيّة سياسيّة غير معلنة. كان الأتراك يعتقدون وبناءً على ما

(1) الواقعيّة تفرض القول إنّ اختلاف وجهات النظر بين البلدين لم يترك أثرًا كبيرًا في العلاقات الثنائيّة بين طهران وأنقرة (الراوي).

تشهده المنطقة من تحوّلات ـ التي يعبّرون عنها بالربيع العربيّ ـ ووصول الإخوان في مصر وتونس إلى الحكم أن هناك فرصة جديدة سانحة لإعادة إحياء الإمبراطوريّة العثمانيّة، بشكل آخر في المنطقة. يضاف إلى ذلك أنّ السياسة التي اتبعتها أمريكا اتجاه سوريا بهدف إسقاط بشّار الأسد لم تكن بعيدة التأثير عن تقوية الدوافع التركيّة هذه. في النهاية كان الأتراك يشاهدون أمريكا تقود حملة شرسة للغاية ضدّ النظام السياسيّ في سوريا وأنّ الفرصة مؤاتية للالتحاق بهذه الحملة التي تخدم أهدافهم.

في الوقت نفسه وعندما كان يجري الحديث عن نموذج حكومات الإخوان المسلمين في تونس ومصر، كان للأميركيّين فيها خطوط حمراء، واجه هؤلاء حقيقة مفادها: إنّ الناس في منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا كانوا يكتبون على جدران مدنهم وقراهم: «الإسلام هو الحلّ». وكان الأمريكيّون يشاهدون الحركات الإخوانيّة الإسلاميّة في مصر وتونس وأنّهم قد قبضوا على السلطة. والسؤال الذي كان يُطرح: أيّ نموذج للحكومة يريده المسلمون في هذين البلدين؟ وقبل ذلك كان أسلوب التفكير عند الإخوان المسلمين قد نجح في تأسيس نموذج للحكم في تركيا. الخطوط الحمراء الأمريكيّة في هذه التحوّلات والتغيّرات هي أن لا تصل المنطقة إلى انفجار شبيه بالثورة الإسلاميّة في إيران، وأن يسيطر هذا النموذج فيها. المطلوب عند الأمريكيّين، وجود نموذج شبيه بالنموذج الإسلاميّ التركيّ إذا كان مقرّرًا إيجاد حكومات إسلاميّة في المنطقة، وأن ترتدي النساء الحجاب، وأن تقام صلاة

الجماعة، وأن يعود النشاط إلى المساجد حيث يمكن وفق هذا النموذج الحفاظ على الظواهر الإسلاميّة ولكنه لا يمنع فاعليّة مراكز الفحشاء. وفي الوقت الذي تقام فيه العلاقات مع إسرائيل ويجري افتتاح سفارات فيها، يمكن أيضًا الدفاع عن فلسطين والقدس. ولا بأس أن تكون زوجة رئيس الجمهوريّة وزوجة رئيس الوزراء محجّبتين وأن تراعى الشعائر الإسلاميّة والصلاة والصيام. يعتقد الأمريكيّون أن هذا النموذج يحمل ضررًا ضئيلًا لهم. الخطّ الأحمر في تحوّلات المنطقة بالنسبة إلى أمريكا وبعض اللاعبين الأساسيّين هو تكرار النموذج السياسيّ الشبيه بالثورة الإسلاميّة.

من جهته كان رئيس جمهوريّة تركيا السيّد أردوغان يشاهد تحوّلات المنطقة، وأنّ تركيا أصبح لها أصدقاء جدد في مصر وتونس وغيرهما.

ومن جهة ثانية إذا فكّر الأمريكيّون في الاختيار بين السيّئ والأسوأ، بين نموذجي الحكومة في كلّ من إيران وتركيا، فممّا لا شكّ فيه أنّهم سيختارون النموذج التركيّ لعدم تعارضه الجدّي مع إسرائيل.

لذلك شكّل هذا الأمر دافعًا قويًّا لتركيا، فأصبحت تشعر أنّ الأجواء مناسبة للاستفادة الأفضل والتفكير بمصالحها في المنطقة. منذ ذلك الوقت بدأ الحديث في المقالات واللقاءات الصحفيّة عن إحياء الإمبراطوريّة العثمانيّة أو النظام العثمانيّ الحديث في المنطقة، لعلّ الأمر يساهم في تحويل التغييرات التي تحصل في

سوريا والعراق نحو وجهة محدّدة. كما أن تأجيج الاختلافات المذهبيّة هو الذي كان يريده الطرف السعوديّ[1].

تبدّل النظرة التركيّة تجاه الإرهابيّين

على الرغم من كلّ ما قيل، لم تبقَ سياسة تركيا في سوريا على حالها، وأصابها التغيير وكلّما طال عمر الأزمة، كانت الوقائع الخارجيّة تترك تأثيرًا أكبر في فهم أنقرة للقضايا في سوريا ومخاطر الدفاع عن الإرهابيّين.

يقال إنّ ثمّة أشخاصًا كانوا ينشطون في تركيا من تلقاء أنفسهم وبعيدًا عن أعين الدولة في نقل الإرهابيّين إلى سوريا. كانت الحكومة التركيّة تعمل على إسقاط بشار الأسد، ومن هذا الطريق كان يدخل الإرهابيّون سوريا ويتلقّون الدعم أيضًا.

ولكن الذي دفع تركيا نحو تغيير اتجاهها السابق، الزيادة الكبيرة في أعداد الأشخاص المسلّحين وغيرهم، ومقدار تنقّل داعش داخل تركيا بحيث خرجت الأمور تقريبًا عن سيطرة الحكومة. وكان الإرهابيّون قد شرعوا بنشاطاتهم داخل الأراضي التركيّة بالتدريج.

---

(1) يدّعي السعوديّون أنّ إيران تدافع عن الشيعة في العراق، وعن العلويّين في سوريا وعن حزب الله في لبنان. ولا يتحدّثون عن دعم إيران للمجموعات السنّيّة في العراق والمنطقة وأنها تقدم لهم الدعم الأكبر في محاربة الإرهاب. وإيران هذه التي تقدّم الدعم الكبير لحماس والجهاد الإسلاميّ وهما من أهل السنّة لمواجهة الكيان الصهيونيّ. ولا يتحدّث السعوديّون عن إيران التي ترفع على الدوام لواء الوحدة بين السنّة والشيعة في العالم الإسلاميّ (الراوي).

كانوا تارة يزرعون المتفجّرات في محطّة الباصات، وتارة أخرى يغتالون بعض المواطنين.

ثمّ انتقل جزء من الاضطرابات الأمنيّة التي أحدثتها داعش في سوريا والعراق وبالتدريج إلى تركيا. تحول ازدياد النشاطات الإرهابيّة شيئًا فشيئًا إلى أزمة في أنقرة[1].

وقد ساهم هذا القلق في أن تعيد تركيا التفكير بسياستها.

طبعًا هذا لا يعني أنّ تركيا قد غيّرت استراتيجيتها تمامًا في سوريا، بل اقتنعت بضرورة تغيير أساليبها ضمن نطاق مصالحها الأمنيّة والقوميّة.

---

(1) المشكلة الأساسيّة عند داعش عدم وجود قيادة واحدة لها. ومن جملة ما امتازت به تنوّع القيادات ومناطق النشاط. كانت سياستهم تعتمد بداية على إيجاد أماكن صغيرة تحمل عنوان «الخلافة الإسلاميّة» حتّى لو كانت متفرّقة. لذلك كانت مدينة «الرقّة» مركز عملهم في سوريا ولم يكن من ضرورة في وجود ارتباط بين الرقة و«إدلب».

كانت قيادة الرقة منفصلة عن قيادة إدلب. وكانت الدوافع عند الأفراد مختلفة ومتنوّعة أيضًا. كما أن الاعترافات التي أدلى بها الدواعش المعتقلون في العراق وسوريا ولبنان جديرة بالتأمل. بعضهم جاء لدوافع اعتقاديّة أرادوا أن يقتلوا ليتمكّنوا من الجلوس إلى جانب الرسول الأعظم(ص) في الجنة على وجبة غداء، وكان عدد هؤلاء قليلًا للغاية، وبعضهم الآخر جاء بدوافع شهوانيّة وفي الوقت عينه كان يُدفع للشخص كلّ يوم مئة يورو. وكانت تدفع هذه المئة يورو للأشخاص الذين كانوا يعيشون في بلدان فقيرة، وهو مبلغ كبير جدًا، وكان هناك ما يعرف بجهاد النكاح إلى جانب الحصول على الأموال. فما الذي سيضمن عدم قيام أفراد من هذا التجمع غير المتناسق والفوضوي وإن كان على مستوى فردي بأعمال إرهابيّة في تركيا لو سمحت تركيا لهم بالمرور؟ (الراوي).

لبنان

بدأت خيوط فقدان الأمن الناشئ من نمو الإرهاب في سوريا تدخل لبنان، وقد ارتكبت داعش أحداثًا مفجعة في لبنان، في تلك الأيّام تعرّضت سفارتنا في بيروت لهجوم إرهابيّ. وتعرّضت مناطق مختلفة من بيروت مرارًا للاستهداف بسيارات متفجّرة، قتل على أثرها أشخاص لا ذنب لهم. وهكذا تركت حالة فقدان الأمن في سوريا تأثيرها المباشر في لبنان.

لهذا السبب، وإضافة إلى نشاط حزب الله في مواجهة داعش، نشط الجيش اللبنانيّ في إيجاد الأمن على الحدود السوريّة اللبنانيّة المشتركة، وبالتالي الدفاع عن لبنان، وترسيخ الأمن الداخليّ. لحسن الحظّ اتّفقت آراء أصحاب الأفكار والاعتقادات على تنوّعها، وأكثر الأحزاب السياسيّة في لبنان على ضرورة مواجهة خطر داعش، وكانت آمالهم تتّجه نحو حزب الله في لبنان على مستوى إغلاق طريق دخول الإرهابيّين لبنان من الأراضي السوريّة. قدّم حزب الله الكثير من الشهداء في مواجهة الإرهاب داخل سوريا، ولإحلال الأمن في لبنان، فكان هؤلاء جزءًا من المدافعين عن الحرم. وفي الوقت نفسه لم يغفل حزب الله عن المؤامرات الصهيونيّة.

في زمان حكومة المرحوم حافظ الأسد تحرّك الإخوان المسلّحون في سوريا خلافًا لوجودهم في مصر وتونس والدول الأخرى، مستخدمين السلاح ضدّ الدولة. وقد قمعت الدولة

السوريّة أعضاء الإخوان الذين حملوا السلاح للوصول إلى أهدافهم. بشكل طبيعيّ فهم بعض المنتمين للإخوان أنّ ما قام به حافظ الأسد هو إجراء ضدهم.

انطلاقًا من هذه السابقة التاريخيّة شعر بعض الذين يحملون أيديولوجيا ترتبط بالإخوان المسلمين أنّ الأوضاع في سوريا تتّجه نحو مكان آخر يحتمل معه التغيير، فظنّوا أنّ الفرصة أصبحت مؤاتية لمتابعة العمل الذي أخفقوا فيه ولم ينته، وبالتالي الوصول إلى السلطة. هذه الرؤية جعلت لدى البعض القليل من حماس شكوكًا في أحداث سوريا ومستقبلها. وفي أجواء الأزمة السوريّة التقيت في قطر مرات عديدة السيّد «خالد مشعل» مسؤول المكتب السياسيّ لحماس في مكتبه في الدوحة. خاطبته في أحد هذه اللقاءات بصراحة[1].

وخاطبته لائمًا: «أنتم من قادة المقاومة وتدركون التحوّلات المحليّة والدوليّة جيّدًا، وتعلمون أنّ إسقاط بشار الأسد لن يكون في مصلحة فلسطين على الإطلاق. نحن نعجب ونتأسف أن بعض الأفراد في حماس قد أخذهم الشكّ في مستقبل سوريا، وقد بدؤوا الابتعاد عن بشار، أنتم تدركون تأثير هذه المواقف في مصير فلسطين.

هذا العمل هو تخبط كبير ويساعد في إضعاف محور المقاومة.

(1) عادة يستقبل الفلسطينيّون ضيوفهم وفق الطريقة العربيّة. أي إنّ اللقاءات كانت تبدأ عند الحادية عشرة ليلًا، يرافقها أنواع وأشكال من الحلويات العربيّة ذات الدلالة على السخاء والمحبّة (الراوي).

وكأنكم قد جلستم في سفينة وتعملون على إيجاد ثقب بداخلها».

تحدث السيّد خالد مشعل مفصلًا في الجواب ممجّدًا بالسيّد بشار الأسد، شاكرًا استضافة الحكومة السوريّة للمجموعات الفلسطينيّة. وقد تحدث بهذه الأمور في جلسة خاصّة، لعلّه أراد بذلك إقناعي باعتباري معاونًا لوزير خارجيّة إيران.

في اليوم التالي عمل بعض من كان برفقتي على إعداد خبر عن كلام السيّد خالد مشعل وقاموا بنشره. وكان عنوان الخبر: خالد مشعل يشكر بشار الأسد ودعمه لفلسطين، في الوقت عينه، كان «إسماعيل هنيّة» وهو من قادة حماس، يقدّم رؤية استراتيجيّة تتعلّق بسوريا وقيادتها وكان دقيقًا وواضحًا في بيان مواقفه. وكان له في هذه الأثناء زيارة إلى طهران شهدت حوارًا بنّاءً وإيجابيًّا مع المسؤولين. طبعًا لم تمضِ مدّة طويلة قبل أن يعيد خالد مشعل تعديل تجاه آرائه ورؤيته.

ولكن أدّى اختلاف الآراء، وعدم الإدراك الصحيح للمسائل السياسيّة إلى ترك آثار في أوساط الفلسطينيّين، الذين كانوا يعيشون بحال من اليأس في مخيّمات النازحين.

طبعًا لعبت التحوّلات الميدانيّة دورًا أساسيًّا في هذا الشأن، فقد كان يخطر للبعض أن حذف بشار الأسد من السلطة ممكن، لكنّهم لاحظوا بعد مدّة أنّه لن يسقط. واتّضح لاحقًا أنّ الأمريكيّين والصهاينة كانوا خلف هذه الأحداث. أيقن بعضهم أنه تسرّع. فحتّى لو سقط بشار الأسد، فلن يسمحوا للإخوان المسلمين بحكم سوريا، كما لم يسمحوا لهم بالبقاء في السلطة في مصر.

مصر

الخصائص التاريخيّة

من المناسب الإشارة إلى تحوّلات المجتمع المصريّ باعتباره من أكثر دول المنطقة تأثيرًا في مرحلة تحوّلات «الربيع العربيّ». المجتمع المصريّ مجتمع يحمل الكثير من التعقيدات. ساهمت حكومات الفاطميّين المتسلسلة في تعلّقهم الخاصّ بأهل البيت عليهم السلام. وفي القاهرة عاصمة مصر مسجد باسم مسجد الحسين عليه السلام أو رأس الحسين عليه السلام حيث يعتقد المصريّون أنّ الرأس المبارك للإمام عليه السلام قد دفن فيه بعد واقعة كربلاء وانطلاق موكب الأسرى وقد أصبح المكان مزارًا كبيرًا. وهناك ضريح جميل للرأس الشريف في داخل المسجد (الصور في الملحق) يضاف إلى ذلك اعتقاد المصريّين باحتمال دفن السيّدة زينب عليها السلام في مصر (وهناك روايات بهذا الشأن).

من هنا فإنّ للمرقد الزينبيّ عليها السلام في القاهرة قداسةً خاصّة، وهو محلّ اهتمام أهل مصر. طبعًا هناك مزار آخر في القاهرة وهو قبر حفيدة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام باسم «السيّدة نفيسة عليها السلام».

يهتم المصريّون بالمزار حتّى أنّهم يحتفلون عشرة أيّام ويبتهلون كلّ عام في ذكرى ولادتها[1]. أمّا ثقافة احترام أهل البيت والتعلّق بهم في مصر فهي محفوفة بالفرح أكثر من الحزن بسبب غلبة ثقافة

(1) يقصد المصريّون المكان للزيارة، ويقدّمون النذورات ويعتقدون بأنّ لصاحب المقام كرامات وقد شفي الكثيرون فيه (الراوي).

التصوّف في هذا البلد. أذكر أنني سافرت في عام (1993م) لأول مرّة إلى مصر بالتزامن مع ذكرى ولادة السيّدة نفيسة عليها السلام.

كنت توّاقًا لمعرفة كيفيّة احتفال المصريّين بولادتها. نصبوا خيمًا في أطراف المزار مشابهة للتكايا التي ينصبها الإيرانيّون في الشوارع والأزقّة أيّام شهر محرم، إلّا أنّه في مصر هذه الخيم ملوّنة بألوان دافئة تدعو للبهجة[1].

الحقيقة أن الشعب المصريّ يظهر محبّته لأهل البيت عليهم السلام بشكل واضح، وهم ملتزمون بالمناسك والشعائر الدينيّة[2]. المشهور في مصر إقامة أغلب الأعراس في الأزقة والشوارع، حيث يصفّون المقاعد أمام منزل العروس أو العريس، ويفرشون السجّاد، ويستقبلون الضيوف[3]. وأمّا الرقص والغناء فهو في مكانه.

(1) أغلب هذه الخيم تكون نذورات، ويقدّمون للناس طعام المعكرونة البسيطة من دون أيّ شيء آخر. بعضهم يتناول الطعام بيديه لعدم وجود الملاعق وبعضهم يوزّع الأرز واللحم داخل الخيم وهو طعام خاصّ. احترامًا لنا أخذونا إلى نهاية الخيمة، وكان هناك ساتر يفصلنا عن الآخرين. وكان بعض وجهاء المدينة قد جلسوا هناك. وكان بعضهم يردّد أشعارًا إسلاميّة أو عرفانيّة وصوفيّة ويحرّكون رؤوسهم طبقًا للطريقة الصوفيّة ويؤدّون رقصًا شبيهًا برقص السماع (الراوي).

(2) من جملة مميّزات المجتمع المصريّ الأخرى الجديرة بالذكر، اللباس والحجاب الإسلاميّ للسيّدات. قد يشاهد في جلسات مسؤولي الدولة سيّدات مصريات من دون حجاب. ولكن أكثر السيّدات في الأماكن العامة محجبات وهذا يعني أن النسيج الفكري والثقافة الدينيّة يشاهدان بوضوح في هذا البلد كما أن قراءة القرآن اليوميّة تشكل جزءًا من ثقافة أغلب المصريّين (الراوي).

(3) يتشكل أغلب طعام فقراء مصر من رغيف خبز وفول مسلوق. البعض يتمكّن من تناول وجبة واحدة من هذا الطعام في اليوم. والعصير المشهور عندهم كوب=

عندما ذهبت أوّل مرّة إلى مصر صُدمت عندما شاهدت الحالة التي يعيشها جمع كبير من ساكني القاهرة، كنت أتصور أنّ مصر هي أهرامات ثلاثة، حكومة الفراعنة، آثار تاريخيّة عظيمة، حضارة مصر الكبيرة، نهر النيل، النبي يوسف ﷺ، ودور المسؤولين المصريّين في المنظّمات الدوليّة. كلّ ما كان يخطر في ذهني عن مصر كان العظمة العظمة وحسب. ولكن في القاهرة عاصمة البلد، لم يشاهد مبنى واحد جديد بالملاحظة، باستثناء قصور حسني مبارك والمباني الحكوميّة، والفنادق ذوات النجوم الخمسة، والأماكن السياحيّة.

الفقر الحاكم على المجتمع المصريّ عميق ومؤلم. أذكر أنّني انتقلت مع بعض الأشخاص إلى ساحة التحرير لتناول طعام الغداء في مطعم يقدّم ساندويشات محليّة، وهو المكان عينه الذي بدأت منه ثورة عام 2011 الشعبيّة. عندما بدأنا تناول الطعام كان هناك أكثر من أربعين طفلًا يطرقون على الزجاج لنقدّم لهم لقمة من الطعام، لم نتمكّن في ذلك الوقت من تناول الطعام أمام أعين أشخاص جائعين. في إحدى المرّات، وبينما كنت أخرج من مقام السيّدة نفيسة ﷺ، شاهدت عددًا كبيرًا من النساء والرجال في حال يرثى لها يرتدون ثيابًا رثّة وممزّقة، والجميع كان يطلب المال. فتّشتُ ثيابي فلم أجد ورقة نقديّة أقلّ من عشرة دولارات. أعطيت

=قصب السكر يوميًا. وهو عصير رخيص الثمن متوافر بكثرة في محلّات العصير حيث يعتقدون أنّ عصير قصب السكر يطرد الميكروبات من الجهاز الهضميّ ويمدّ الجسد بالطاقة (الراوي).

الشخص الأوّل عشرة دولارات، ولم أدرك أنّ ما أعطيته شبيه بإعطاء مليون تومان في إيران لشخص متسوّل. وبعد ذلك هجم باقي الفقراء فجأة. وبعد عراك تمكّن سائق مكتب حفظ مصالح إيران وشخصان من المساعدين من إخراجي من بينهم ممزّق الثياب، ثمّ وضعوني داخل السيارة. إنّ مشاهدة فقر أهل مصر يترك تأثيرًا عميقًا في الإنسان. وكلّما زرت مصر كنت أشاهد الأوضاع المعيشيّة والحياتيّة للناس العاديّين تزداد سوءًا. كانت هذه أوضاع الشعب في عهد حسني مبارك حليف أمريكا وإسرائيل القريب!

الاعتدال وثقافة المجتمع المصريّ

المصريّون من أكثر شعوب الدول العربيّة ثقافة وتعلّمًا، ولديهم أفضل المحامين والحقوقيّين، أفضل المعلّمين، وأساتذة الجامعات، أفضل المفكّرين، بدءًا من المجال السياسيّ إلى الدينيّ، وكذلك في الشعر والأدب والفنّ. ويعود هذا الأمر إلى تاريخهم وحضاراتهم، وإلى الإسلام وعمق نفوذه في هذا البلد، حتّى إنّ نهر النيل ترك تأثيره في ثقافة الشعب المصريّ وفهمه للمسائل، عندما يريدون الحديث عن الثورة المصريّة، يوضحون أفكارهم من خلال نهر النيل، ويقولون إنّ ثورة مصر لا تتحوّل في أيّ يوم من الأيّام إلى نوع من الطغيان؛ كما أنّ نهر النيل لا يطغى على الإطلاق! يقولون إنّ نهر النيل قد يرتفع كثيرًا إلّا أنّه طوال التاريخ لم يطغَ ليدمّر ضفّتيه. يعتقد المصريّون أن لنهر النيل قواعده الخاصّة وقد تآلفت أرواح المصريّين معها.هذا ما يعتقده العوامّ في مصر، طبعًا قد يستغل بعض الشخصيّات السياسيّة شعب مصر في

اعتقادهم هذا ليروّج فكرة عدم الثورة وعدم إيجاد تغيير جذريّ في مصر على الإطلاق.

مرحلة مرسي، أيّام السيسي

بعد سقوط نظام حسني مبارك من خلال الشعب المصريّ، وعلى أثر التحوّلات الاجتماعيّة والسياسيّة المتسارعة، وصل محمد مرسي ومن خلال الانتخابات إلى السلطة. كان الرأي العامّ المصريّ وكذلك العالم الإسلاميّ يأملون أن يحمل وصوله بارقة التغييرات الإيجابيّة، إلّا أنّ الأمل تحول وبسرعة إلى حالة من اليأس، كان مرسي يعتقد، بما أنّه وصل إلى رئاسة الجمهوريّة، أنّ كلّ شيء أصبح في متناول يده. الهيكل السياسيّ الأساسيّ السابق الذي لم يشمله التغيير، حاصره بالتدريج، ووقف سدًّا منيعًا أمامه، يُذكر أنّه جاء إلى طهران ليسلّم رئاسة حركة عدم الانحياز إلى رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

كان من المهمّ لمرسي زيارة طهران. كان يمتلك إدراكًا صحيحًا عن الثورة الإسلاميّة في إيران وأفكار الإمام الخمينيّ (رضوان الله عليه) وهنا أريد القول بما أنّني من الأشخاص الذين شاركوا عشرات الساعات في مفاوضات مع مجموعة الأشخاص المحيطين بمرسي والمقرّبين منه أثناء رئاسته فإن السفر إلى طهران كان مهمًّا له للغاية. ومع أنّ مرسي كان يأخذ بعين الاعتبار ملاحظات السعوديّة وأمريكا إلّا أنّه كان يدرك موقع الجمهوريّة الإسلاميّة في المعادلات الدوليّة ومعنى السفر إلى إيران، كان يدرك أهمّيّة الثورة الإسلاميّة، كان يدرك الضغوط المحليّة والدوليّة سافر إلى السعوديّة

والصين، ووصل إلى طهران قادمًا من بكين ليشارك في افتتاح مؤتمر حركة عدم الانحياز الدوليّ (NAM).

حكم مرسي قرابة السنة، شهدت مصر خلالها نموًّا متصاعدًا للتطرّف.

ووصلت الأمور في بعض الأحيان إلى أن يعمد المتطرّفون الوهابيّون إلى قتل السيّد «حسن محمد شحاته»، وهو من قادة شيعة مصر وثلاثة من مرافقيه بأسلوب ففُجع. أمّا أسباب تصاعد الإشكالات والاشتباكات بين الشيعة والسنّة في الأجواء السياسيّة والإعلاميّة المصريّة فهي الحركات الإفراطيّة، علمًا أنّ المجتمع المصريّ مجتمع معتدل محبّ لأهل البيت عليهم السلام[1]. يعود جزء من هذه الأوضاع إلى سلوك الجماعات المتطرّفة والإرهابيّين التكفيريّين الذين أوجدوا هذه الأوضاع في العراق خلال السنوات الماضية حيث طغت هذه العقليّة على أجواء المنطقة، وقد عملوا جاهدين على الذهاب بالمجتمع المصريّ نحو هذه الابتلاءات.

من جهة أخرى كان السيّد مرسي بشخصه، وباعتباره رئيسًا للجمهوريّة يتابع السياسات الإفراطيّة في سوريا. كان مرسي يؤيّد إسقاط النظام السياسيّ في سوريا، وكان يدلي في بعض تصاريحه بكلام عالي النبرة في هذا الخصوص، يستنبط من بعض تصاريحه أنّه يعمّق الخلاف بين الشيعة والسنّة من دون أن يدري.

---

(1) يقال إنّ الإرهابيّين أوثقوا جسد الشهيد شحاته وربطوه إلى سيّارة وساروا به في الشوارع (الراوي).

من هنا نلاحظ أن مرحلة رئاسة مرسي القصيرة للجمهوريّة ـ خصوصًا في النصف الثاني منها ـ فيها تشجيع الحركات الإفراطيّة في سوريا على إسقاط النظام السياسيّ. وفي الداخل المصريّ كان الوهابيّون وأدوات السعوديّة تعمل جاهدة على توتير المجتمع المصريّ، طبعًا فإنّ لهذه الأوضاع جذورًا، فالمملكة العربيّة السعوديّة والإمارات كانتا غير قادرتين على تحمّل وجود شخص مثل مرسي، ينتمي للإخوان المسلمين في الحُكم.

انضمّ مرسي إلى جبهة الحركات المعارضة لثبات سوريا واستقرارها بعد مواقفه المتطرّفة، فشعرت المجموعات المتطرّفة أنّ الفرصة أصبحت مناسبة لدخول سوريا عبر مصر ليثأروا للخسارة التي تعرّض لها الإخوان المسلمون في سوريا في مرحلة حافظ الأسد. كان هدفهم أن يصل الإخوان المسلمون في سوريا للسلطة، كما هو الحال في مصر وتونس. والنتيجة كانت ظهور بعض التناقضات المذهبيّة داخل المجتمع المصريّ، حتّى إنّ الوهابيّين حاولوا التأثير في الأزهر ليصبح حسّاسًا تجاه الشيعة.

هذا الدور المصريّ في الأزمة السوريّة يرتبط بمرحلة مرسي. وعندما وصل «عبد الفتاح السيسي» للسلطة، أدرك، وقبل أي شيء آخر، رواج التطرّف في بلده وتبعات الدفاع عن الإرهابيّين والمسلّحين في سوريا. كما أنّ التناقض بين الجنرال السيسي، رئيس الجمهوريّة الجديد والإخوان المسلمين كان لافتًا. كان السيسي لا يحبّذ وصول الإخوان المسلمين في سوريا للحكم. لذلك اتّخذ موقفًا مناقضًا لسيرة مرسي في ما يتعلّق بسوريا.

بعد انتقال السلطة في مصر جرت دعوة الشيخ روحاني لحضور مراسم أداء السيسي القسم، فذهبت ممثّلًا الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة للمشاركة فيها. إنّ ما لا يخفى على أحد أنّ السيسي قد وصل إلى السلطة بدعم علنيّ من السعوديّة والإمارات. وكان لكلّ من الأمريكيّين والبريطانيّين دور خاصّ في انتقال السلطة. كلّ هذه الأمور كانت تشكّل ما نسبته الخمسون في المئة من الأسباب والخمسون في المئة الأخرى ترتبط بالسلوك اللاموزون لمرسي، حيث انقسم المجتمع المصريّ على أثرها إلى قسمين؛ فعارض قسم مرسي والإخوان المسلمين، وأيّدهم القسم الآخر. لذلك وصل السيسي إلى الحكم نتيجة عمليّة داخليّة ومحليّة ودوليّة. طبعًا كان السيسي يمتلك مميزات تركت تأثيرها في وصوله للحكم. فالمشهور على سبيل المثال أن السيسي حافظ للقرآن الكريم[1].

عيّن السيّد مرسي السيسي وزيرًا للدفاع، ووزير الدفاع في مصر صاحب قوّة حيث يلعب الجيش في مصر عادة دورًا هامًّا.

يمتلك الشعب المصريّ ميولًا كبيرة نحو الإسلام. وعندما حصلت الثورة عام 2011 م كان شعارهم «الإسلام هو الحلّ»، وبما أنّ السيسي جنرال عسكريّ حافظ للقرآن الكريم ملتزم بمسائل الإسلام والشريعة، لذلك أيّده الكثير من المصريّين. ولعلّ هذا السبب هو الذي سمح بالاستقرار وتشكل حكومة السيسي بعد

---

(1) عندما عيّن مرسي السيسي وزيرًا للدفاع سألت أحد المحيطين بالسيّد مرسي عن مميزاته فأجاب بأنّ أكبر مميّزاته وأهمّها أنّه مسلم سليم وحافظ للقرآن الكريم (الراوي).

الانقلاب. طبعًا أصبح القمع في مصر من جملة واقعيّات الأحداث بعد مرسي.

على كلّ الأحوال، وبعد القرار الذي اتّخذ في إيران، شاركت في مراسم أداء الرئيس المصريّ القسم. وكان المنسّق الأساسيّ للمراسم السيّد عمرو موسى الذي شغل سنواتٍ منصب الأمين العامّ للجامعة العربيّة. وهو شخصيّة معروفة وفاعلة في العالم العربيّ. استمرّت مراسم أداء القسم قرابة أربع ساعات. وحضر المراسم شخصيّات عدّة من أبرزها الملك سلمان الملك الحالي للسعوديّة، والذي كان يشغل منصب وليّ العهد في تلك الفترة، حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين، الملك عبد الله الثاني ملك الأردن، نائب رئيس الجمهوريّة الثاني في العراق آنذاك السيّد خضير الخزاعي والعديد من الشخصيّات الأخرى. أثناء المصافحة في المراسم خاطبت السيسي وقلت له: «كان بيننا اتّفاقات جيّدة أثناء حكومة مرسي. نحن نتطلّع إلى مصر وشعبها، وما زلنا حتّى الآن على استعداد لمتابعة ذاك الأسلوب ولهذا كان حضوري هنا ممثّلًا للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران؛ لأنّ نظرتنا لمصر التاريخيّة والحضاريّة هي نظرة استراتيجيّة». استمرّ حديثي معه حوالي الدقيقة. وكانت وسائل الإعلام تنقل مباشرة المراسم[1] (الصور في الملحق).

---

(1) بعد ذلك كنت كلّما ذهبت إلى مكان يسألوني ما هي المسائل التي تحدّثت بها مع السيسي خلال لقائك به؟ (الراوي).

تقرّر على هامش المراسم المشاركة في جلسة، في اليوم التالي، مع عمرو موسى. وكان اللقاء في مكتبه الواقع في مركز القاهرة ضمن بناء قديم جميل للغاية وضمن بيئة تراثيّة. بدأ اللقاء مع عمرو موسى بفنجان قهوة عربيّة، ومباشرة منه مصحوبة بابتسامات، فطال اللقاء حواليّ الساعتين ونصف الساعة. تحدّثت إليه في ذاك اللقاء بعدّة مسائل؛ من جملة ذلك أنّني أتيت إليكم من بلد حدثت فيه ثورة إسلاميّة. والجمهوريّة الإسلاميّة هي الحاكمة. وأنتم تدركون جيّدًا إطار رؤيتنا للعالم الإسلاميّ والمسلمين. نحن لا نؤيّد ما حصل في مصر هذه الأيّام وأدّى إلى مقتل حواليّ ألفي شخص. نحن ندعم المسلمين، الذين يمثّلون أصوات الشعب المصريّ، وفي الوقت عينه تربطنا علاقة بالحكومة المصريّة ونتوقّع من السيّد السيسي إيقاف هذا القمع. توقعنا أن تمتلك الحركات الإسلاميّة في مصر الفرصة للتعبير عن رأيها والإفصاح عن مطالبها في إطار الدستور. تحدّثت معه واستمعت له حول موضوعات عديدة، بدءًا من العراق إلى اليمن وليبيا، والمفاوضات النوويّة والدول الستّ، وضرورة العلاقات الطبيعيّة بين طهران والقاهرة. وفي الوقت نفسه أخبرته بالدور غير البنّاء للسعوديّة والإمارات في الأحداث التي حصلت في مصر وأنّها غير خفيّة عنّا. وقد أشار عمرو موسى في حديثه إلى مواضيع متعدّدة. وقد نقل أفكاري في الليلة نفسها إلى السيسي، ثمّ اتّصل في اليوم التالي، حيث كان من المقرّر أن أغادر، وشدّد على ضرورة اللقاء قبل المغادرة وقبل الانتقال إلى

المطار. جرى تنظيم اللقاء، وكان يحمل رسالة هامّة لإيران، قال السيّد عمرو موسى: «أولًا أشكر الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران لإرسالها ممثّلًا إلى مراسم أداء القسم. ثانيًا أبلغوا المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة وشخص الإمام القائد السلام من المسؤولين في مصر. ثالثًا انقلوا هذه النقاط الثلاث إلى المسؤولين في إيران. النقطة الأولى: إنّ مصر بلد كبير وذو تاريخ عميق، اطمئنّوا إلى أنّ مصر صاحبة هذه السابقة لن تكون في جيب الآخرين. الثانية: إنّ لبعض الأطراف طلبات كثيرة، والتجاوب مع هذه الطلبات شرط مساعدتها في هذه التحوّلات. إلّا أنّنا قاومنا هذه الطلبات ولم نقبلها. بعضهم كان يقول لماذا تدعمون برنامج إيران النوويّ السلميّ؟ يجب أن تقولوا: إنّ برنامج إيران يشكّل خطرًا وتهديدًا أمنيًّا لكلّ المنطقة، ونحن لم نستجب لذلك، وكانوا يقولون أيضًا: لماذا تغيرت سياسة مصر تجاه سوريا؟ يجب أن يسقط بشار الأسد والدولة السوريّة، تحدّثوا في الإعلام وصرّحوا أنّ بشار الأسد ديكتاتور وأنّ مصر لا تدعم الأسد ونظامه السياسيّ؛ لأنّه يفتقد التأييد الشعبيّ. ونحن لم نفعل ذلك أيضًا، على الرغم من الضغوط الكبيرة التي مورست ضدّنا، حتّى أنّهم طلبوا منّا أن نصرّح في الإعلام أنّ إيران تتدخّل في البحرين».

كانت الرسالة إلى إيران وبعبارة مختصرة أنّ مصر لن تكون تحت إرادة اللاعبين الأجانب. وقد تحدّث عمرو موسى معبّرًا عن رأيه: «طبعًا نحن اليوم في وضع اقتصاديّ صعب وبحاجة إلى المساعدات الاقتصاديّة من بعض الدول العربيّة».

المسألة المهمّة أنّ مصر تحرّكت 180 درجة تقريبًا بعد حذف مرسي في سياستها تجاه سوريا، وبدّلت آراءها في إسقاط الأسد إلى اتّخاذها قرار عدم التدخّل في أمور سوريا[1].

الدول الاسكندنافيّة وألمانيا

حاولت الدول الشماليّة في أوروبا أن لا تتدخّل في المسائل السياسيّة وتغيير النظام في سوريا، وقد أدّت بعض الدول مثل السويد، الدانمارك، النروج وفنلندا، دورًا إنسانيًّا يتعلّق بالمساعدات الإنسانيّة بعيدًا عن اعتماد اتّجاه سياسيّ وإصدار أحكام حول تحوّلات سوريا، كان وزير خارجيّة النروج يوركه برنده يلتقيني باستمرار على هامش اللقاءات الدوليّة ويتابع باهتمام تحوّلات المنطقة وسوريا.

وأعتقد أنّ ألمانيا هي البلد الذي كان يمتلك فهمًا صحيحًا للمسائل السوريّة، فلم يلعب دورًا غير بنّاء. والسبب في ذلك أنّنا تمكنّا وبسرعة من الاستفادة من فرصة الحوار في المسائل السياسيّة والأمنيّة مع الألمان، وذكّرناهم بالتهديدات والمخاطر التي قد تصيب ألمانيا وأوروبا عند عدم الاستقرار في سوريا والعراق، وعرضنا ذلك عليهم باستخدام وثائق ميدانيّة. شاهد الألمان أنّ أوروبا بدأت تفقد الأمن مع أنّ داعشًا لم تتمكّن حتّى ذلك الوقت

(1) المعلومات التي بين أيدينا تشير إلى أنّ الحكومة المصريّة أبعدت من سوريا جزءًا من المقاتلين المتطرّفين الذين ذهبوا إلى سوريا وانضمّوا إلى الإرهابيّين والمسلّحين (الراوي).

من تثبيت سلطتها. وقد وضعت وزارة الأمن الإيرانيّة الأجهزة الأمنيّة الألمانيّة في أجواء هذا الموضوع.

سافرت مرتين إلى ألمانيا في أوج الأزمة السوريّة، والتقيت المسؤولين في وزارة الخارجيّة إضافةً إلى معاون المستشارة الألمانيّة منسّق الأجهزة الأمنيّة الألمانيّة وبعض مسؤولي الأجهزة الأمنيّة. وشاركت في أحد اللقاءات مع ممثّلين عن سبعة أجهزة أمنيّة ألمانيّة، وكلّهم مسنّون وأصحاب خبرة كان حينها إلى جانبي السيّد «ناصر كنعاني» مسؤول لجنة العراق في وزارة الخارجيّة آنذاك[1].

كان تقييمنا أنّهم أفراد عقلاء وأذكياء وعلى معرفة وثيقة بتحوّلات المنطقة[2]. نظّم الألمان سياستهم الخارجيّة تجاه سوريا بسرعة، اعتمدت سياستهم على الرغبة في الحفاظ على علاقاتهم مع المعارضين السوريّين المعتقدين بالحلّ السياسيّ، لم تكن وجهتهم دعم سقوط بشار الأسد وقد أعلنوا أنّ هذا الأمر يرتبط بالشعب السوريّ. ولم تصلنا أيّ إشارات تدلّ على أنّ الألمان يعملون كما البريطانيّ والفرنسيّ لأجل إسقاط النظام في سوريا. وقد تكرّرت التجربة الألمانيّة في إيطاليا فكان لهم دور إيجابيّ.

(1) وهو الآن مسؤول عن تمثيلنا الدبلوماسيّ في القاهرة (الراوي).

(2) حضر اللقاء آنذاك سفيرنا في برلين السيّد شيخ عطار وفي الرحلة الثانية حضر سفيرنا اللاحق السيّد ماجدي.

ضرورة إدخال قوى ثالثة

تعود إحدى المحطّات الهامّة في الأزمة السوريّة إلى (أيلول 2015م) في هذا التاريخ وبعد حواليّ أربع سنوات (2011 إلى 2015م) جرى تثبيت أوضاع الجبهة بصمود الشعب، ومقاومة القوّات المسلّحة، والدعم المقدّم من المستشارين الإيرانيّين وحزب الله وجهود المدافعين عن الحرم. أي إنّ هناك مساحات من الأرض أصبحت تحت سيطرة داعش والمجموعات الإرهابيّة، وبقيت المساحات الهامّة تحت سلطة الدولة. سيطرت حالة من الركود على ساحة الحرب. لم يكن بمقدور الدولة أو الإرهابيّين التقدّم. هنا كان لا بدّ من إدخال قوّة ثالثة لتغيير موازين القوى. هذه القوّة الثالثة قد تكون أمريكا وحلفاءها، لما فيه من مصلحة للإرهابيّين. طبعًا لو كانوا يمتلكون إشرافًا على التحوّلات في سوريا، لتمكّنوا من خلال انتشار جديد أن يدخلوا بشكل مباشر ليغيّروا المعادلة. لحسن الحظّ كان تقييم الأمريكيّ وحلفائه في ذاك الوقت غير صحيح، ثمّ إنّ دمشق وطهران بادرتا إلى اتّخاذ الموقف المطلوب. وفي النتيجة كانت القوّة الثالثة في الواقع هي روسيا.

سعينا في جميع الاتجاهات لإقناع روسيا بالتدخّل في سوريا، وعدم ترك الأمريكيّ مستفردًا بالساحة، كان ينبغي للروس أن لا يكونوا غير مبالين في مسألة ترتبط بأمنهم القوميّ. بعض الإرهابيّين في سوريا هم من بلدان رابطة الدول المستقلّة أو CIS، أمثال الشيشان وبعض جمهوريّات آسيا الوسطى. وكل واحد من هؤلاء يمكن أن يشكّل خطرًا على روسيا وآسيا الوسطى والقوقاز، في

حال قرّروا العودة إلى بلدهم. كان هذا الأمر أحد أسباب الاهتمام الروسيّ.

ومن جملة الأسباب الأخرى التي دفعت الروس للتدخّل في سوريا التحوّلات التي حصلت في أوكرانيا. قاطعت أمريكا والغرب روسيا بسبب نزاعها مع أوكرانيا حول شبه جزيرة القرم. في المقابل كان على الروس أن يحصلوا على امتياز يضعونه في مقابل المقاطعة، فقد الروس عام 1390 (2011م) حليفًا عربيًّا لهم، أي ليبيا، في منطقة شمال أفريقيا الحسّاسة، ولم يكن لديهم في سوريا سوى ميناء طرطوس الوحيد الذي يمكّنهم من إثبات حضورهم. عندما قُدّم اقتراح حضور الروس إلى سوريا، درسوا ظروف القيادة والجيش والشعب في سوريا وموقع الجمهوريّة الإسلاميّة ونفوذها في المنطقة ثمّ اتّخذوا قرارهم.

مواقف روسيا تجاه الأزمة في سوريا

اتّخذت روسيا وهي قوّة مؤثّرة في العالم، موقف مراقبة الأحداث بداية الأزمة في سوريا. كان الروس يقيّمون الظروف ليشاهدوا الجهة التي ستتّجه إليها أوضاع سوريا. بداية الأزمة كان الروس وتحت تأثير علاقاتهم بالأوروبيّين والأمريكيّين، يعتقدون أنّ التغيير في رأس النظام السوريّ ضرورة، في الحقيقة، عمل الغربيّون على إقناع روسيا بإسقاط بشار الأسد وأن يبدأ في سوريا مستوى من الإصلاحات، في ذاك الوقت، سافرتُ إلى روسيا لهذا الهدف، والتقيت السيّد «ميخائيل بوغدانوف» معاون وزير خارجيّة

روسيا والممثّل الخاصّ للرئيس الروسيّ لشؤون الشرق الأوسط، وتباحثنا حول الموضوع قرابة خمس ساعات.

نتحدّث هنا عن إطار زمانيّ أي عن (الأسابيع الأخيرة من عام 2012 وبداية عام 2013 ميلاديّ)؛ عن مرحلة كنّا نسمع فيها كلّ يوم أخبارًا مقلقة ومروّعة من سوريا تحكي عن سقوط منطقة جغرافيّة واسعة أو نقاط استراتيجيّة أخرى بأيدي داعش وجبهة النصرة والمجموعات الإرهابيّة الأخرى. في تلك المرحلة كانت حلقة محاصرة دمشق بواسطة الإرهابيّين والمسلّحين قد اكتملت تقريبًا، وبدأ العدّ العكسيّ للهجوم على مراكز الدولة. ذهبت آنذاك إلى موسكو للتباحث فيما يقلقنا، وفي الوقت عينه كانت قد انطلقت المحادثات بين الأجهزة الأمنيّة والعسكريّة في بلدينا.

أشرت إلى أنّ نظيري الروسيّ، السيّد ميخائيل بوغدانوف كان يشغل منصب معاون وزير خارجيّة روسيا، إضافةً إلى كونه ممثّلًا خاصًّا للرئيس الروسيّ في شؤون الشرق الأوسط. وكان المهندس سجّادي[1] سفيرًا للجمهوريّة الإسلاميّة في موسكو. بدأنا محادثاتنا مع روسيا حول سوريا في وقت طغى نوع من البرودة على العلاقات كافّة فيما بيننا.

سعى السيّد بوغدانوف خلال جلسة الساعات الخمس وهو دبلوماسيّ محترف ومتخصّص في العالم العربيّ وصاحب علاقات وصداقات قويّة إلى إقناعي بأنّ إنهاء الحرب في سوريا يتطلّب

(1) وقبل ذلك كان المهندس سجّادي معاونًا تقنيًّا لرئاسة الجمهوريّة (الراوي).

ابتعاد بشار الأسد عن السلطة. عمل بوغدانوف في الجلسة الأولى على إقناعي بأن الحفاظ على «سوريا» أهم من حفظ «بشار الأسد»[1]، لعلّه أراد بذلك معرفة مقدار دعمنا للقيادة السوريّة.

في هذه المباحثات يرافقني عادة السادة الدكتور «حميد دهقاني بوده»، رئيس دائرة الشرق الأوسط في الوزارة آنذاك، وكذلك «عباس كلرو»، معاون الدائرة السياسيّة للشرق الأوسط، «ناصر كنعاني»، رئيس اللجنة الخاصّة بالعراق، «علي بك»، رئيس الدائرة السياسيّة الأولى للخليج الفارسيّ وطبعًا كلّ حسب الموضوعات المتّصلة بملفه، ويعمل في سفارتنا في موسكو مترجمان متضلّعان هما: السيّد الدكتور مهديان والسيّد الدكتور جهانكيري ويحملان شهادة دكتوراه في اللغة والأدب الروسيّ، كان السيّد جهانكيري ضليعًا باللغة إلى مستوى قدرته في الترجمة على توضيح أحاسيس الشخص المقابل[2].

انتقال الوجهة الروسيّة نحو دمشق

كنّا نسعى بعد كلّ جولة مباحثات مع المسؤولين الروس، إلى وضع أصدقائنا السوريّين في وقائع ما حصل، وعلى مستويات ثلاثة؛ المستوى الأوّل: كنّا مباشرة نضع السفير السوريّ في طهران

---

(1) عمل بوغدانوف سنوات طويلة سفيرًا لروسيا في بعض الدول العربيّة من جملتها لبنان ومصر، وهو يعرف المنطقة جيّدًا ويتحدّث العربيّة بطلاقة. ويشغل الآن منصب معاون الوزير والممثّل الخاصّ للرئيس الروسيّ (الراوي).

(2) تمتلك وزارة الخارجيّة الإيرانيّة وللإنصاف قسمًا للترجمة ذا قدرات عالية، يغطون الجلسات الدوليّة الكبيرة ومن جملتهم السيّد شكوري الذي شغل سنوات مشرفًا ورئيسًا لدائرة الترجمة ومدرّسًا للغة الفرنسيّة (الراوي).

في أجواء جزء من مضمون المحادثات، وكنّا نطلع السيّد رؤوف شيباني سفيرنا في دمشق عليها. ثمّ يقوم بدوره بنقلها إلى جهات سورية متعدّدة. كانت المحادثات تصل تارة إلى موضوعات حسّاسة، لذلك كنت أعرّج على دمشق، قبل السفر وبعده لأضع السيّد بشار الأسد، ومن دون واسطة في أجواء المسائل الهامّة التي جرى تناولها في المحادثات. كان هذا هو المستوى الثاني. أمّا المستوى الثالث فكان أصدقاؤنا في الأقسام الأمنيّة والاستشارات العسكريّة ينقلون المطالب الهامّة إلى نظرائهم في سوريا. وكان دور اللواء سليمانيّ على رأس الجهود المؤثّرة كافّة التي بذلها النظام؛ وقد تراوحت جهوده بين المستوى العسكريّ والمستوى السياسيّ - الدوليّ، والأمنيّ حتّى الثقافيّ والاقتصاديّ.

بشكل عامّ كان تبادل وجهات النظر مع الأصدقاء الروس حول الأزمة في سوريا وتحوّلات المنطقة مفيدًا للطرفين وبنّاءً. على كلّ الأحوال كانت معرفتهم بالعالم العربيّ تشتمل على نقاط مفيدة[1].

(1) من المناسب هنا أن أشير إلى بعض الأمور: عندما بدأت تحوّلات «الصحوة الإسلاميّة» المتسارعة في عام 2011م، واجهنا أوضاعًا جديدة في مصر، تونس، ليبيا، اليمن، البحرين و.. وفي المقابل كان ينبغي للجمهوريّة الإسلاميّة أن تتخذ مواقف سريعة ومدروسة في مقابلها أيضًا. كنّا ذاك الوقت في المجلس الأعلى للأمن القوميّ الذي كان على رأس أمانته العامّة الدكتور جليلي. كان لدينا كلّ يوم صباحًا بعد الصلاة جلسة تقريبًا. كنّا نصلّي صلاة الصبح في أمانة سرّ المجلس الأعلى للأمن القوميّ ويلي ذلك فطورًا وجلسة كانت تستمر أحيانًا إلى قرابة الظهر والسبب في ذلك أنّ تحوّلات المنطقة قد تترك تأثيرها في أمننا القوميّ إضافةً إلى الاتّهامات الموجّهة لإيران حول دورها في التحوّلات فكان لا بدّ من إعداد إجابات عن الاتّهامات. من جهة أخرى كان هناك أحداث تقع في=

كنّا نتشاور مع السوريّين، ونخبرهم بنتائج المحادثات مع الروس والأطراف الأخرى ذات العلاقة بالأزمة. طبعًا كانوا هم أيضًا يتباحثون بشكل مستمرّ مع المسؤولين الروس ويتبادلون وجهات النظر.

شرحنا للسيد بشار الأسد والمسؤولين السوريّين أثناء محادثاتنا معهم الإجراءات التي سنتّخذها لتغيير وجهة نظر الروس. من الأمور الهامّة والحسنة هنا أنّ السيّد بشار الأسد كان مطّلعًا على الموقف الروسيّ وكيفيّة فهمهم للمسائل، ومن جهة أخرى كان السوريّون يشعرون أن الجمهوريّة الإسلاميّة ثابتة وصامدة على مواقفها.

=دول المنطقة، ويصل إلى السلطة أفراد وشخصيّات ممّن تأثّروا بخطاب الثورة الإسلاميّة، ولم يكن من السهل اتّخاذ موقف في هذا الخصوص، كلّ هذه الأسباب في جهة، وما نشكل من نظام سياسيّ نمتلك مستوىً من العلاقات والاتّصالات بحكومات هذه الدول، حيث إنّ تنظيم جميع هذه الأمور والإشراف عليها لا يخلو من صعوبات من جهة ثانية. وفي الخلاصة كانت تحكم المنطقة ظروف معقّدة وخاصّة.

من جملة الموضوعات التي كانت تطرح آنذاك، كيف يمكننا المساهمة في ثبات المنطقة واستقرارها انطلاقًا من سياسات النظام. كانت ترسل خلاصات المطالب يوميًّا إلى الإمام القائد، وكان بدوره يذكر ببعض النقاط، من جملة المسائل التي أشار إليها الإمام القائد أن لا تدرسوا قضايا العالم العربيّ من زاوية ووجهة نظر إيرانيّة فقط، شاوروا أصحاب الفكر والمطّلعون في العالم الإسلاميّ والعالم العربيّ، هؤلاء يمتلكون معرفة مباشرة بمجتمعاتهم. وهذا يساعدكم في الاستنتاجات. من هذا المنطلق كنّا نهتم بالتشاور مع السيّد بشار الأسد، والسيّد وليد المعلم وزير الخارجيّة في سوريا، والسيّد علي مملوك رئيس الجهاز الأمنيّ وبعض الخبراء والنخب الأخرى. طبعًا كانت مشاوراتنا مع الأصدقاء في لبنان والعراق والبحرين واليمن و...على درجة عالية من الأهميّة (الراوي).

القضيّة الهامّة الأخرى هنا أن القلق على المستقبل دفع الروس للحديث خلال المباحثات عن تخطّي مسألة بشار الأسد، ولكن في العمل لم يظهر منهم أيّ سلوك يشير إلى تغيير في موقفهم في الدفاع عن سوريا حتّى بشار الأسد. في الحقيقة كانوا يدرسون الأوضاع ويقيّمونها.

وكانوا يحاولون العمل على إنهاء الأزمة في سوريا بأقل التكاليف. وقد ركّزوا في مواقفهم على مصطلح «الحقوق الدوليّة».

مواقف الروس الأولى تجاه سوريا

يبدو أن بعض النقاط كانت تؤثّر على آراء المسؤولين الروس، وأهمّ تلك النقاط اللقاء الذي جمع بوتين بالإمام القائد في طهران، والتنسيق الميدانيّ للّواء سليمانيّ في مسألة محاربة الإرهاب. أمّا النقطة التالية فهي أنّ تحليل الروس وباعتبار دولتهم واحدة من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، كان متأثّرًا وإلى حدود بعيدة بآراء أعضاء مجلس الأمن الآخرين. أمّا رأي أعضاء مجلس الأمن الغربيّين فكان رحيل بشار الأسد حيث كانوا يوجّهون اتّهامات إليه، ويطلقون على رئيس جمهوريّة سوريا القانونيّ أسوأ العبارات والأوصاف. وكان التقييم الروسيّ أنّ الضغوط الداخليّة والمحليّة والدوليّة لاستقالة بشار الأسد كبيرة للغاية. لذلك تشكّل الاستدلال في ذهنهم، على أنّ بقاء النظام السياسيّ في سوريا أهمّ من بقاء شخص بشار الأسد.

تحدّثت بمسألة في غاية الصراحة في تلك الجلسة التي استمرّت خمس ساعات وقد أخبرني سفيرنا بعد الخروج من الجلسة من

احتمال انزعاج الروس من سماع هذه المسألة. ولكنّي كنت أعتقد ضرورة الحديث الصريح في مراحل المباحثات الأولى والثانية، مع الحفاظ على رعاية الأدب الدبلوماسيّ. قلت للسيّد بوغدانوف في تلك الجلسة: «يسعى السيّد بوتين إلى إعادة روسيا إلى مرحلة القوّة. ولكن قوّة روسيا لا تحصل عن طريق التحليلات الذهنيّة، والعمل عن بعيد فيما يتعلّق بتحوّلات المنطقة». وطلبت منه أن ينقل للسيد بوتين أن: «قوّة روسيا لا تتحقق من خلال اعتماد سياسات خجولة في المنطقة وروسيا. وإذا أرادت روسيا القوّة فيجب أن يكون لها حضور مؤثر في تحوّلات المنطقة. لقد خدع الأمريكيّون الروس في ليبيا. حصلوا على موافقتكم في مجلس الأمن وقالوا لكم نريد فرض حظر الطيران فوق ليبيا وحسب[1]، وقالوا إنّ هدفهم من المنطقة التي يمنع فيها الطيران، أن تتمكّن طائرات الناتو من تأمين الأجواء الليبيّة، ووعدوا بعدم القيام بأيّ عمل على الأرض. وبغضّ النظر عن رأينا بحكومة القذافي، فالنتيجة أنّهم استفادوا من اتّفاق مجلس الأمن ورأيكم الإيجابيّ فيه، فبدؤوا عمليات عسكريّة، أسقطوا نظام القذافي وأشاعوا الفوضى، في الحقيقة كانت ليبيا حليفتكم في شمال أفريقيا، وقد اسقطوها ولم يبق لكم موطأ قدم في ليبيا وشمال أفريقيا. وقد بقي لكم مكان واحد في المنطقة، وهو «نصف معلّق» ألا وهو سوريا» ثم قلت للسيد بوغدانوف: «أعتقد أنّ الغربيين سيخدعون مرّة أخرى ليقنعونا بأنّ تنحّي بشار الأسد يصبّ في مصلحة الجميع» ثمّ قلت: «إذا ساعدتم الشعب السوريّ

(1) NO FLY ZONE

حتّى لا يتمكّن الإرهابيّون واللاعبون الدوليّون من إسقاط النظام، فعند ذلك يمكننا نحن وأنتم أن نبدأ تعاونًا جديدًا في المنطقة. واعلموا أنكم إذا وفقتم في جبهة الأمريكيّين والأوروبيّين بسبب مصالحكم وعلاقاتكم واعتمدتم سياساتهم، فسنقف نحن بجديّة مع الحكومة والشعب في سوريا، ولن نتأثّر بموقفكم المتزلزل في هذه المسألة».

الأمور التي سمعناها في تلك الجلسة على لسان المسؤولين الروس تشير إلى مقدار التأثير الذي تركه الغربيّون فيهم بخصوص سوريا. طبعًا لا بدّ من الثناء على مقدار تحمّل السيّد بوغدانوف ومرافقيه لكلامي.

تغيير موقف الروس

هكذا كانت رؤية الروس للمسألة السوريّة، لكنهم لم يتماشوا كذلك مع الرؤية الأمريكيّة. الحقيقة أنّ هناك مجموعة أسباب ساهمت في تغيير رؤيتهم بشكل أساسيّ ومبدئيّ، ولم يكن كلامنا وحده هو الذي أقنعهم فجأة بتغيير أسلوبهم. طبعًا كانت هناك مباحثات على مستوى أمنيّ وعسكريّ، وكانت مفيدة للغاية تركت تأثيرها في أذهان الروسيّ؛ وقد قدّم أصدقاؤنا في الأجهزة الأمنيّة وفي محادثاتهم البعيدة عن الإعلام شرحًا مفصّلًا للجزئيّات والأخطار المترتّبة لنظرائهم الروس.

قلت للسيد بوغدانوف في تلك الجلسة: «أنتم تعرفون العالم العربيّ جيّدًا، لا ننسى أنّنا نتحدّث عن بلاد يحكم أغلبها أنظمة عائليّة وراثيّة.

ثمّ إنّ دور القادة في هذه البلدان حيويّ بغضّ النظر عن أنّ الشخص ينتمي لآل الصباح وآل ثاني وغيرهما، أو أنه على رأس جمهوريّة يحكمها مدى العمر. يجب أن نهتمّ بدور القادة في هذه البلدان الذي هو بمثابة الدور الذي يلعبه الخيط في السبحة».

عندما وجدت أنّ السيّد بوغدانوف لم يقتنع، ضربت مثالًا له، وقلت: «إنّ دولة البحرين جزيرة صغيرة انفصلت عن إيران عام 1971 بسبب سوء تدبير النظام البهلويّ. منذ ذاك الوقت حتّى الآن يشغل شخص اسمه الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئاسة وزراء البحرين.

ثار أهل هذا البلد وقدّموا عشرات الشهداء وآلاف السجناء المبعدين والمنفيّين من البلد. وهم يطلبون الحدّ الأقلّ من حقوقهم أي أن يكون لكلّ بحرانيّ رأي خاصّ. أرادوا في مطالبهم تنصيب شخص جديد لرئاسة الوزراء أو أن تجري مساءلة رئيس الوزراء من خلال المجلس وكلّ ذلك هو الحدّ الأدنى المذكور في الدستور. لكن وبما أنّ مصالح السعوديّة وأمريكا وحلفائهما في البحرين تتحقق بهذه الظروف نفسها، فلم يسمحوا بتغيير أيّ شخص، ليس الملك أو وليّ العهد، بل لم يسمحوا بتغيير رئيس الوزراء الذي اقترب عمره من التسعين عامًا، لأنّهم يدركون أنّ هذا العمل كالدومينو، إذا سقط البيدق الأوّل سقطت على أثرها البيادق الأخرى كافّة، هم يدركون هيكليّة هذا البلد العربيّ والدول العربيّة[1]. الأمريكيّون والسعوديّون غير جاهزين لتنحية رئيس

(1) النظام في سوريا جمهوريّ. أقام بشار الأسد انتخابات رئاسة الجمهوريّة في=

الوزراء برغم العدد الكبير من القتلى الذين قدّمهم الشعب البحرانيّ، فلماذا عندما يصلون إلى سوريا يطلبون وبصراحة مرافقتهم لإسقاط بشار الأسد، يدرك الأمريكيّون أنّه عندما يسقط بشار الأسد، يضطرب النظام السياسيّ في سوريا ويتحقّق مخطّط الأمريكيّ والصهيونيّ في تقسيم سوريا. لا تَشكّوا في أنّ قاعدتكم العسكريّة ستتوقّف أيضًا».

قلت له وهو صاحب صبر وتجربة دبلوماسيّة عالية: «إنّ سقوط شخص رئيس الجمهوريّة في سوريا يعني سقوط أسس وهياكل هذا البلد كافّة؛ كما حصل في ليبيا. العقيد القذافي كان ديكتاتورًا، لكن وبعد مضيّ عدّة سنوات من القضاء عليه، لم نشاهد بديلًا له في الحكومة الليبيّة.

لأن تغيير النظام السياسيّ في ليبيا لم يكن نتيجة حركة طبيعيّة اجتماعيّة، بل نتيجة حركة عسكريّة متسرّعة وتدخّل الناتو، والأهمّ من ذلك أنّ أجزاء البلد كافّة كانت مرتبطة بهذا الشخص، لذلك فإنّ عزل رئيس جمهوريّة سوريا القانونيّ، سيجعلنا أمام ليبيا أو أفغانستان جديدة من حيث الاضطراب وعدم الثبات.

استمرّت المحادثات مع السيّد بوغدانوف في طهران، وموسكو، وفي بلدان أخرى ويبدو أنها كانت مؤثّرة، كان سفيرنا في موسكو المهندس سجّادي وهو سفير مجدّ وفهيم للغاية، يعتقد أن

=أوج الحرب، وعند انتهاء مرحلة رئاسته أي السنوات الست انتخب مجدّدًا من قبل الشعب. أمّا في البحرين فلا مجال للحديث عن انتخابات، وحتّى البرلمانيّة منها فهي ليست حقيقيّة (الراوي).

المحادثات حول سوريا كانت كالحفّارة التي تعمل في العلاقات الثنائيّة، ممّا دفع الروس لإعادة التفكير مرّة جديدة بعلاقاتهم مع طهران، وبالتالي فتح باب جديد للتعاون بين الجانبين. يبدو أنّ الروس رصدوا الموقف الإيرانيّ في سوريا، فأدركوا كم كان نفوذ إيران واسعًا في المنطقة لأسباب متعدّدة. كما أنّ الروس لم يكونوا منزعجين من لعب الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران لهذا الدور الإيجابيّ والبنّاء والهامّ في هذه القطعة من بازل المنطقة أي سوريا. أصبح هامًّا عند الروس وبالتدريج أن يكونوا إلى جانب سوريا في هذه الأزمة، وأن يستفيدوا منها في إطار مصالحهم القوميّة وفي مواجهة الأمريكيّين في مسألتي أوكرانيا والقرم.

من جملة النقاط الهامّة الأخرى التي دفعت روسيا للاهتمام أكثر بالأحداث في سوريا. إنّ أكثر الأشخاص خشونة، هي تلك الجماعة التي جاءت إلى سوريا كمقاتلين أجانب تحت مسمّيات داعش أو جبهة النصرة، هؤلاء كانوا من الشيشان والجمهوريّات السوفياتيّة السابقة. يقول المتخصّصون إنّ من بين المجموعات الإرهابيّة هؤلاء هم الأكثر وحشيّة ودمويّة. وقد سمعت هذا الوصف من اللواء سليمانيّ أيضًا.

بعض المقاتلين الأجانب في المجموعات الإرهابيّة كان يجري تجنيدهم في جمهوريات آسيا الوسطى، ثمّ يجري إرسالهم إلى سوريا، وبعد اكتسابهم التجربة الضروريّة في الأمور الحربيّة والإرهابيّة، يعودون إلى بلدانهم ثمّ يستطيعون التوغّل من هناك إلى داخل روسيا بسهولة. في الحقيقة يهدّد هؤلاء الأمن في روسيا. وقد

أوجدوا حالة قلق كبيرة لروسيا. ويبدو أنّ مجموع هذه الأمور دفعت روسيا للموافقة على المساعدة في حفظ النظام السياسيّ في سوريا.

يمكن القول: إنّ المحادثات الأمنيّة والعسكريّة بين البلدين، الإجراءات التي اتّخذها اللواء سليمانيّ، ولقاء بوتين الإمام القائد الخامنئيّ في طهران هي الأسباب الأساسيّة الهامّة التي دفعت موسكو لاتّخاذ موقف جديد تجاه سوريا. من هنا تدخّلت بقواتها الجويّة بهدف المساعدة وذلك في الثلاثين من أيلول عام 2015. استخدموا قوّاتهم الجويّة لمساندة القوات المسلّحة السوريّة في عمليّات تحرير مدينة حلب كان يمكن لهذا المقدار من تدخل الروس، تغيير موازين القوى ممّا أدى لتحرير ثاني أكبر المدن السوريّة.

ساعدت إيران الروس في سوريا بناء على رؤيتها الاستراتيجيّة على مستوى نقل التجهيزات اللوجستيّة وقد جرى هذا الأمر في إطار اتّفاق عسكريّ في البلدين. كانت الأجهزة العسكريّة عندنا ملتفتة تمامًا إلى ضرورة العمل مع الأخذ بالحسبان جميع جوانب الأمور المرتبطة بمصلحتنا الوطنيّة وأمننا القوميّ في هذا التعاون المشترك، أعتقد أنّ أكثر تجارب التعاون بين إيران وروسيا نجاحًا تلك التي تتعلّق بسوريا. شكل دخول القوّة الجويّة الروسيّة تعزيزًا للقدرات الميدانيّة للقوّات السوريّة على الأرض، ممّا أدّى في النهاية إلى تحرير حلب فتغيّرت المعادلة لمصلحة سوريا. وكان الروس راضين عن ذلك، حيث دخلوا سوريا لتحقيق أهدافهم في مواجهة سياسات أمريكا الخاطئة.

اختلاف التوجّهات الروسيّة والأمريكيّة في الحرب مع داعش

هنا لا بدّ من الإشارة إلى نقطة هامّة، وهي أنّ عمليتي تحرير مدينتي حلب في سوريا والموصل في العراق قد بدأتا في الوقت نفسه ولكن ما الفارق بينهما؟ في تحرير مدينة حلب كان من المقرّر أن يؤمّن الروس الدفاع الجويّ، بينما تتابع القوّات السوريّة العمل على الأرض. وكان الدعم العسكريّ والمساعدة في التخطيط على عاتق المستشارين الإيرانيّين وحزب الله. تحرّرت حلب بسرعة، وكان من المقرّر أن يحصل ما يُشبه هذا الأمر في الموصل. وعد الأمريكيّون بتقديم الدعم الجويّ إلّا أنّهم غيّروا رأيهم وسط العمليّات، عندما أرادت القوّات العراقيّة الالتفاف على الموصل ليسهل تحريرها، رفض الأمريكيّون وقالوا لهم: لا تعجلوا! نحن ننهي الموضوع عن طريق الهجوم الجويّ. ولكنّهم إمّا كانوا يتلكّؤون في ذلك وإمّا يقصفون مناطق يختارونها دون أخرى[1]. كانوا يفكّرون بإنقاذ قادة داعش في الموصل قبل أيّ شيء آخر؛ لذلك أخّروا عمليّة محاربة الإرهاب.

ضرورة التواصل الدائم مع الروس

لا بدّ هنا من الإشارة إلى نقطة هامّة، وهي أنني بقيت على اتّصال دائم بالمسؤولين الروس قرابة خمس سنوات أو ست في

---

(1) الأسوأ من ذلك أنّ وثائق نشرت فجأة على المستوى الأمنيّ تشير إلى أنّ بعض الجنرالات الأمريكيّين قد اجتمعوا مع قادة داعش في مبنى في مطار الموصل. بعد ذلك جرى إخلاء وسائل حربيّة بواسطة عدّة طائرات من نوع C 130 الأمريكيّة ثمّ أرسلوها إلى داعش. وقد عقدت هذه الأمور الأوضاع (الراوي).

أوج الأزمات في المنطقة ومن جملتها الأزمة السوريّة. من المهمّ جدًّا بعد التأسيس للعلاقات الحفاظ عليها بنحو دائم. في الوقت نفسه عُقدت جلسة في المجلس الأعلى للأمن القوميّ حضرها الأدميرال شمخاني، اللواء سليمانيّ، السيّد علوي وزير الأمن، رئيس منظّمة الأمن الخارجي وآخرون. تحدثت في تلك الجلسة، وقلت: إنّنا نواجه مشكلة في موضوع سوريا، حيث يكون الفاصل بين المحادثات مع الروس حواليّ أربعين أو خمسين يومًا. بعد ذلك عندما كنت أحادث السيّد بوغدانوف وفريقه، كان بوغدانوف يقول مجددًا: «ألا تعتقدون أنّه ولأجل الحفاظ على سوريا ينبغي تجاوز الشخص لنتمكّن من حفظ النظام؟» وقلت حينها إنّ على المتخصصين السياسيّين والأمنيّين تحرّي سبب ذلك.

تحدّث اللواء سليمانيّ، وقد اختبر الكثير من الملفّات، قال: إنّني أعرف السلوك الروسيّ من خلال تجربة أفغانستان، إذا تحدّثتم مع الروس بشكل مستمر وأشرتم إلى المصالح المشتركة، وإذا قدمتم لهم الاستدلالات المنطقيّة، أمكنكم الوصول إلى أهدافكم والعمل معًا بشكل أفضل. ولكن إذا طالت المدّة الزمانيّة بين المحادثات فقد يبتعدون عنكم في بعض المسائل وقد يتأثّرون ببعض الأكاديميّات أو الأجواء الدوليّة[1].

كان اللواء سليمانيّ يعتقد بمسألة التعاون والعمل مع روسيا والصين وقد أيّد أعضاء المجلس رأيه وتقرّر استمرار هذه المحادثات على المستويات ذات العلاقة كافّة.

(1) الواضح أنّ الروس يتحرّكون انطلاقًا من مصالحهم ولا ينظرون إلى سوريا نظرة مقاومة كما نفعل نحن (الراوي).

لحسن الحظّ امتلك الروس ارتباطًا أكثر واقعيّة بالساحة السوريّة بفضل الحوارات المستمرّة على المستوى السياسيّ والأمنيّ بما في ذلك الحوارات العلنيّة والسريّة. أعتقد أنّ ما يتمتّع به شخص بوتين من ذكاء وفطنة كبيرين لعب دورًا أساسيًّا بهذا الخصوص. لأنّ الدور الأساسيّ والمحوريّ كان لشخص السيّد بوتين، الشخص الذي كنت أحاوره هو معاون وزير الخارجيّة وممثّل السيّد بوتين، وكان ينقل نتائج المحادثات إليه. تارة كنا نشاهد أن تأثير المحادثات كان يظهر بعد أربعة أيّام أو خمسة كان الروسيّ يهتمّ بمنطق الحوار وأساس الاستدلالات التي تقدّم فيدرسها، وينظر إلى بعضها انطلاقًا من مصالحه. وبما أنّ روسيا قد تلقّت ضربة في ليبيا، كانت ترغب في أن يكون لها موطئ قدم أفضل في سوريا لتتمكّن من الدفاع عن حلفائها في آخر نقطة باقية لها في العالم العربيّ.

رواية الروس لأسباب تغيير السياسة تجاه سوريا

بعد عدّة أشهر من وصول الروس إلى خلاصة من المجريات واتّخاذ قرار الدفاع عن النظام السياسيّ، الشعب، ورئيس الجمهوريّة السوريّة واعتماد ذلك في سياستها، توجّهتُ بالسؤال لأحد المسؤولين الأمنيّين في روسيا[1] وكان فعّالًا ومؤثرًا فيما يتعلّق بالملفّ السوريّ، سألته: ما الذي دفعكم لتغيير رأيكم؟

(1) تعرفت على هذا الشخص أيّام حكومة صدّام في بغداد أثناء مأموريّة دبلوماسيّة (الراوي).

قال: درسنا الموضوع جيّدًا، قدم لنا الأمريكيّون ولا سيّما السيّد جان كيري وزير خارجيّة أمريكا ومسؤولي الـ CIA اقتراحات ومغريات مقابل التعاون معهم، كنّا نسأل أنفسنا ما الذي يريده الأمريكيّ منّا حقيقة؟ الجواب أنّهم يريدون منّا أن نتجاوز بشار الأسد. والواضح أنّ تجاوز بشار الأسد، سينقلنا إلى اختلاف أساسيّ في الرأي مع إيران، وأضاف المسؤول الأمنيّ الروسيّ: من جهة أخرى نحن نعلم أن الأمريكيّين يتحدّثون كثيرًا، ويطلبون الكثير أيضًا؛ ولكنّهم يواجهون المشكلات في الاستنتاج. دخل الأمريكيّون أفغانستان بصخب كبير واحتلوا البلد. وكان مقرّرًا أن يقضوا على الإرهابيّين إلّا أنّهم لم يتمكّنوا من ذلك، وحوّلوا أفغانستان إلى نظام سياسيّ غير مستقرّ وغير آمن. ثمّ نظرنا إلى سياساتهم في العراق، شاهدناهم قد استفادوا من كلّ قدراتهم بعد أن أدخلوا على العراق مئة وسبعين ألف جنديّ، إلّا أنّهم في النهاية غرقوا في المستنقع العراقيّ. وفي الملفّ اللبنانيّ أو الفلسطينيّ، حاولت الحكومات الأمريكيّة المختلفة أن تقدّم طروحات عديدة وكبيرة، إلّا أنّهم جاؤوا ثمّ ذهبوا، وكانوا يوجّهون التهديدات، ولم يحصلوا على نتائج بارزة.

وفي تحوّلات المنطقة، حيثما دخلوا في صراع مع إيران لم يكونوا هم الفائزين في نهاية المطاف. لذلك وبالالتفات إلى هذه السوابق، درسنا الموضوع وقلنا إنّنا إذا تجاوزنا بشار الأسد، نكون قد قضينا على آخر حليف لنا في العالم العربيّ بأيدينا، وكما قاوم بشار الأسد حتّى الآن فبإمكانه المقاومة والبقاء أيضًا. إذا بقي بشار

وتمكّن من حفظ السلطة، فلن يثق بنا نحن الروس وسنفقد الكثير من المصالح.

وأضاف المسؤول الروسيّ انصب اهتمامنا أثناء الدراسات على موضوع آخر، ووصلنا في النهاية إلى نتيجة مفادها أنّ الإيرانيّين داعمون لهذه المسألة. والإيرانيّون خلال هذه السنوات دعموا حلفاءهم في المنطقة بقوّة، وكان لهم هذا الأسلوب حتّى مقابل الجيوش الأمريكيّة الكبيرة، وفي النهاية لعب الإيرانيّون وحلفاؤهم دورًا هامًّا في تحوّلات المنطقة وحصلوا على نتائج مقبولة.

وصلنا من خلال هذا المطلب إلى نتيجة مفادها أنّ الدعم الإيرانيّ لسوريا ومع الأخذ بعين الاعتبار سلوك إيران في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين في هذه السنوات، فإنّ بقاء بشار الأسد في السلطة احتمال كبير، وبالتالي ستتمكّن إيران من فعل ما تريد. عند ذلك نكون قد فقدنا سوريا، وأصبح الإيرانيّون أصدقاؤنا وحلفاؤنا ينظرون إلينا نظرة سلبيّة.

حاولت دائمًا أن أقول لأصدقائنا الروس في بعض المباحثات معهم: إنّ الصورة الذهنيّة والتاريخيّة للشعب الإيرانيّ ليست إيجابيّة تجاه الاتحاد السوفياتيّ. يعتقد الشعب أنّ الروس يتخلّون عن حلفائهم في الدقيقة التسعين ويعملون انطلاقًا من مصالحهم فقط. تعمدت أن أجعل السيّد بوغدانوف يدرك أنّني وبصفتي ممثّلًا لبلدي أتحدّث إليه عن حقيقة تاريخيّة مريرة مزروعة في أذهان الشعب. إلّا أنّ تجربة المباحثات مع الروس أظهرت أنّ روسيا تختلف عن الاتحاد السوفياتيّ، وأنّه بالإمكان العمل مع روسيا بوتين.

الخطّة الأمريكيّة السعوديّة المعقّدة لاحتلال دمشق

اعتمدت السعوديّة للأسف سلوكًا هو الذي اعتمدته منذ فروروين عام 1381 (نيسان 2002م) نفسه بعد سقوط صدّام في العراق. وضع السعوديّون أنفسهم في الجانب السيّئ من التحوّلات وأصبحوا من المدافعين عن الإرهابيّين سواء من الناحية اللوجستيّة أو المعلوماتيّة. ثمّ كانوا من المدافعين عن البعثيين وبقايا عسكريي نظام صدّام. وقد لعبت هذا الدور بعينه في سوريا.

في ذروة الأزمة السوريّة، التقى بندر بن سلطان، رئيس الجهاز الأمنيّ السعوديّ السيّد بوتين في موسكو. وتمحور اللقاء حسب الأخبار الواصلة حول موضوع سوريا. أخبرتنا بعض المصادر العربيّة في المنطقة أن بندر بن سلطان قال للسيد بوتين: أنا أتيت لأحاوركم، وعندي طلب محدّد وهو أن تكونوا إلى جانبنا في إسقاط بشار الأسد، وأن تساعدونا في ذلك. الآن قد اتّحدت جميع الدول الكبيرة في العالم ضدّ بشار الأسد، فإذا لم تريدوا المساعدة في إسقاط بشار، فالتزموا الصمت في هذه المرحلة ولا تنحازوا إلى بشار وسوريا وأوقفوا، تعاونكم مع الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران لمحاربة داعش والدفاع عن سوريا[1].

(1) علمًا أن الروس لم يكونوا قد أدخلوا قواتهم الجويّة على سوريا ولم يدخلوا ساح الحرب بطور جديّ، إلّا أنهم لعبوا دورًا هامًّا في مجلس الأمن في الأمم المتّحدة بعد الفيتو الذي أصدروه على القرار والذي كان يجب أن يصدر ضدّ سوريا، وفي المجال السياسيّ كان موقف الروس ينطلق من الحقوق الدوليّة ويقصدون من ذلك أنّ الحقوق الدوليّة تنصّ على أنّ الشعب السوريّ وحده هو الذي يجب أن يحدّد مستقبل بلده وبالتالي كانوا يرفضون الضغوطات الخارجيّة على الحكومة السوريّة (الراوي).

سأل بوتين بندر بن سلطان في ذاك اللقاء: «ما هو برنامجكم وطريقة عملكم في سوريا؟» أجاب بندر بغرور: «برنامجنا هو إسقاط بشار الأسد» فسأله بوتين: كيف؟ أجاب بندر: إنّنا عملنا على تنظيم المنفصلين عن الجيش السوريّ في الجيش الحرّ[1]. يضاف إلى ذلك أننا جمعنا الكثير من المجموعات المسلّحة (الإرهابيّين) من كافّة أقطار العالم.

سأل بوتين بندر متعجّبًا: هذا يعني أنكم تريدون إسقاط بشار الأسد بأسلوب عسكريّ؟» تحدّث بندر بصراحة: «نعم! لا يوجد حلّ سياسيّ في سوريا، ويجب إسقاطه بواسطة العسكر» أجابه بوتين: «أنتم تعلمون أنّ المسلّحين والإرهابيّين، إذا سيطروا على دمشق فسينتقلون بعد ذلك إليكم في الرياض؟» أجاب بندر: «نعم، نعلم ذلك ولكنّنا خطّطنا لتلك المرحلة أيضًا. بعد إسقاط بشار، سنعمد إلى قصف الإرهابيّين داخل دمشق». يقال إنّ بوتين بعد الجلسة خاطب المحيطين به متعجّبًا: «حقًّا ما هذه العقليّات التي تتّخذ القرارات للمنطقة!».

إنّ الحوار الذي دار بين السيّد بوتين وبندر بن سلطان يبيّن ما كان يخطّط له اللاعبون المحليّون والدوليّون ضدّ النظام السياسيّ في سوريا. وقد علمنا بعد ذلك أن هذه المخطّطات هي حلقات من برامج عامّة ومعقّدة تهدف إلى إسقاط بشار الأسد. أمّا على الأرض فكانت دمشق محاصرة تقريبًا من قبل المجموعات الإرهابيّة. احتلّت

(1) تشير الإحصاءات التي كانت بأيدينا إلى أنّ عدد هؤلاء كان قليلًا للغاية (الراوي).

المجموعات الإرهابيّة طريق المطار الدوليّ حتّى مدينة دمشق وهي المنطقة المعروفة بالغوطة الشرقيّة. وكانوا في كلّ المناطق يأخذون الناس والعوائل رهائن لديهم.

طبعًا لم تكن هذه كلّ خططهم من أجل تلك العمليّات مثلًا كان مطار دمشق مهمًّا للغاية بالنسبة إليهم، أرادوا استخدامه، حين العمليّات لاحتلال العاصمة، حيث يتطلّب الأمر نقل تجهيزات لوجستيّة. وكان الإرهابيّون قد حفروا أنفاقًا تحت الأرض، وهذا ما بدؤوا به منذ عام 2012 اشتدّ ضغط المسلّحين وأصبح ما يقارب الستين في المئة من الأراضي السوريّة خارجًا عن سيطرة الحكومة.

كنت في رحلة إلى دمشق آنذاك، وسمعت من السيّد «علي مملوك» مسؤول الجهاز الأمنيّ في سوريا أنّ بعض الفلسطينيّين الذين خدعوا في هذه القضيّة جرى اعتقالهم، وكانوا يتلقّون مقابل حفر كلّ متر مربّع واحد حواليّ مئتي دولار[1].

أكملت هذه الأنفاق حلقة محاصرة الحكومة السوريّة. كانت الخطّة تقضي، بأن تُحدَّد ساعة الصفر لعمليّة الهجوم على دمشق من خلال المهاجمين الذين أكملوا محاصرتها، والذين سيندفعون إليها من أطرافها. ومن جهة أخرى تدخل مجموعات أخرى من

(1) أشرنا فيما تقدّم إلى أنّ عددًا قليلًا من الفلسطينيّين اتّخذوا مواقف أخرى تجاه الأزمة في سوريا وذلك بسبب التحليلات التي كانت تقدّم عن أوضاع المنطقة ممّا أدّى إلى وجود نوع من التشوّش لديهم. وقد أثّرت هذه الأمور في الجميع بمن فيهم النخب السياسيّة ناهيك عن عامّة الفلسطينيّين (الراوي).

المسلّحين والإرهابيّين المدينة عن طريق الأنفاق التي حفروها فيسيطرون مباشرة على القصور والمراكز الحكوميّة الحسّاسة.

وكان التمهيد للعمليّات يجري على قدم وساق على المستوى الدوليّ حيث أعلن الأمريكيّون وأوباما مرّات عدّة أنّ بشار الأسد إذا استخدم السلاح الكيميائيّ ضدّ المعارضين، يكون قد تجاوز الخطوط الأمريكيّة الحمراء، وسنقوم بمهاجمته. وان الأمريكيّين في تلك الفترة على استعداد لاستهداف بعض الأماكن في سوريا بصواريخ الكروز، وقد نسّقوا مع بعض دول المنطقة والمجموعات الإرهابيّة بخصوص هجومهم هذا. وكانوا على استعداد للعمليّات، على هذا النحو يشكّل لهجوم الأمريكيّ بداية السقوط داخل سوريا، ويمهّد لتزلزل روحيّة الشعب والمدافعين عن دمشق على أثر الضربات الصاروخيّة الأمريكيّة التي تأتي تحت ذريعة استخدام الحكومة السوريّة للسلاح الكيميائيّ، يمهد لبداية عمليّات الإرهابيّين النهائيّة. ما كان ينقص هذه الخطّة هو الشيء الذي ذهب بندر بن سلطان لأجله إلى موسكو أي ضمان عدم إخلاف روسيا بوعدها في هذه المرحلة. كان المطلوب من الروس السكوت كحدٍّ أدنى، وأن يكونوا مراقبين للأحداث وحسب؛ وهو الأمر الذي لم يقتنع به الروس على الإطلاق.

بعبارة أخرى، المخطّط الذي جرى إعداده لأجل عمليّات إسقاط سوريا، مخطّط كامل جرى تنسيقه بين الإرهابيّين في الداخل، القوى الإقليميّة والدوليّة.

في الداخل السوريّ كان «الجيش الحرّ» إضافة إلى عشرات

المجموعات المسلّحة والإرهابيّة على استعداد للعمليّات، وعلى المستوى الإقليميّ كانت المملكة العربيّة السعوديّة وبعض الدول الأخرى على استعداد لتقديم الدعم اللوجستيّ والأمنيّ[1].

وكان مقرّرًا أن يلعب العدوّ الصهيونيّ دورًا محوريًّا على المستوى الأمنيّ في هذه العمليّات. وعلى المستوى الدوليّ كان مقرّرًا أن تبدأ أمريكا العمليّات بإطلاق صواريخ الكروز على بعض المناطق في سوريا. طبعًا كانت الأجهزة الأمنيّة والسياسيّة الفرنسيّة والبريطانيّة متعاونة في سبيل تحقيق هذا المخطّط.

إنّ اكتمال مخطّط العمليّات كان يتطلّب إسكات اللاعبين الهامّين الذين قد يخالفون السياسات الأمريكيّة وحلفاءها أو اقناعهم بالعمل على أساسه. لذلك أرسل السعوديّون بندر بن سلطان إلى موسكو لإقناع الروس وعملوا على جذب بوتين إلى جانبهم، والحقيقة أنّ أمريكا وحلفاءها كانوا عاجزين عن عدم الأخذ بعين الاعتبار قوّة سوريا ودور إيران. لذلك عمد الأمريكيّون وعن طريق الأجهزة الأمنيّة لأربع دول في المنطقة وهم من أصدقائنا، إلى إرسال نداء واحد. الرسالة كانت إمّا للإقناع وإمّا إلى تبديد القلق الإيرانيّ، وكان ذلك قبل أربعة أيّام من الحملة الأمريكيّة الصاروخيّة تقريبًا بذريعة استخدام الحكومة السوريّة السلاح الكيميائيّ.

اشتملت الرسالة الأمريكيّة على الأمور الآتية:

---

(1) بعبارة أخرى كان المطلوب إغماض الأعين عن تدفّق الإرهابيّين من تركيا إلى سوريا من العالم كافّة (الراوي).

- بشار الأسد استخدم السلاح الكيميائيّ (وكان ادّعاء «استخدام السلاح الكيميائيّ» مفتاح العمليّات الأمريكيّة). كان أوباما قد أعلن العامّ الماضي أنّ أمريكا ستتدخّل عسكريًّا ضدّ سوريا إذا استخدم بشار الأسد السلاح الكيميائيّ. وبما أنّ رئيس الدولة قد أعلن ذلك فهو أمر يتعلّق بهيبة أمريكا، ولا يمكننا التنازل عنه، وإن كان بمستوى عمليّات عسكريّة محدودة النطاق ضدّ سوريا.
- نطمئن سوريا وإيران إلى أنّنا لا نمتلك أي برنامج لإسقاط بشار الأسد ضمن هذه العمليّات العسكريّة.
- نطمئن إيران وسوريا إلى أنّنا لن نستهدف أيًّا من مراكز الحكومة الحسّاسة.
- نرغب في إيصال رسالة إلى بشار الأسد، والعالم أنّنا نعارض استخدام السلاح الكيميائيّ.

كان الأمريكيّون يكذبون بهذا الخصوص بمعنى من المعاني ولا يكذبون بمعنى آخر. في ذاك الجزء من العمليّات المتعلّق بأمريكا الذي هو عبارة عن هجوم محدود فقد نفّذوا شبيهًا له على العراق أيّام حكم صدّام مرارًا. في ذاك الوقت كانوا يستهدفون العراق بصواريخ كروز تنطلق من المحيط الهنديّ لتصل إلى أهدافها بعد نصف ساعة أو خمسين دقيقة. كان الأمريكيّون صادقين في هذا الجزء، إلّا أنّهم كانوا لا يتحدّثون عن الجزء الأساسيّ من المخطّط، كان مقرّرًا أن يبدأ الأمريكيّون العمليّات، ثمّ يعلنون أنّنا قمنا بعمليّة محدودة وفق ما أعلنا، ولم نقصف قصر الأسد. ولكنّهم

أرادوا بهذه العمليّات المحدودة تحطيم روحيّة الشعب السوريّ ثمّ يدخل الإرهابيّون بروحيّة مرتفعة من فوق الأرض، وعن طريق الأنفاق المحفورة في المدينة والمراكز الحسّاسة وقصر رئاسة الجمهوريّة ويسقطون الحكومة.

في الحقيقة فإنّ الصواريخ التي ستطلقها أمريكا ستهيّئ الأرضيّة للقسم الآخر من العمليّات، وهذا يعني أنّ هدف الأمريكيّين إسقاط بشار الأسد، وإسقاط النظام السياسيّ والشروع بتقسيم سوريا. إلّا أنّهم أرادوا الحديث مع كامل الأطراف بأسلوب، يقنعونهم فيه بأنّ هجومهم كان في إطار ما تحدّثوا فقط، وأنّ الهجوم محدود ولن نذهب أبعد من ذلك. أمّا نتيجة سلوك الأمريكيّين فكان تغيير النظام السياسيّ في سوريا.

فشل هذا المخطّط المعقّد بعد التدابير التي اتّخذتها طهران، موسكو، ودمشق. إنّ نجاح هذه العمليّات مع ما كان يجري من تجهيزات خاصّة وعدد كبير من الإرهابيّين، يمكن أن يلحق خسائر كبيرة بسوريا ومحور المقاومة.

عقد زملاؤنا في الأجهزة الأمنيّة وبهدف إفشال هذه العمليّات جلسات مكثّفة مع الروس والسوريّين. ذهبت إلى موسكو لاستطلاع وجهة نظرهم، وقد زار روسيا في الوقت عينه السيّد وليد المعلم وزير خارجيّة سوريا فحصلت لقاءات بيننا وبين السوريّين، وبيننا وبين الروس. من جملة نتائج هذه المباحثات قبول السوريّين رقابة[1] OPCW والأمم المتّحدة وإرسال فريق متخصص في محاربة

(1) organization for the prohibition of chemical wcapons (opcw)

السلاح الكيميائيّ لإخراج السلاح الكيميائيّ الذي تملكه الحكومة السوريّة من البلد، وكلّ ذلك بهدف نزع المبرّرات من الولايات المتّحدة الأمريكيّة[1].

في هذه المرحلة جرت الاستغاثة بالتجربة الدوليّة للدكتور ظريف وفريقه في وزارة الخارجيّة وكذلك القوّات المسلّحة. وقدّم كلّ من الدكتور «عليّ أصغر سلطانية»، ممثّل إيران في الوكالة الدوليّة للطاقة الذريّة آنذاك، والدكتور «فرح وند»، من مديري القسم الدوليّ في وزارة الخارجيّة، قدّما مساعدات واستشارات مؤثّرة للأصدقاء السوريّين. عينت السيّدة «سيغريد كاخ» (من فنلندا) مسؤولة عن تنفيذ نزع السلاح الكيميائيّ في سوريا من قبل منظّمة الأمم المتّحدة. كان لي لقاءات عديدة معها في طهران وفي بلدان أخرى. زوج السيّدة «كاخ» فلسطينيّ وهي تعرف المنطقة العربيّة جيّدًا وكان سلوكها بنّاءً ومحترفًا. في النتيجة تمكّن قرار دمشق الصعب والمدروس من إيقاف الهجوم الأمريكيّ وبالتالي جرى

(1) إن إخراج السلاح الكيميائيّ يشكّل من جهة نقطة ضعف لسوريا بسبب اختلال موازين القوى مع العدوّ الصهيونيّ؛ هذا العدوّ الذي يمتلك مئات الرؤوس النوويّة. يضاف إلى ذلك إمكان وقوع السلاح الكيميائيّ بأيدي الإرهابيّين في ظلّ الأوضاع المضطربة وغير الثابتة في سوريا ثم استخدامه ضدّ الشعب السوريّ. لذلك وعلى الرغم من أنّ امتلاك سلاح رادع هامّ على المستوى الاستراتيجيّ لمواجهة تهديدات العدوّ الصهيونيّ، إلّا أنّه وبلحاظ الأبعاد الشرعيّة والإنسانيّة وبهدف نزع المبرّرات من أيدي الأمريكيّين، وافقت الحكومة السوريّة على نزع السلاح الكيميائيّ. صحيح أنّ هذا القرار صعب لسوريا، إلّا أنّه ساهم وبشكل كبير في إفشال مخطّطات أمريكا الدقيقة ذات الميزانيّات الكبيرة (الراوي).

إفشال مخطّط العمليّات. وفي المحصلة تحطّمت بشدّة معنويّات المجموعات الإرهابيّة والمليشيّات السوريّة المخالفة للدولة والبلدان التي كانت تتحين فرصة بدء العمليّات.

وبالتالي جرى نزع هذه الفرصة من أيدي الإرهابيّين والمسلّحين، إلّا أنّ ذلك لم يصدّهم عن التفكير بالأمر. عندما وافق السوريّون على نقل المواد الكيميائيّة أخبر الأمريكان حلفاءهم بأنّنا فقدنا المبرّر للعمليّات، ولكن إذا بدأتم أنتم العمليّات فسندعمكم من خلال تأمين السلاح والدعم السياسيّ الدوليّ.

هذا الضوء الأخضر الأمريكيّ دفع بعض دول المنطقة والمجموعات الإرهابيّة إلى ارتكاب خطأ جسيم. خرج الإرهابيّون من الأنفاق المحفورة تحت الأرض وبدؤوا عمليّاتهم من دون تأمين دعم قويّ.

تلقّت هذه العمليّة خسارة كبيرة وفادحة بسبب فطنة القوّات المسلّحة السوريّة ومقاومتها، وقيادة بشار الأسد وفطنة الشعب السوريّ ومساعدة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران وحزب الله في لبنان.

صحيح أنّ مقاومة هذه العمليّة كانت صعبة للغاية، وعاش المدافعون عن دمشق أيّامًا صعبة للغاية؛ ولكن وفي النهاية تمكّنت دمشق من الثبات والنجاة.

مواقف الصين تجاه الأزمة في سوريا

كانت الصين بداية الأزمة تتّخذ موقف المراقب. طلبنا من الروس أثناء جلسات الحوار التي كانت تجمعنا بهم أن يلعبوا دورًا على مستوى توضيح حقيقة تحوّلات المنطقة للصينيّين إضافة إلى ما

نقوم به أثناء محادثاتنا معهم، وسبب هذا الطلب أنّ بين الروس والصينيّين تعاونًا وثيقًا في العديد من المسائل الدوليّة وفي مجلس الأمن. وافق الروس على إقناع الصينيّين، وفي الوقت عينه كان ينبغي أن نجري حوارًا مباشرًا وجديًا مع الصينيّين. لهذا السبب وإضافة إلى محادثات وزيري خارجيّة البلدين سافرت إلى بكين وتحدثت مع الصينيين بشكل خاص حول سوريا. وكان من جملة برنامجي لقاء نظيري الصينيّ إضافة إلى وزير الخارجيّة. وقد حضر السيّد صفري سفيرنا في بكين المحادثات أيضًا.

قبل الذهاب إلى بكين ذكر لي أحد سفرائنا السابقين قضيّة، وقال: لقد اعتدنا أن نسعى لنقدّم جوابًا كلّما سُئلنا سؤالًا خلال المفاوضات الدبلوماسيّة حتّى لو لم نكن نمتلك معلومات عن الموضوع المطروح. في الحقيقة بعض دبلوماسيّينا لم يتعلّموا قول لا أعلم في حالات كهذه بعضهم يظنّ أنّ هذا الأمر نقطة ضعف أو إشكال عند الشخص المسؤول خصوصًا عندما يقول للأجنبيّ لا أعلم، وإنّني سأقدم لك الجواب في الجلسات اللاحقة بعد اكتمال معلوماتي. علمًا أنّ الدبلوماسيّين الآخرين يقولون لا أعلم بسهولة.

قال صديقنا السفير: «الصينيّون سيستمعون إلى كلامكم ومن ثمّ يقدّمون لكم موجزًا حول الموضوع الذي تتكلّمون فيه لرؤية نظامهم السياسيّ الذي يُعرض على جميع المسؤولين الصينيّين، قد تطرحون عليهم استدلالات جديدة في جوابكم على كلامهم، سيستمعون إليكم إلّا أنّهم لن يقدّموا لكم جوابًا نهائيًّا في تلك الجلسة. هكذا هي تربيتهم الإداريّة والسياسيّة».

كانت معرفة هذه النقاط مفيدة للغاية. وقد تباحثت مع الصينيّين لسنوات حول العراق وتحوّلات المنطقة. وكانت الهيئات السياسيّة الصينيّة قد زارت طهران مرّات عديدة، وكان لي محادثات مع سفراء الصين في طهران أو الدول الأخرى. إلّا أنّ المحادثات في وزارة الخارجيّة الصينيّة تعتبر تجربة جديدة. عندما دخلت الجلسة، وكان فريقنا مع السفير والمترجم يتألّف من خمسة أشخاص، وجدت الفريق الذي يجلس مقابلي يبلغ ستة عشر شخصًا، يؤدّون البروتوكول بأسلوب ممتاز. وكان بين يدي كلّ واحد من أعضاء الفريق الصينيّ دفتر من خمسين صفحة تقريبًا بحجم ورقة A4 لم تكن الموضوعات التي يجب التباحث فيها محصورة بسوريا. حصل اتّفاق مسبق على أن يكون موضوع المباحثات محاربة الإرهاب، مصر، اليمن، البحرين، العراق، وبعض الموضوعات الأخرى. استمرّت جلسة المحادثات مع الغداء نحو ثلاث ساعات ونصف الساعة. وكلما عرضنا نقطة جديدة، كان الجانب الصينيّ يطلب الإذن للدراسة، وتقديم جواب في مهلة أقصاها ثلاثة أشهر. أي إنّ الحصول على إجاباتهم كانت تتطلب ثلاثة أشهر[1]. بشكل عامّ كان دور الصين بنّاءً.

(1) حصلت هذه المباحثات في شهر دي 1391 (كانون الثاني 2013). وفي تلك السنة بدأ الروس محادثاتهم مع الصينيّين فكانوا ينقلون إليهم وجهات النظر والاستدلالات التي تقدّم. كما كنّا ننقل وجهات نظرنا للصينيّين عن طريق سفير الصين آنذاك في طهران. السفير الصينيّ في طهران، شخص عمل مترجمًا في السفارة الصينيّة لدى طهران مدّة خمس عشرة سنة أو عشرين سنة وبعد تخطّيه سلسلة مراتب في وزارة الخارجيّة أصبح سفيرًا للصين في طهران مدّة أربع=

العراق الجديد والأزمة السوريّة

عندما نتحدث عن دور العراق في الأزمة السوريّة بين عامي 1391 إلى 1394 (2012 ـ 2015)، يجب دراسة دور الحكومة العراقيّة بعيدًا عن الأحزاب، المجموعات، الحركات، والنافذين في سياسة هذا البلد الخارجيّة.

فيما يتعلّق بسوريا، كانت الشكوك تساور، ومنذ البداية، بعض السياسيّين العراقيّين. من جملة هذه الإبهامات أو الموانع أن سوريا يحكمها حزب البعث والعراق على مستوى عالٍ من الكراهيّة لحزب البعث حيث أعلن العراقيّون انحلاله مع سقوط صدّام. ترك حزب البعث للعراقيّين ذكريات مريرة ومشكلات لم ينسها العراقيّون خصوصًا الأكراد والشيعة وبعض السنّة طوال سنوات العذاب إبّان حكم صدّام.

من جهة أخرى كانت الدولة السوريّة تواجه مواقف واستراتيجيّات جديدة في المنطقة قبل أن تدخلها الأزمة. كان السوريّون أمام عراق جديد سقطت فيه حكومة حزب البعث وتسلّم الحكم حركات غير معروفة عند السوريّين.

صحيح أنّ بعض المعارضين العراقيّين أيّام صدّام، أمثال نوري المالكي، رئيس وزراء العراق الأسبق كان يسكن في سوريا ويمارس فيها نشاطاته[1]، ولكنّ السوريّين كانوا، ومنذ بداية تشكيل

=سنوات. كان يعرف الفارسيّة جيّدًا. وكان فطنًا يدرك الموضوع بشكل جيّد ثم يقوم بنقله (الراوي).

(1) كذلك بعض الشخصيّات الأخرى أمثال «بيان جبر» من المجلس الشيعيّ=

العراق الجديد، حسّاسين تجاهه. لذلك اعتمدت سوريا اتجاهًا في مرحلة معيّنة تجاه العراق بعد سقوط صدّام تسبّب بسوء تفاهم بين البلدين.

بناءً على ما تقدّم، فإنّ أولى المشكلات التي واجهتنا مع الطرف العراقيّ بعد اندلاع الأزمة في سوريا، كيف يمكننا إقناعهم بدعم الحكومة السوريّة. بعض القادة والسياسيّين العراقيّين كانوا يعتقدون أنّ سوريا لم تنسجم مع العراق الجديد.

في هذا الإطار بذلت الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران جهودًا كبيرة على المستوى السياسيّ والأمنيّ. أقنعنا السوريّين في المحادثات معهم بضرورة أن يعملوا على رفع سوء التفاهم مع العراقيّين. ثمّ شجّعنا الأصدقاء العراقيّين على أن ينظروا إلى المسائل في المنطقة بشكل استراتيجيّ وعامّ، وأن لا يحصروا رؤاهم في مسائل أو موضوعات جزئيّة محدّدة. بعد سلسلة جهود بدأ بعض العراقيّين وبالتدريج تغيير رؤيتهم تجاه سوريا. وقد لعبت الأجهزة الأمنيّة والمعلوماتيّة ومنهم اللواء سليمانيّ إضافة إلى السياسيّين دورًا هامًّا في إيجاد الثقة بينهما.

ما ذكر يرتبط بالنظرة الكليّة والعامّة لجزء من الحكومة العراقيّة تجاه سوريا والمساعدات العراقيّة المباشرة لسوريا؛ وإلّا، وفي هذه الظروف، عندما كنّا نحتاج إلى إرسال مساعدات من الأدوية والغذاء للشعب السوريّ، وكنّا نرغب في الاستفادة من الأراضي

=الأعلى في العراق ووزير الداخليّة الأسبق، حيث كان مكتبه في دمشق، وفيها مركز مطبوعاته وكان بينه وبين السوريّين معرفة (الراوي).

العراقيّة، فالعراقيّون لم يعارضوا، وكانت الدولة متعاونة في هذا الإطار.

أشرنا فيما تقدّم إلى أنّنا واجهنا ظروفًا صعبة في سوريا عام 1392 (2013م). استقرّت المجموعات المسلّحة والإرهابيّة في دمشق وبدأ الأمريكيّون يمارسون ضغوطًا كبيرة تحت ذريعة استخدام الحكومة السوريّة للسلاح الكيميائيّ، وكانوا يقولون إنّ عليهم قصف مراكز في سوريا ولو بنحوٍ شكليّ. عمليًّا بدأ العدّ العكسيّ لسقوط دمشق وسقوط النظام في سوريا. في تلك المرحلة شكّل تأمين الخبز لأهل العاصمة أزمة جدّيّة.

في تلك المرحلة كانت مئات الشاحنات تنقل الخبز، والموادّ الغذائيّة، ومياه الشرب برًّا عن طريق العراق إلى سوريا.

قدّم تعاون بغداد في هذا الأمر مساعدة كبيرة لسوريا. وكانت الأدوية والتجهيزات الضروريّة تنقل عبر الممرّ الجويّ. وكانت الرحلات الجويّة إلى دمشق تتطلّب إجراءات أمنيّة خاصّة بسبب الوضع الأمنيّ ولحماية الطائرات من استهداف المجموعات الإرهابيّة الموجودة في أطراف مطار دمشق لها.

قصّة تضحيات الطيّارين الإيرانيّين

في توضيح الممرّ الجويّ ونقل المساعدات الغذائيّة والأدوية إلى سوريا لا يمكن أن ننسى تضحيات الطيّارين الإيرانيّين. كان الطيّارون يقودون طائراتهم بشجاعة عالية، بل بروحيّة طلب الشهادة فيقدّمون بذلك مساعدة كبيرة.

أتذكّر أنّني سافرت بعد سقوط صدّام إلى العراق للمشاركة في

لقاء دوليّ برفقة الدكتور عباس عرقجي، المعاون الدولي في وزارة الخارجيّة آنذاك، وعدد من المسؤولين والمتخصّصين. وكنت في تلك الفترة أشغل منصب معاون الوزير لدائرة الخليج الفارسيّ السياسيّة الأولى في وزارة الخارجيّة. كان الأمريكيّون لا يرغبون في مشاركة الوفد الإيرانيّ في المحادثات. وكانت مشاركتنا ذات أهميّة كبيرة للعراقيّين. وكان السيّد «زلماي خليل زاد» سفيرًا لأمريكا في العراق. عندما دخلت طائرتنا الأجواء العراقيّة وعلى الرغم من التنسيق الكامل والدقيق مسبقًا، أظهر الأمريكيّون خبثهم، فأبلغنا برج المراقبة في مطار بغداد الدوليّ أنّه لا يحقّ لنا الهبوط في مطار بغداد. علمًا أنّنا حصلنا مسبقًا على الإذن بالهبوط وصدر التردّد الخاصّ بنا في مطار بغداد.

كان قائد الطائرة يوضح أنّنا حصلنا على جميع الأذونات الضروريّة، وهم يرفضون، وأعلن برج المراقبة أن ليس لديكم الرخص اللازمة وفقًا لآخر ما وصلنا من تعليمات. وكان برج المراقبة في مطار بغداد آنذاك تحت سيطرة الأمريكيّين بشكل كامل بينما تدير إحدى الشركات البريطانيّة الأمور اللوجستيّة والأمنيّة فيه.

تعتبر روحيّة الطيّار في هذا الموقف أساسيّة. لم يهتم لما يقال وأعلن أنّني أمتلك الإذن القطعيّ والقبليّ بالهبوط مع أنّ الطائرة قد تستهدف في أيّ لحظة، عندما أصبحنا في أجواء بغداد، بقينا في الأجواء حواليّ الخمسين دقيقة من دون أن يسمح لنا بالهبوط. أرسل الطيار نداءً إلى طهران وكذلك إلى سفارتنا في بغداد عن وصول الوفد الإيراني، وعن تصرّف الأمريكان المعوّق، في ذلك

الوقت كان السيّد جلال الطالباني قد أصبح رئيسًا للجمهوريّة العراقيّة حديثًا، أو أنّه كان رئيس شورى الحكم العراقيّ المؤقت، وقد جرى إخباره بالأمر، فغضب جرّاء السلوك الأمريكيّ[1].

هنا من الضروريّ الإشارة إلى مسألة وهي أنّ الهبوط في مطار بغداد أمر صعب للغاية في الظروف العاديّة حتّى لو لم يمارس الأمريكيّون المضايقات، والسبب في ذلك أنّ المطار كان مستهدفًا من قبل المجموعات المعارضة أمثال البعثيّين وبقايا نظام صدّام الذين كانوا يستهدفونه بالهاون والأسلحة البعيدة المدى. اتّخذ الأمريكيّون إجراءات لتأمين سلامة الطائرات، أخذوا بعين الاعتبار أسطوانة فرضيّة على المدرج، وعندما تريد الطائرة الهبوط داخل هذه الأسطوانة الفرضيّة تتحرّك بشكل حلزونيّ وتنزل بعد عدّة استدارات. تطلّب هذ الأمر سبعًا وعشرين دقيقة أو ثمانيَ وعشرين دقيقة. وقد مارس الأمريكيّون ضغوطهم أيضًا في هذه الظروف الصعبة. وأصل القصّة أنّ الطيّار الإيرانيّ قرّر وبشكل شجاع الهبوط في المطار غير آبهٍ بالتحذير الأمريكيّ.

بعد أن هبطت الطائرة جرى نقلنا مباشرة إلى مكان اللقاء وذلك بعد تدخّل السيّد جلال الطالباني رئيس الجمهوريّة، ولم يتمكّن الأمريكيّون من منع حضور الوفد الدبلوماسيّ الإيرانيّ. ومع ذلك مارسوا وقاحتهم إذ احتفظوا بفريق قيادة الطائرة في مبنى قديم (خربة) في مطار بغداد. وعند العودة إلى الطائرة لم يسمحوا لنا

(1) جلال الطالباني رجل محبوب (الراوي).

بالمغادرة. وقد مارسوا هذه الأعمال كلّها لإيجاد خلل في تركيز الوفد الإيراني في مساعدة العراق، ولإيجاد حال من الاضطراب النفسيّ لدى أعضاء الوفد، حتّى لا يتمكنوا من أداء دور مؤثّر في اللقاء.

وقد اختبر الطيّارون الإيرانيّون أوضاعًا وأحداثًا أكثر سوءًا وصعوبة ممّا ذكر في نقل المساعدات الإنسانيّة عن طريق الممرّ الجويّ إلى سوريا. كان طيّارونا فدائيّين. جرى تهديد طائراتنا واستهدافها مرّات عدّة. ولكنّ هؤلاء الطيّارين أنفسهم كانوا يقلعون بطائراتهم ويهبطون بها لنقل الجرحى العراقيّين والسوريّين إلى مستشفيات إيران، ويؤدّون دورهم الإمداديّ الاضطراريّ.

سماء العراق، الممرّ الجويّ

أعود إلى سلوك بغداد في الأزمة السوريّة. وضع أصدقاؤنا العراقيّون الممرّ الجويّ الذي تحدّثنا عنه والذي لعب دورًا حيويًّا في نجاة دمشق بتصرّفنا وقد قاموا بهذا العمل انطلاقًا من رؤيتهم الواقعيّة لظروف المنطقة والتحوّلات المرتبطة بمحاربة داعش. وأظهر الأمريكيّون حساسيّة فائقة في هذا الشأن كانوا يختارون بعضًا من طائراتنا بشكل عشوائيّ ويجبرونها على الهبوط في مطار بغداد ويطلبون من العراقيّين تفتيشها.

لقد اختطفت المجموعات المسلّحة بالتنسيق مع الأجهزة الأمنيّة الأمريكيّة ما يزيد على تسعين شاحنة وسائقيها الذين كانوا ينقلون المساعدات الإنسانيّة إلى سوريا.

في الحقيقة دخل العراقيّون بسرعة منطقيّة على خطّ تسهيل إيصال

المساعدات إلى الشعب السوريّ بداية، وفي الوقت عينه أدركوا عبر المفاوضات السياسيّة، الضرورة الملحّة لوقوفهم إلى جانب إيران وسوريا. في الواقع كانت داعش تتحرّك بين العراق وسوريا مستفيدة من الفراغ الأمنيّ الموجود مهدّدة البلدين من الناحية الأمنيّة. وبعد مدّة أصبح الحفاظ على الاستقرار السياسيّ في سوريا من وجهة نظر العراقيّين يُساوي دعم الاستقرار والثبات في المنطقة وقد حصل هذا التحوّل الإيجابيّ عند العراقيّين، على الرغم من الأصوات المعارضة التي كانت ترتفع أحيانًا من العراق نتيجة تعدّد الأحزاب السياسيّة الفاعلة؛ إلّا أنّ قرار الحكومة العراقيّة، كان المساعدة والتعاون مع الحكومة السوريّة لمواجهة الإرهاب.

من جملة الأمور التي ساعدت وبشكل كبير على إدراك العراقيّين حساسيّة المسألة أنّهم شاهدوا أفراد داعش والإرهابيّين قد أزالوا الحدود بين العراق وسوريا وأوجدوا منطقة حرّة لهم فكانوا يتردّدون فيها بسهولة. في تلك المرحلة، كلّما ازداد الضغط على الإرهابيّين وداعش في سوريا، انتقلوا إلى العراق وكلّما زاد الضغط عليهم في العراق اتّجهوا إلى سوريا[1].

تجدر الإشارة إلى أنّ العراقيّين اتّفقوا مع السوريّين على ما يترتب على السوريّين من تبعات ماليّة إزاء المساعدات الماديّة بعد

---

(1) حصلت أهمّ الاتّفاقات الأمنيّة بين البلدين على أثر المعرفة والمصالح المشتركة. وعلى أساس هذا الاتّفاق جرى تشكيل غرفة عمليّات مشتركة بين البلدين بحضور عسكريّين من البلدين، يُسمح بموجبها للعراقيّين دخول الأراضي السوريّة بالتنسيق مع الحكومة لملاحقة داعش والإرهابيّين (الراوي).

انتهاء الأزمة، علمًا أنّ بعض المساعدات الإنسانيّة العراقيّة اتّخذت شكل الهبات.

هل كان الأمريكيّون يعارضون حقيقة مساعدة سوريا؟

قد يطرح السؤال التالي: هل كانت أمريكا برغم ما تتمتّع به من قوّة عاجزة عن منع الجمهوريّة الإسلاميّة من مساعدة سوريا؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب الالتفات إلى عدّة أمور:

الأوّل: إنّ الأمريكيّين وخلافًا لما يعتقد بعضهم به من أنّهم قوى عظمى عالميّة، فهم لم يأخذوا جوانب المسألة كافّة في حساباتهم ليتمكّنوا من التنفيذ الصحيح، لم يدلّ سلوكهم على الذكاء دائمًا.

النتيجة التي توصّلت إليها من خلال تجربة ما كان يجري في المنطقة بخصوص فلسطين، العراق، سوريا، اليمن والمسائل الأخرى، أنّ الأمريكيّين متقدّمون جدًّا على مستوى التخطيط على الورق، ممتازون على مستوى التخطيط، ويؤدّون عملهم بشكل جيّد جدًّا على مستوى تقسيم العمل والتنظير؛ تظهر قيمة كلّ هذه الأمور عندما يطبّقونها على الأرض، يواجه الأمريكان عادة عدّة مشاكل لدى تطبيق خططهم. أوّل الأمور التي كانت تقلق الأمريكيّ عند دخول ساحات المعركة، الخوف من القتل. وهذا الأمر موجود على المستويات كافّة عندهم[1].

(1) في السنوات الأولى لسقوط صدّام، شاهدت أمورًا جديرة بالتوقّف عندما دخلنا المنطقة الخضراء في بغداد وكنّا في عداد وفد برفقة منظّمة الأمم المتّحدة. كان العسكريّون والسياسيّون، والقوى الأمنيّة الأمريكيّة، سواء الرجال والنساء،=

كلّ شيء ممتاز على الورق؛ أما ضعفهم فهو على الأرض عندما يريدون تطبيق الخطط التي وضعوها.

=حريصين على الذهاب إلى المسابح والرياضة في وقت محدّد. دخلنا المنطقة الخضراء فأوقفونا بعض الوقت للتفتيش. والسبب في ذلك كما أعلنوا أنّ الكلب المخصّص لتفتيش السيارات في استراحته اليوميّة. وأثناء الانتظار كان بعض الجنود الأمريكيّين يتوقّفون بالقرب من نقطة التفتيش ترجّلت من السيارة واقتربت من أحدهم وكان قريبًا إلينا. أردت أن أوجّه سؤالًا إليه: «متى سيأتي كلبكم؟» فهمت من صوته أنّه امرأة سألتها: منذ متى أنتِ في العراق؟ قالت: «منذ حواليّ سبعة وعشرين يومًا» سألت: «لماذا أتيت إلى العراق؟» قالت: «أنا أعيش في الولاية الأمريكيّة الفلانيّة، وعندما أصدر الجيش بلاغًا للتجنيد في حرب العراق، سجّلت اسمي واسم خطيبي، ثمّ تلقينا تدريبات مدّة ثلاثة أشهر في منطقة شبيهة بالأجواء العراقيّة.
أخبرونا عن مقدار الأجر الذي سيقدّمونه لنا خلال الأشهر الستّة التي سنكون فيها في العراق. وجدت أنا وخطيبي أنّ الحقوق التي سنحصل عليها خلال ستة أشهر تمكننا من شراء بيت وسيارة وسيكون لدينا متوسط من المال لمدّة عشرين سنة. لم نجد عملًا آخر يدرّ مالًا كهذا. اتخذنا قرارنا، ولكن وبعد القيام بجميع الإجراءات، خاف خطيبي وترك فكرة الانخراط بالجيش. يقول إنّه قد خطّط للعشرين سنة المقبلة. لماذا أذهب إلى مكان كالعراق وقد أقتل؟ لم أهتمّ لكلامه، بدأت المقامرة بحياتي، فإذا قتلت فقد فقدت كلّ شيء، وإذا بقيت على قيد الحياة أتمكّن من الحياة الرغيدة سنوات.
وقد تحدّثت مرّات عدّة وفي مناسبات متعدّدة مع الجنود الأجانب الموجودين في نقاط تفتيش المنطقة الخضراء. الكثير منهم لم يكن أمريكيًا.
بعضهم كان يقول أتيت من البلد الفلانيّ في أمريكا اللاتينيّة أو من أفريقيا. إذا بقيت ستة أشهر في العراق، أحصل على إقامة دائمة في أمريكا. هؤلاء الجنود هم الذين سيطبّقون الخطط الأمريكيّة على الأرض، هؤلاء لا يمتلكون شيئًا سوى الوعود بالمال والدولار الواضح أنّ البقاء على الحياة أهمّ لديهم من أيّ شيء آخر وهذا يعني أنّهم يفرّون مع أصغر خطر يحيط بهم (الراوي).

المشكلة الثانية عند الأمريكيّين أنّهم لا يعرفون المنطقة من الأساس، الأمريكيّون وبعد خمسة عشر عامًا من حضورهم إلى العراق، لم يصلوا إلى معرفة جيّدة بهذا البلد، وشعبه وثقافته، وهناك الكثير من الشواهد التي تؤيّد هذا الأمر. أظهر اغتيال البطل العراقيّ المحارب للإرهاب، أبو مهدي المهندس (قائد الحشد الشعبي)، إلى جانب اللواء الشهيد سليمانيّ في مطار بغداد، أن البيت الأبيض لا يمتلك معرفة صحيحة بالعراق والمنطقة. تحوّلت كراهيّة الشعب العراقي وقادته الواعين للمسؤولين الأمريكيّين إلى محرّك قويّ دفع باتّجاه خروج الأمريكيّ من العراق والمنطقة.

عندما بدأ الأمريكيّون والبريطانيّون احتلال العراق، اتّفقوا على أن تستقرّ القوّات الأمريكيّة في بغداد وكردستان العراق بينما يستقرّ البريطانيّون في جنوب البلد. أمّا سبب اختيار البريطانيّين للجنوب إضافة إلى امتلاكهم معرفة جيّدة بأوضاع الجنوب، فعطشهم الكبير للنفط.

البريطانيّون من ناحية علم الاجتماع ومعرفة طبائع السكّان، يعرفون الشرق الأوسط، والعالم العربيّ، والعالم الإسلاميّ وخصوصًا العراق أكثر من الأمريكيّين[1].

---

(1) التقيت في تلك الأيّام في وزارة الخارجيّة السيّد «متيوغلد» الشخص الثاني في السفارة البريطانيّة في طهران. وقد شغل هذا الشخص منذ عام 2003، أي منذ سقوط صدّام منصب الشخص الثاني في سفارة بلاده لدى طهران. ولأنّ البريطانيّين شاركوا الأمريكيّين احتلال العراق، ونحن لا تربطنا علاقات مع الأمريكيّ، لذلك كان هامًّا لهم الاطّلاع على وجهة نظر طهران إزاء تحوّلات المنطقة. ومن جهتنا كنا نطلع بهذه الطريقة على بعض مخطّطات أمريكا=

من هنا، احتلّ الأمريكيّون والبريطانيّون العراق على أساس تقسيم العمل. وإذا كان البريطانيّ يمتلك معرفة عميقة بالعراق، فهو لم يضع حليفه الأمريكيّ في أجواء معرفته هذه.

كنّا نشاهد طبيعة العلاقات فيما بينهم أثناء الجلسات التي كانت تعقد في العراق وكّنا نشارك فيها. كان الطرف العراقيّ على سبيل المثال يقيم حفل عشاء ويشارك فيه الدبلوماسيّون البريطانيّون وعناصر من السفارة الأمريكيّة. كان سلوكهم مع بعضهم البعض حميميًّا في الظاهر فيشعر المشاهد أن بينهم مشتركات كثيرة بحيث لا اختلافات تزعج الأمريكيّ وبالعكس. ولكنّ كلّ طرف من الطرفين كان يتصرّف عن سابق إصرار وتصميم بشكل يوقع الآخر في المتاعب، وعلى الرغم من كونهما حلفاء كانا يتصرّفان على أنّهما متنافسان أيضًا. مثال ذلك أنّ القوّات الأمريكيّة تركت العراق في عام 1390 (2011) طبقًا لقرار الأمم المتّحدة وحصل العراق على استقلاله الكامل، بينما كانت القوات البريطانيّة قد تركت العراق قبل سنة من الموعد المحدد في القرار من دون ضجيج، عمل البريطانيّون على أن لا يتحوّل خروجهم من العراق إلى أزمة وفضيحة سياسيّة(1).

=وبريطانيا، وماذا يفعل الأمريكيّون وما هو برنامجهم للعراق؟
من المحتمل أن يكون هذا الشخص من رجال الأمن، وقد أصبح سفيرًا لبريطانيا في تل أبيب بعد انتهاء مهامه في طهران. في تلك المرحلة كان يقول: مسؤوليتي أن أعمل على الملقّين العراقيّ والإيرانيّ وهذا هو اختصاصي (الراوي).

(1) على الرغم من أنّ الأمر قد أوجد مشكلة كبيرة في وقت لاحق للحكومة أمام=

إلّا أنّ خروج القوّات الأمريكيّة من العراق تحوّل إلى أزمة سياسيّة وإلى أزمة سمعة تلحق بالحكومة في هذا البلد. لم يكن أمامهم سوى الخروج؛ ونتيجة هذا العمل كان سقوط سمعة الأمريكيّين في العراق.

على كلّ الأحوال كان التنافس يحكم هذين البلدين الأجنبيّين فكانا لا يتبعان نموذجًا واحدًا. كان سلوك الأمريكيّ في المنطقة خاطئًا لعدم امتلاكهم المعرفة الصحيحة بها، لذلك حصدوا الفضائح التي ألحقت خسائر كبيرة بهم وبالعراق والمنطقة[1].

على سبيل المثال حصل الأمريكيّون أحيانًا حيث كانوا يحتلّون العراق، على معلومات تفيد بوجود أشخاص في مدينة البصرة تعارض الاحتلال الأمريكيّ. لذلك قرّروا التدخّل واعتقالهم. الأفراد الذين جمع الأمريكيّون معلومات عنهم، هم أفراد عائلة من أهالي البصرة وجميعهم من الشيعة. اتّصل الأمريكيّون بالبريطانيّين وطلبوا منهم اعتقال هؤلاء الأشخاص وتسليمهم للأمريكيّ. سأل البريطانيّ: كيف يجب أن يجري هذا العمل؟ أجاب الأمريكيّ: ادخلوا المنازل بعد منتصف الليل واعتقلوهم. قال البريطانيّون: إنّنا

=مجلس العموم، وقد حصلت نقاشات عديدة اتّهمت الدولة فيها بالكذب قبل بداية الحرب؛ فصدّام لم يكن لديه سلاح كيميائيّ وسلاح تدمير شامل قبل الهجوم الأمريكيّ والبريطانيّ.وكانت هذه ذريعة غير مبرّرة لاحتلال العراق (الراوي).

(1) استخدم المرحوم الشيخ هاشمي رفسنجاني وصفًا جميلًا في إحدى خطب الجمعة لأمريكا. يقول: أمريكا كالديناصور صاحب الجثّة الكبيرة والمخيفة والعقل الصغير (الراوي).

عاجزون عن القيام بهذا العمل، نحن بإمكاننا تهيئة مقدّمات هذا العمل، ويمكنكم إدخال مجموعاتكم لاعتقالهم. وقد روى العراقيّون الأمر لنا في مرحلة لاحقة. يقال إنّ الأمريكيّين سألوا البريطانيّين عن الجزئيّات كافّة. فأجابوا أنّهم مسلمون شيعة، ونحن لا نعرفهم جيّدًا.

سأل الأمريكيّون: هل استخدام الكلاب للتفتيش يُوجِد حساسيّة؟ أجاب البريطانيّون بعدم وجود إشكال في ذلك. اذهبوا وانجزوا العمل وفق الطريقة التي تريدونها؛ وهذا يعني أنّهم لم يقدّموا للأمريكي الحدّ الأدنى من المعلومات التي لديهم حول ثقافة الشعب العراقيّ المسلم.

وسط الليل دخل الأمريكيّون المنزل بسلاحهم وكلابهم وخشونتهم دخلوا غرف النوم حيث كانت الزوجة والأبناء وأهل البيت نيامًا. إلّا أنّ عصبيّة وغيرة صاحب المنزل، المسلم العربيّ العراقيّ وغيرته، لم تسمحا له بأن يشاهد الأشخاص غير المحارم يرون حرمه في ذاك الوضع، لذلك اشتبك مع الأمريكيّين وعلا الصراخ، سمع أقرباءهم في الجوار ما يجري.

ويُذكر أنّ العائلات العراقيّة عدد أبنائها كبير، الجميع كان مسلّحًا رجالًا وفتيانًا، فاندفعوا للمساعدة. وبدأت اشتباكات عنيفة، واشتدت إلى درجة اضطر الأمريكيّ عند الخامسة صباحًا إلى إدخال عدّة طائرات مروحيّة للمساعدة وإخراج عسكرييهم من المهلكة.

يجب الالتفات إلى أن الأمريكيّ يواجه مشكلات في المنطقة

تمنعه من أن يمارس كلّ ما هو موجود في ذهنه والوصول إلى مراده. لذلك خطط الأمريكيّ، وبشكل دقيق لسوريا، وكان يقول هناك 81 بلدًا يعملون معنا لإسقاط بشار الأسد، وكانت المجموعات المسلّحة والإرهابيّون قد حاصروا دمشق. واتّخذوا الأمم المتّحدة وسيلة «حجّة»، لذلك كان الوصول إلى نتائج مرضية وذات أهميّة، بل تحفظ ماء وجوههم. قاموا بكلّ عمل يؤدّي إلى سقوط بشار الأسد.

ليس من الصحيح تصوّر أنّ الأمريكيّ قادر على ضبط الساحات كافّة. فالقضيّة لا تنطبق مع الواقع في بعض الأحيان كان عدد شاحنات نقل المساعدات الإنسانيّة بين إيران والعراق وسوريا يبلغ يوميًا حواليّ 1500 شاحنة. ومع ذلك فالأمريكيّ لم يتمكّن من القيام بأكثر ممّا قام به. كانت تحكمهم المحدوديّات.

لا يساق كلّ شيء بالقصف والحرب والتسلط. حدد الأمريكيّون أهدافهم، أي إسقاط بشار الأسد وإيجاد أعلى مستوى من الأمن لإسرائيل. وقبل أيّ إجراء وبشكل طبيعيّ يجب أن يُؤخذ بعين الاعتبار الردّ المحتمل للطرف المقابل. كانوا يدركون أنّ أيّ عمل سيقومون به، ستوجّه مقابله إليهم ضربة. وقد شكّل هذا العامل الرادع مانعًا أمام قيامهم بما يريدون[1]. وأمريكا تحسب قبل إقدامها على أي خطوة المنافع والأضرار التي تترتب عليها.

(1) يقول الإمام القائد: الردّ على الصاروخ الواحد الذي يوجّه إلينا عشرة صواريخ (الراوي). نقل مضمون الكلام.

مساعدات إيران الإنسانيّة

لم تكن مساعدات الجمهوريّة الإسلاميّة الإنسانيّة لسوريا ذات نوعيّة واحدة ولا كميّة واحدة أيضًا طيلة الأزمة التي استمرّت سنوات، بل كانت على أساس الاحتياجات الميدانيّة. عندما كانت تشتدّ الأزمة، كانت هناك حاجة إلى مساعدات أكثر. وفي مدّة الأربعين يومًا التي حوصرت فيها دمشق وكانت في معرض السقوط، جرى إرسال مقدار كبير جدًّا من المساعدات. هذا الحجم من المساعدات ظرفيّ، وليس صحيحًا أنّ حجم المساعدات بلغ ألف شاحنة يوميًّا طيلة ست سنوات أو سبع سنوات من الأزمة، وقد أشرنا سابقًا إلى أنّ المجموعات الإرهابيّة المرتبطة بأمريكا والسعوديّة وبعض دول المنطقة كلّها كانت تمارس قرصنتها ومضايقاتها للشاحنات الحاملة للمساعدات الغذائيّة والدوائيّة.

للأسف جرى إيقاف عشرات الشاحنات التابعة لنا في هذا المسير، وقد فجّروا بعض الشاحنات واستشهد بعض سائقيها.

طبعًا الثمن الذي تكبّدته إيران بهذا الخصوص لا يمكن مقارنته بالأرقام التي دفعها الأمريكيّون وحلفاؤهم، وبعض دول المنطقة دفاعًا عن الإرهابيّين. لم يكن هذا هو عملنا الهامّ والمؤثّر في سوريا. العمل العظيم الذي أنجزناه طيلة هذه السنوات يتمثّل بالدعم السياسيّ للنظام والشعب في سوريا، والمساعدة في محاربة الإرهابيّين، ودعم العمليّة السياسيّة في سوريا. بعض الأرقام التي تذكر تحت عنوان الهبات الإيرانيّة لسوريا ليست حقيقيّة. أحيانًا كان السوريّون يطلبون منّا المحروقات، وذلك في فصل الشتاء. كنّا نرسل المحروقات. وكانوا يحدّدون ثمنًا معيّنًا لها.

شاركت في جزء من المحادثات السريّة مع الحكومة السوريّة، بخصوص هذا الأمر طبعًا لم تكن جميع المساعدات من دون مقابل[1].

إنّ الذي قمنا به في سوريا يندرج في إطار الأمن القوميّ لإيران وأمن المنطقة وسوريا[2]. وإلى جانب المساعدات التي كانت ترسلها الجمهوريّة الإسلاميّة بشكل مباشر، عملنا على تشجيع الدول الأخرى أمثال روسيا والصين على إرسال المساعدات أيضًا، وقد سهّلنا لاحقًا عمليّة نقل هذه المساعدات. في فترة زمنيّة معيّنة قرّرت حكومة سويسرا محاكمة بشار الأسد وبعض المسؤولين في الحكومة السوريّة بتهمة ارتكاب جرائم حرب، في تلك الفترة كنت في رحلة إلى «جينيف» و«برن»، تحدّثت مع السيّد «أبورسيه» قائم مقام وزير خارجيّة سويسرا، قلت له: «لماذا تريدون أن تلعبوا دورًا غير بنّاء» أنتم وباعتباركم بلدًا محايدًا، تستضيفون المركز الأساس للصليب الأحمر الدوليّ، لماذا لا ترسلون المساعدات إلى الشعب السوريّ بدلًا عن هذا السلوك الاستفزازي؟».

(1) استبعد أن يكون مجموع المساعدات الإنسانيّة إلى سوريا بما فيها النفط والمحروقات التي أرسلناها في الشتاء كبيرًا. طبعًا وكما قيل وبما أنّ الحكومة السوريّة لم تكن قادرة على دفع ثمن النفط المرسل نقدًا تقرّر تصفية الحساب بأشكال أخرى وجرى توقيع اتّفاق في هذا الشأن بين الحكومتين. وعلى كلّ الأحوال نحن لم ننس المساعدات التي قدمتها سوريا لنا أيّام حرب صدّام ضدّ إيران (الراوي).

(2) الأمن في الأساس مقولة لا تقبل التفكيك اليوم هناك جزء من أمننا يرتبط بالأمن في كلّ واحدة من دول المنطقة (الراوي).

أجاب المسؤولون السويسريّون: «نحن جاهزون لمساعدة الشعب السوريّ، شرط أن نوزّع المساعدات بأنفسنا». أقمنا ثلاثة لقاءات ثلاثيّة بين إيران وسويسرا وسوريا في طهران ودمشق وجنيف. وشارك من سوريا معاون وزير الخارجيّة ومن سويسرا قائم مقام وزير الخارجيّة، وشاركت أنا من إيران، حيث كانت هذه اللقاءات الثلاثيّة إنجازًا كبيرًا لسوريا. سهّلنا دخول المساعدات السويسريّة على سوريا باعتبار وجود مستشارينا العسكريّين فيها، ونظرًا للعلاقة الحسنة التي تربطنا بهذا البلد.

إضافةً إلى ما تقدّم شجّعنا السويسريّين على جمع التبرّعات والمساعدات من الدول الأوروبيّة لتتحوّل سويسرا إلى قطب ومحور في نقل المساعدات. ساهمنا في إيجاد آليّة تتمكّن بواسطتها الحكومة السويسريّة والصليب الأحمر الدوليّ وبالتعاون مع الهلال الأحمر السوريّ، من توزيع المساعدات في المناطق التي يرغبون فيها. كان السويسريّون يقولون: نحن نرغب في إيصال المساعدات حتّى إلى المناطق التي فيها المسلّحين، إلى الأطفال والنساء المحاصرين.

علمنا بعد مدّة أنّ الجزء الأكبر من هذه المساعدات يذهب إلى المسلّحين حيث لا يسمح المسلّحون والإرهابيّون بوصول المساعدات للناس والعائلات، ومع ذلك أوجدنا آليّة تُساعد حكومة بشار الأسد، على ضمان إيصال على الأقلّ خمسين في المئة من المساعدات، إلى النساء والأطفال والعائلات في تلك المناطق حتّى لا تقطع المساعدات عنها. كانت الحكومة السوريّة

ترفض حصول الإرهابيّين على المساعدات وعلى الرغم من ذلك قدّمت دعمًا مؤثّرًا في سبيل وصولها إلى الناس.

أعتقد أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة قامت بأكثر الأعمال فطنة وذكاءً في موضوع المساعدات الإنسانيّة؛ أي إنّها استعانت بمصادرها وبالمساعدات الشعبيّة في حدود الضرورة، وفي الوقت عينه شجّعت سويسرا والأوروبيّين على المساعدة وفتحت ممرًّا لإرسال هذه المساعدات.

مساعدة المستشارين الإيرانيّين في المجال السياسيّ والاجتماعيّ

من جملة المسائل الهامّة أنّ المستشارين الإيرانيّين الذين كانوا يساعدون الحكومة السوريّة، لم يكونوا من المتخصّصين في القضايا العسكريّة فقط. كان هؤلاء المتخصّصون ينتمون إلى أقسام متنوّعة وذوي اختصاصات عديدة، يقدّمون الاستشارات للحكومة السوريّة في المجالات السياسيّة، الاجتماعيّة، و... من جملة هذه الاستشارات السياسيّة للسيّد بشار الأسد، والجهاز الإداريّ في الحكومة على سبيل المثال، ضرورة إنجاز الانتخابات وعدم تأخيرها ولو يومًا واحدًا، حيث كان هذا الأمر مهمًّا أيضًا للسيّد بشار الأسد، وذلك كما حصل في إيران طيلة حرب السنوات الثماني التي فرضها صدّام، فلم تتأخّر الانتخابات حتّى يومًا واحدًا.

عندما أراد السوريّون إجراء الانتخابات سافر وفد سوريّ كبير من الخبراء إلى إيران وعقد جلسات استمرّت عشرات الساعات مع

المسؤولين في وزارة الداخليّة أصحاب العلاقة، لتبادل الخبرات حول إقامة الانتخابات، وكيف يمكن للناس الإدلاء بآرائهم، والحفاظ على هذه الآراء. وفي النهاية أُجريت انتخابات مجلس الشعب ورئاسة الجمهوريّة في الموعد المحدّد، مع أنّ الأزمة كانت في أوجها. طبعًا استُثنيت المناطق الواقعة تحت سيطرة المسلّحين من الانتخابات.

أصبح الناس يدركون وبالتدريج أنّ الأمان يتحقّق في كلّ مكان فيه النظام وبشار الأسد. النتيجة ارتفاع ساكني دمشق من خمسة ملايين إلى عشرة ملايين شخص. وهي مسألة في غاية الأهميّة؛ أن يشعر الناس أنّ الأمن يتحقّق ويُفرض في الأماكن التي تتواجد فيها أجهزة الحكومة. علمًا أنّ الناس كانت تشاهد بأمّ العين ما تفعل داعش والنصرة وأمثالهما من المسلّحين بشبابها وشرفها وتشاهد مقدار القتل والاعتداءات التي كانت تمارس تحت عنوان الخلافة الإسلاميّة. في الحقيقة عملت الحكومة والقوى الشعبيّة التطوعيّة، سواء الرجال والنساء على حفظ أمن المدن وشوارعها وأزقتها.

التعاون في المجال الطبيّ

من جملة مجالات التعاون الأخرى بين إيران وسوريا الموضوع الصحيّ والطبيّ. الأطبّاء الجرّاحون الإيرانيّون أصحاب خبرة كبيرة اكتسبوها خلال تجربة السنوات الثماني من الدفاع المقدّس. وجامعاتنا صاحبة استعداد علميّ كبير لتدريب الأطبّاء ومساعديهم. لذلك كان تبادل التجارب بين الأطبّاء الإيرانيّين والسوريّين على درجة عالية من الأهمّيّة وجرى إرسال وفود الأطبّاء الإيرانيّين إلى

المستشفيات السوريّة. وكان دخول الأطبّاء الإيرانيّين أصحاب التّجارب بعض المستشفيات التي يصل إليها فجأة خمسون جريحًا جرّاء انفجار إرهابيّ، أمرًا يضفي الهدوء والأمان على الأوضاع الوخيمة. وكان للأطبّاء السوريّين حضور جدّيّ وفاعل في هذا الشأن.

قَدِم الكثير من هؤلاء الأطبّاء السوريّين إلى إيران لمتابعة دراستهم.

لذلك، أن يتصوّر بعض النّاس أنّ الإيرانيّين كانوا حاضرين في سوريا بصفة مستشارين عسكريّين وحسب فهذا باطل، فالجزء الأكبر من الإجراءات والأعمال التي قامت بها الجمهوريّة الإسلاميّة تتعلّق بالمجالات غير العسكريّة المباشرة بل في إطار المساعدات الإنسانيّة.

نقل التجربة الإداريّة

أُجبر مستشارونا العسكريّون في ظلّ بعض الأجواء الخاصّة على التدخّل والمشاركة في الاشتباك العسكريّ. ولكن القوّات السوريّة كانت هي الفاعلة دائمًا. طبعًا حضور القوّات الإيرانيّة كان يترك أثره في أداء الجيش السوريّ من جهات متعدّدة، وفي الحقيقة لم يقتصر تأثير حضور إيران على الجانب العسكريّ وحسب، ولم يكن قادتنا العسكريّون في مرحلة الدفاع المقدّس على سبيل المثال يديرون العمليّات من المقرّات، أو من وراء أجهزة الاتّصال. كان قادة الألوية والكتائب والفرق يقودون من الخطّ الأماميّ للجبهة، ولعلّ قضيّة استشهاد بعض قادتنا في الجبهة يعود إلى هذه الروحيّة. هذه

الروحيّة التي كانت تحكم قوّات الحرس والجيش الذين دخلوا سوريا لتقديم الاستشارات العسكريّة، انتقلت إلى الجنرالات المضحّين في الجيش السوريّ، هؤلاء الضبّاط الذين اتّخذوا قرار أن يكونوا مع جنودهم في خطّ الجبهة الأماميّ. وكان هذا الأمر واحدًا من الأسباب التي ساهمت في خروج سوريا من الأزمة، وفي تحقيق انتصارات كبيرة. في الحقيقة فإنّ التجربة والقوّة العميقة في إيران جرى وضعهما بالكامل بين أيدي الشعب والقوى السوريّة المسلّحة. وساهمت روحيّة القيادة السوريّة وثبات الشعب والعسكريّين الأوفياء في تحوّل الظروف وتغيرها.

استمرار نشاط الجامعات

من جملة الأمور التي اهتمّت بها الحكومة السوريّة طيلة الأزمة عدم تعطيل الجامعات، فاستمرّ التدريس وفتحت القاعات بشكل طبيعيّ.

نعم كان التدريس يتوقّف خمسة أيّام أو عشرة عند اشتداد الأزمة في منطقة ما.

العلاقة بين علماء إيران وعلماء سوريا

ألقى الأعداء شبهات في المجتمع السوريّ في أوج الأزمة، وكان هدفهم تعميق الخلافات الدينيّة والطائفيّة. وكان علماء سوريا سواء الشيعة أو السنّة، يرغبون في عرض هذه الشبهات على أصحاب العلم في إيران والتفكير معًا في إيجاد إجابات لها. حدّثني السيّد بشار الأسد في الرحلة الأخيرة التي قمت بها إلى سوريا، قال لي: «على رغم الجهود التي بذلت لإيجاد اختلاف في سوريا

بين السنّة والعلويّين والشيعة، إلّا أنّنا الآن في أفضل حالاتنا على هذا المستوى. العام الماضي سافرت مجموعة من علماء أهل السنّة السوريّين إلى إيران، والتقوا الإمام القائد. ساهم اللقاء الحميميّ، وكذلك استدلالات القائد وتعاطيه الأبويّ في التأثير في علماء سوريا، ليعودوا بعدها إلى سوريا بقوّة أعظم وطاقة خاصّة وكان كلّ شخص يمارس نشاطه وفق مذهبه باعتقاد أكبر، ولم يُسمح للاختلاف الذي أرادوه بين السنّة والشيعة أن يحصل». للإنصاف ساعد بشار الأسد وعلماء سوريا في تدعيم وحدة المسلمين، فأدّوا أدوارًا مؤثّرة على مستوى الوفاق الوطنيّ في سوريا، والعلاقات المحكمة بين طهران ودمشق.

اختطاف الإيرانيّين لتعمق الشعور بالأمن

بموازاة ما جرى تقديمه للحكومة السوريّة في خصوص إدارة الأمور والسيطرة عليها، قدّم اللواء سليمانيّ، بناءً على ما وصل إليه المجلس الأعلى للأمن القوميّ من خلاصات، اقتراحات للسلطات السوريّة تقضي بالحفاظ على نشاط الجامعات، مراكز المدن، الانتخابات وأمثالها بعد تشديد الإجراءات الأمنيّة، وبالتالي عدم السماح للأزمة والاشتباكات بإيجاد أوضاع غير عاديّة في المجتمع. على أن نساعد نحن أيضًا في الحفاظ على الأوضاع العاديّة من خلال الاستمرار بإرسال الزوّار الإيرانيّين، ولو بشكل محدود، وقد شدّدت القيادة السوريّة على هذا العمل الهامّ.

اتُّخذ القرار بعد المزيد من البحث بالاستمرار في إرسال الزوّار وفق شروط معيّنة؛ على أن لا تكون النساء وكبار السنّ من

المشمولين بالزيارة. قدّمنا لبعض المؤسّسات أمثال الحجّ والزيارة والمراكز الأخرى حصصها، وأصبحت مدّة الزيارة أربعًا وعشرين ساعةً بدلًا من أسبوع. يحمل هذا العمل حساسيّة فائقة. ولكن إذا أُنجز نكون قد حافظنا على الخطوط الجويّة بين البلدين ولم تقطع العلاقات بين الشعبين ولا ينهار جزء من سوق دمشق واقتصادها خصوصًا ذاك المتعلّق بالزوّار. كانت سوريا في تلك الفترة تعيش ظروفًا صعبة للغاية، وكان هذا العمل جزءًا من خطط الحفاظ على أوضاع سوريا في بعدها الاجتماعيّ. ولكن، ومن جهة أخرى، خطّط المعارضون لعدم السماح بالقيام بهذا العمل لكي تبدو سوريا عمومًا ودمشق خصوصًا غير آمنتين على الإطلاق.

في الأسبوع الثالث لتنفيذ هذا البرنامج، وعند انطلاق خمسة باصات ليلًا، تنقل المواطنين الإيرانيّين من المطار إلى مدينة دمشق، انحرف سائق إحداها، وكان على اتّصال مسبق بالمسلّحين عن الجادّة الأساسيّة مستفيدًا من ظلام الليل وسلّم الإرهابيّين 48 إيرانيًّا في منطقة الغوطة الشرقيّة. وأدّت هذه القضيّة إلى ظهور توتّر بين إيران وقطر. ثمّ انتهت مع تحرير الزوّار الإيرانيّين، وقد خُطِف الأشخاص الثمانية والأربعين على أيدي إحدى المجموعات الإرهابيّة المسلّحة.

كان بعض المسؤولين السياسيّين القطريّين في تلك المرحلة غير قادرين على تحمّل سياستنا في سوريا. وبينما كنّا نعمل لتحرير مواطنينا، أرسل القطريّون معربين عن استعدادهم للتدخّل وتحريرهم، كان جوابنا بالموافقة الحتميّة، ولهذا السبب سافرت

إلى قطر ثمّ جاء المسؤولون القطريّون إلى طهران، وفي النهاية جرى تشكيل غرفة عمليّات مشتركة منّي ومن نظيري القطريّ[1]، واستمرّ العمل مدّة ثلاثة أيّام ليلًا ونهارًا[2]، وبناءً على عمليّات تبادل، فيها الكثير من الجزئيّات، تسلّم السفير الإيرانيّ في دمشق السيّد شيباني 48 مواطنًا إيرانيًّا في فندق الشيراتون في دمشق ثمّ نقلهم إلى المطار، ومن جهتنا فقد أنجزنا نحن تبادلًا مع القطريّين أيضًا.

إصلاح الدستور

قام الرئيس بشار الأسد بعد بداية الأزمة بمجموعة إجراءات استباقيّة. والسبب في ذلك أنّ المجتمع السوريّ يعاني العديد من المشكلات من ناحية النظام السياسيّ، ومن ناحية الإدارة الحزبيّة الواحدة التي تدير البلد؛ لذلك كان أحد إجراءاته تأسيسَ لجنة خاصّة لإعادة النظر بالدستور السوريّ، وقد أنجزت اللجنة إصلاحات وتغييرات هامّة على مستوى الدستور وأخرجت النظام من الحزبيّة الواحدة، وارتقت بدور الشعب في إدارة أمور البلد أكثر مما كان عليه الدستور السابق. ثم أقيم استفتاء على الدستور، وعلى أساس ذلك تمّ تشكيل مجلس وحكومة جديدين.

---

(1) تأسّست غرفة العمليّات المشتركة في مبنى ضيافة وزارة الخارجيّة في ساحة نياوران، طهران (الراوي).

(2) كانت العلاقات بين الدول الأجنبيّة والمعارضين المسلّحين في سوريا قويّة للغاية حتّى إنّ نظيري القطريّ كان يتّصل مباشرة بمسؤول المجموعة الإرهابيّة التي خطفت الإيرانيّين الثمانية والأربعين (الراوي).

سنحت الفرصة في إحدى زياراتي لسوريا للقاء مسؤولي منظّمة الأمم المتّحدة في أمور سوريا. أمّا أبرز طلباتهم في هذا الموضوع فضرورة تشكيل لجنة جديدة لتدوين الدستور، في المقابل كان بعضهم يسأل: ما هي ضرورة تشكيل لجنة جديدة لتدوين الدستور؟

سوريا تمتلك دستورًا، وهناك إصلاحات وتغييرات أضيفت إليه عام 1390 (2011م) وعلى هذا النحو، إذا كان هناك حاجة إلى ذلك يمكن إصلاحه من جديد.

أمّا الحركات التي كانت تضغط في سبيل تغيير الدستور بالكامل فهي الحركات التي كانت طيلة ثماني سنوات أو تسع ماضية داعمة للمجموعات الإرهابيّة والمسلّحة المعارضة للحكومة السوريّة، والتي كانت تنشط في سبيل إسقاط النظام. من جملة الأبحاث التي كانت تطرحها هذه الحركات خُفية، ضرورة تحديد مدّة رئاسة الجمهوريّة، أي إنّهم أرادوا القيام بإجراءات تجعل بشار الأسد لا يتمكّن من المشاركة في انتخابات عام 2021م. وهذا يعني؛ بما أنّهم لم يتمّكنوا من إسقاط النظام في سوريا بواسطة الحرب، فإنّهم قادرون على ذلك عن طريق تغيير الدستور. على كلّ الأحوال بشار الأسد أظهر موافقته على إعادة النظر بالدستور. وهناك حوارات حول تشكيل لجنة الدستور والمحادثات مستمرّة في هذا الشأن بين الحكومة والمعارضين بواسطة الأمم المتّحدة.

مسائل حول المجموعات الإرهابيّة

تصنيف المجموعات السوريّة المعارضة

يمكن تصنيف القوى المتحاربة في سوريا في عدّة مجموعات فاعلة. الأولى: هي المعارضون السوريّون الأصل غير المسلّحين، والذين يمارسون معارضتهم على المستوى السياسيّ والحقوقيّ. وهؤلاء هم المعارضون السياسيّون.

المجموعة الثانية: هي المعارضون السوريّون المسلّحون الذين حملوا السلاح، من أبرز هؤلاء الجيش الحرّ المدعوم من تركيا، وهم مجموعات قليلة انفصلت عن الجيش السوريّ وقد جرى تنظيمهم في إطار الجيش الحرّ.

المجموعة الثالثة: هي الإرهابيّون، القاسم المشترك بين المجموعات الإرهابيّة كافّة أنّهم يعودون بنحو ما إلى تنظيم القاعدة أو أنّهم متفرّعون منه. وقد حملت هذه المجموعات أسماء مختلفة؛ منها داعش، أي الدولة الإسلاميّة في العراق والشام، وهي أشهر هذه المجموعات، جبهة النصرة، جيش الإسلام وأمثالها وكلّها مدعومة من أمريكا، السعوديّة و...ويرتبط الكيان الصهيونيّ المصطنع ببعض هذه المجموعات مباشرة.

تعمل هذه المجموعات معًا وجنبًا إلى جنب أي إنّهم يعملون بالتنسيق فيما بينهم باستثناء بعض الحالات، عند بروز مسائل تقسيم الأموال المسروقة أو الحصول على الفتيات والنساء الإيزيديات أو المسيحيّات أو المسلمات، حيث يعتبرونهنّ غنائم لهم، والتي أدّت إلى اشتباكات بين داعش والنصرة، وبشكل عامّ عندما كانوا يرغبون

في القيام بعمليّات عسكريّة، كانوا ينسّقون مع بعضهم البعض ويتصرّفون على أساس تقسيم الأعمال فيما بينهم، ويمارس الراعي والداعم عمليّة الإدارة الأمنيّة الخارجيّة. إضافةً إلى ما تقدّم كان هناك تنسيق في العمليّات بين هذه المجموعات والحركات السوريّة المسلّحة (الجيش الحرّ).

ماذا فعل الإرهابيّون بعد احتلال المدن؟

عندما كان الإرهابيّون يحتلّون منطقة سورية كانوا يعمدون إلى تشكيل حكومة، كما حصل في «الرقّة» ويعلنون عن مركزيّتها في خلافتهم الإسلاميّة[1]، وكانوا يعمدون بعد احتلال كلّ منطقة مباشرة إلى جمع عدد من الأهالي ثمّ يقومون بإعدامهم أمام أعين الناس أو كانوا يقطعون رؤوسهم. وكان الأمر يؤدّي إلى سيطرة حالة من الخوف والوحشة، بحيث لا يجرؤون على سلّ سيوفهم ضدّ الإرهابيّين فيضمنون طاعتهم.

من جهة أخرى كانوا يدّعون الخلافة الإسلاميّة، وكان عليهم إدارة أمور المدينة اليوميّة بعد احتلالها. لذلك كانوا يُجبرون العمّال على استمرار نشاطهم الاقتصاديّ والتجاريّ العاديّ، حتّى إنّهم كانوا يفتحون المحلّات بقوّة السلاح ليتمكّن الناس من التردّد على مستوى المدينة وتأمين ما يحتاجون إليه. وكانوا يلزمون التجّار

(1) عندما يدخل هؤلاء المدن، كان يتسنّى لبعض الأفراد الفرار إلى الخارج حيث ينقلون للخارج الأحداث التي رافقت احتلال داعش للمدينة وهي أحداث مخيفة للغاية (الراوي).

بأنواع وأشكال من التعليمات الشرعيّة، وكان على هؤلاء التجار دفع الضرائب، وقد خصّصوا فريقًا خاصًّا منهم لمتابعة هذه الأمور.

لم تجرؤ النساء على التجوال في الشوارع في المناطق التي احتلّوها، خوفًا من الخطف والاعتداء. وكان لهم أشخاص في القرى والمدن التي تسقط بأيديهم، يختارون أجمل النساء والفتيات ليقدّموهنّ لقادتهم ومسؤوليهم العسكريّين[1]، وفي الوقت نفسه كانوا يعيّنون شخصًا في كلّ مدينة إمامًا للجمعة. عندما كان يصعد المنبر كان على الجميع الحضور في المسجد. وهذا يعني أنّ كلّ شيء تحت ظلال السيوف والرماح. كانت المساعدات التي تصلهم من أمريكا وبعض دول المنطقة كبيرة جدًّا حيث كان الداعمون يحلمون بأن تتوسّع داعش لتشمل خلافتها الشام بأكملها (المنطقة الجغرافيّة التي تشمل تاريخيًّا سوريا ولبنان وفلسطين والأردن).

ما ينبغي الإشارة إليه أنّه عندما يُحاصَر الإرهابيّون في منطقة ما، كانت تنهال الاتّصالات فجأة من الدول الداعمة لهم. كانوا يقولون إنّ الجيش السوريّ حاصر المدينة الفلانيّة والناس المحاصرون بحاجة إلى المساعدة. لطفًا نسّقوا بناءً على علاقاتكم، لإدخال شاحنات الموادّ الغذائيّة على المدينة. كانت هذه الشاحنات تدخل تحت شعار الأمم المتّحدة والصليب الأحمر الدوليّ، بحيث لا يتمكّن الجيش من تفتيشها. جرى التنسيق مرّات عديدة بهدف إدخال المساعدات الدوائيّة والغذائيّة لغير العسكريّين. ثمّ اتضح بعد ذلك

(1) يقول بعض الشهود إنّهم لم يحافظوا على الحدود الشرعيّة مطلقًا، وكان سلوكهم في هذا الشأن غير مقيّد بأيّ قيد على الإطلاق (الراوي).

أنّه كلّما دخلت عشر شاحنات على سبيل المثال كانت ثمانٍ منها تحمل السلاح، كما أنّ الموادّ الغذائيّة لم تصل إلى الناس، بل لقادة الإرهابيّين.

الفوعة وكفريا

عندما كانت المجموعات الإرهابيّة المرتبطة بالقاعدة، جبهة النصرة، فيلق الشام، الجيش الحرّ، و...تنوي الهجوم على منطقة، كانوا يجتمعون في جلسة، ويكتبون محضرًا في المقرّرات المتّخذة ثمّ يوقّعون أسفل الصفحة (الصور في الملحق)، يوضح اتّفاقهم هذا، المكان الذي ستبدأ كلّ مجموعة منهم العمل فيه. طبعًا بعد احتلالهم لمنطقة كانت تبدأ خلافاتهم التي تصل للاشتباكات المسلّحة بسبب غنائم الحرب، أسر النساء والفتيات وأمثال ذلك. فيما يتعلّق بالفوعة وكفريا، وهما منطقتان شيعيّتان حاصرهما المسلّحون، خطّط الإرهابيّون لدخولهما والحصول على النساء والفتيات غنائم، وقتل الرجال كافّة[1]. لا أنسى أنّ اللواء سليمانيّ كان قلقًا دائمًا بسبب الفوعة وكفريا، وكان على اتّصال وتنسيق مع المسؤولين السوريّين، بهدف تحرير هذه المناطق وأهلها المظلومين، وقد أفضت جهوده في النهاية إلى تحرير أهالي المنطقة المحاصرين.

(1) قرأت وثيقة تتحدّث فيها المجموعات الإرهابيّة عن أن أجمل النساء والفتيات في بلاد الشام هنّ في الفوعة وكفريا بسبب أجوائها، لذلك فكروا بتقسيم الغنائم قبل دخولهما (الراوي).

أُنجزت العديد من الأعمال لنجدة أهالي هاتين المنطقتين اللتين بقيتا قرابة ثماني مئة يوم تحت الحصار. وأمّا فيما يتعلّق بالعمليّات العسكريّة فيهما، فهذا ما يجب أن تشرحه القوّات العسكريّة الإيرانيّة، والسوريّة وحزب الله لبنان، جرى التخطيط للعمليّات بأسلوب لا يترك مجالًا للإرهابيّين للاعتداء على النساء والأطفال، كان هذا العمل يخطط له ويدار بأساليب معقّدة للغاية، ممّا حيّر الإرهابيّين. بقيت الفوعة وكفريا محاصرتين مدّة ثماني مئة يوم، إلّا أنّ الخطط التي اعتمدت أوقعتهم في حيرة من أمرهم، حيث لم يسمح لهم بتنفيذ خططهم الخبيثة بحقّ أهالي هاتين المنطقتين، وإلى جانب النشاطات والمخطّطات العسكريّة، كانت الإجراءات السياسيّة والدوليّة تتحرّك، والتحذيرات المتتالية بخصوصهما، ومن ثم أدخلت الأمم المتّحدة على خطّ أزمة المنطقتين رافق ذلك التحذير الشديد بأنّ خروج قطرة دم من أنف امرأة أو طفل سيواجه بردٍّ قاس للغاية، كلّ ذلك شكّل عوامل مانعة أمام اعتداء الإرهابيّين عليهما. عندما علمنا بنيّة الإرهابيّين ضرب أعناق الرجال، وأسر النساء والفتيات، وكانت محاصرة القريتين في أوجها، كنت في رحلة إلى فيينا للمشاركة في لقاء حول سوريا، تحدّثت في الموضوع مع الدكتور ظريف، الذي تحدّث في فيينا مع جان كيري، وزير الخارجيّة الأمريكيّ وحذّره بقوّة من هذا الأمر إلّا أنّ الإجراءات الميدانيّة لحسن الحظّ قد آتت ثمارها.

ما فعلته داعش بأذهان الناس وأفكارهم/خطة تقسيم سوريا والعراق

لم يقتصر نشاط داعش في هذه المرحلة على القتل والإجرام وارتكاب الجنايات، بل عملت داعش على التفريق بين الناس في العراق وسوريا، والقضاء على الوحدة القبليّة، ففي مرحلة ما، ابتعد المسيحيّون عن الشيعة وأهل السنّة، واجتمعوا حول أبناء ديانتهم. واجتمع الشيعة حول أنفسهم خوفًا من السنّة، بل قاموا بطردهم من الأماكن التي تجمعهم بهم. كما ابتعد السنة عن الجميع. فقد زرعوا في أذهانهم أسئلة كثيرة: لماذا السلطة في سوريا بأيدي العلويّين[1] ـ وهم الأقليّة ـ ولماذا خرجت السلطة من أيديهم في العراق بعد حواليّ ألف عام على وجودها بأيديهم حيث أصبح للشيعة دورٌ أكثر أهميّة ممّا كان عليه.

عشت في العراق حوالي ثلاث سنوات أيّام حكم صدّام في مهمّة دبلوماسيّة وكنّا نشاهد الشباب والفتيات الشيعة والسنّة يتزوّجون بعضهم بعضًا، حيث لم تكن الحدود موجودة بين السنّة والشيعة، وكان هذا الأمر حقيقة لا يمكن إنكارها إلّا أنّ البريطانيّين والأمريكيّين والصهاينة إلى جانب بعض الدول الأخرى كالسعوديّة قد أوصلوا الأمر إلى مكان بحيث يعمد الشخص الوهابيّ كما يقول اللواء سليمانيّ إلى قتل طفل، ثمّ يقطّعه ويطبخه، ويرسله داخل وعاء إلى أبيه وأمّه. وهذا يعني أنّ خبثهم قد

(1) هم فرقة انشعبت عن المذهب الشيعيّ ينتسب لهذا المذهب بعض قادة سوريا وعائلة الأسد.

وصل إلى مرحلة تغيير السلوك الأخويّ بين السنّة والشيعة إلى مصيبة. لذلك كانت الخلافات العميقة والمسلّحة بين الشيعة والسنّة. وإذا ما راجعنا تاريخ العراق لوجدنا أنّ الشيعة والسنّة والأكراد قريبون بعضهم من بعض، إلّا أنّهم أبعدوا بعضهم عن بعض ووضعوا بعضهم في مواجهة بعض. يعتقد الأعداء أنّ هذا الابتعاد والانفصال بين القوميّات والمذاهب، يهيّئ الأرضيّة الذهنيّة والنفسيّة لتقسيم العراق وسوريا، وتغيير رؤية الناس وتوجّههم كمقدّمة لتغيير سلوكهم، فيصبح تقسيم الدول أمرًا ممكنًا. بعبارة أخرى، قد يصبح تقسيم الدولة من وجهة نظر الأعداء تحصيلًا حاصلًا عند الناس فتستسلم أذهانهم له، حتّى لو لم يعترف رسميًّا بالتقسيم، وتحكي الشواهد عن استمرار جهود الأعداد لتقسيم الدول الإسلاميّة. وقد لعب اللواء سليمانيّ والجمهوريّة الإسلاميّة دورًا هامًّا في إسقاط مخطّط التقسيم.

أمريكا وإسرائيل وارتباطهما القريب بالإرهابيّين

لا أنسى أن السيّد «استيفان دي ميستورا» الممثّل الخاصّ للأمين العامّ للأمم المتّحدة كان أحيانًا يتصل بي عند الثانية عشرة ليلًا[1]. ليطلب منّي مساعدة الناس الأبرياء المحاصرين في إحدى المناطق ليتمكّنوا من الخروج من الحصار، كنت حينها اتّصل باللواء سليمانيّ وأنقل له ما تطلبه الأمم المتّحدة، كان اللواء سليمانيّ

(1) شغل هذا المنصب منذ بداية الأزمة السوريّة عام 2011 كلّ من كوفي عنان (الأمين العامّ السابق للأمم المتّحدة) الأخضر الإبراهيمي، استيفان دي ميستورا، وغيربيدرسون.

يستعلم آخر الأوضاع من خلال ارتباطه بالمستشارين العسكريّين الإيرانيّين في سوريا، فكنّا ندرك حينها أنّ تلك المدينة التي كان يسيطر عليها المسلّحون والإرهابيّون أصبحت منذ يومين أو ثلاثة محاصرة من قبل الجيش السوريّ وأنّ الإرهابيّين لم يبق أمامهم سوى الاستسلام أو الموت. وكانت أمريكا والمملكة العربيّة السعوديّة من المدافعين عن الإرهابيّين، كانت الإدارة الأمريكيّة تضغط على الأمم المتّحدة لإنقاذ الإرهابيّين في المنطقة.

عقدنا جلسات عديدة مع ممثّلي الأمم المتّحدة بهذا الشأن. وكانت إحدى السيّدات الموجودات بين ممثّلي الأمم المتّحدة على اتّصال مباشر بقادة المجموعات الإرهابيّة. فقد اتّصلت أمامي مباشرة بأحد مسؤولي داعش الكبار لتخبره بأنّ الأمور جرى تنسيقها وعليك إرسال السجناء (الأسرى) إلى النقطة الفلانيّة.

عندما يجري التوصّل لاتّفاق معقّد يقضي بترك الإرهابيّين أسلحتهم الثقيلة على الأرض ليتمكّنوا من مغادرة المنطقة المحاصرة، كانوا ينقلون أسلحتهم الفرديّة بواسطة الأمم المتّحدة. تحدّثت مرارًا مع السيّد دي ميستورا وهو دبلوماسيّ فعّال صاحب تجربة وقلت له: «زميلي العزيز، طلبت منك مرارًا أن تفعل شيئًا للمسلمين الشيعة المحاصرين في الفوعة وكفريا ونبل والزهراء ليتحرّروا من الحصار[1] ومع ذلك لم تبادر ولو مرّة واحدة لفعل شيء...».

---

(1) كانوا محاصرين مدّة خمس سنوات تقريبًا وكانت الطائرات تلقي إليهم صناديق الغذاء والماء الصالح للشرب ليتمكّنوا من الاستمرار بحياتهم وقد صمد أهالي هذه المناطق صمودًا شجاعًا ودافعوا دفاعًا مستميتًا عن منطقتهم ونواميسهم في أوج محاصرة الإرهابيّين لهم (الراوي).

الحقيقة أنّ الأمم المتّحدة تبدأ بالحركة عند الضغط الأمريكيّ عليها وذلك عندما يصل الإرهابيّون إلى طريق مسدود، ولا يبقى لهم أيّ طريق للخروج. عند ذلك تصبح الأمم المتّحدة جاهزة للوساطة ليجري التبادل بين الإرهابيّين والأفراد غير العسكريّين المحاصرين. وهذا يدلّ على حقائق كثيرة.

كانت أدوات منظّمة الأمم المتّحدة تعمل في الأزمة السوريّة خدمة لأهداف أمريكا السياسيّة. وكان بيننا وبين ممثّلي الأمم المتّحدة علاقات قريبة بسبب التواصل الدائم والجلسات العديدة. استيفان دي ميستورا وباعتباره ممثّلًا للأمم المتّحدة هو شخص محترم.

وقد وصلت الصداقة فيما بيننا إلى مراحل أصبح ينقل لنا مسائل خاصّة وطبعًا كلّ ذلك بشكل غير علني. وكان تارة يتحدّث بشكل شفّاف ويقول: هذا الأمر خاصّ جدًّا، هذا هو رأي الأمريكيّين حول المسألة الفلانيّة، مثلًا. إذا تمكّنتم من إقناع مسؤوليكم، أمكننا حلّ هذا الموضوع في سوريا...طبعًا كان هذا جزءًا من دوره الدبلوماسيّ.

كانت مسألة سوريا جزءًا من بازل المنطقة الكبيرة. كان الأمريكيّون يقولون: إذا أردنا الحؤول دون السقوط السريع لحكّام بعض الدول الحليفة لنا، فعلينا إيجاد مسألة جديدة، وعلينا أن ننفخ في النيران إلى مستوى تنصرف فيه الأذهان عن مصر واليمن والبحرين وأماكن أخرى إلى المسألة الجديدة، والمسألة الجديدة كانت سوريا.

إلّا أنّهم لم يكتفوا بسوريا فأوصلوا الأمور في العراق إلى الاضطرابات عندما سقطت مدينة حلب في سوريا سقطت بالتزامن معها مدينة الموصل في العراق، وكانت جحافل داعش والإرهابيّين في سنوات الأزمة هذه تتردّد بين سوريا والعراق ينهبون نفط هذين البلدين[1].

السلاح الكيميائيّ

نمتلك العديد من الوثائق التي تبيّن أنّ الإرهابيّين المدعومين من قبل الأجهزة الأمنيّة الأجنبيّة، عندما عجزوا عن إسقاط النظام السياسيّ في سوريا، شرعوا في تدبير ملف ملفّق للحكومة السوريّة. ومن جملة هذه الملفّات السلاح الكيميائيّ. طبعًا استخدام السلاح الكيميائيّ موضوع حسّاس للغاية في عالم اليوم. كان المعارضون يقولون إنّ لدى الحكومة السوريّة سلاحًا كيميائيًّا وهذا ما تؤيّده منظّمة حظر الأسلحة الكيميائيّة. وفي المرحلة الثانية، عمد المعارضون وبالتعاون مع الأجهزة الأمنيّة الأجنبيّة إلى تنفيذ أعمال خطيرة ثمّ كانوا ينسبونها للنظام في سوريا. سرق الإرهابيّون مخازن غاز الكلور من أحد السدود شمال سوريا[2] وبعد ذلك كانوا يلجؤون لتصوير وقائع فظيعة مفبركة يدّعون فيها أنّ الحكومة السوريّة استخدمت هذا السلاح ضدّ الناس.

---

(1) كانوا يبيعون برميل النفط الذي تبلغ قيمته ثمانين دولارًا بعشرة دولارات أو اثني عشر دولارًا عن طريق بعض الدول ويصرفون أموال النفط على شراء التجهيزات وما يحتاجون إليه من أمور أخرى (الراوي).

(2) يضاف الكلور للماء لتنقيته، ولكن عندما ينتشر يتحوّل إلى غاز قاتل.

نحن نعلم أنّ داعشًا فاعلة بشكل كبير على مستوى الإعلام والفضاء المجازيّ، وكانت تدعمها الأجهزة الأمنيّة الأجنبيّة. أمّا الصور التي كانت تبثّها وسائل الإعلام عن حالات اختناق فكلّها تشير إلى علائم استخدام السلاح الكيميائيّ. طبعًا عندما كانوا يُعدّون التقرير وينشرون الخبر كانوا يقولون إنّ بشار الأسد استخدم السلاح الكيميائيّ بما أنّنا كنّا من أكبر ضحايا السلاح الكيميائيّ في مرحلة الحرب المفروضة، فنحن نمتلك أفضل المختبرات والمتخصّصين في هذا الشأن. كنّا ندرس الموضوع بدقّة على الرغم من اطمئناننا إلى عدم استخدامه ولكن أردنا أن تكون الأمور واضحة لنا. إنّ ما كان يشغل بال مسؤولي النظام آنذاك الأحداث التي تقع في المنطقة وسوريا، لذلك كان هامًّا لنا إذا أردنا تقديم تقرير لمسؤولي النظام في المراتب العليا، أن نعلم بدقّة ما كان يحدث على أرض الواقع حقيقة. كنّا نتحدّث في جلساتنا الخاصّة ونقول: إنّ سوريا بلد مضطرب للغاية، وليس من الضرورة أن يلتزم الجميع بقرارات بشار الأسد. قد يكون هناك أشخاص خائنون في الحكومة أو الجيش السوريّ قد استخدم السلاح الكيميائيّ ضدّ الناس، وهدفهم الإضرار ببشار الأسد مع أنّ بشار الأسد بنفسه غير مطّلع على ما حدث.

لذلك سافر متخصّصونا مرّات عديدة إلى الأماكن التي استخدم فيها السلاح الكيميائيّ كما زعموا، ليأخذوا عيّنات وليعرفوا حقيقة استخدام هذا السلاح فيها، لنرى بعد ذلك التبعات المطلوبة، بعد المحاولات البحثيّة للمتخصّصين، كانوا يوافقون على استخدام غاز الكلور في تلك المناطق، إلّا أنّهم لم يؤيّدوا استخدامه كسلاح.

والسؤال الذي كان يُطرح: كيف جرت الاستفادة من غاز الكلور؟

اتّضح من بعض الحالات أنّ الإرهابيّين قد سرقوا الكلور من السدود.

وكان يتّضح في حالات أخرى أنّ بعض الدول المجاورة قد نقلت عبوّات تحتوي على غاز الكلور إلى سوريا. وأمّا في الأفلام المنتشرة فكانت مقادير متراكمة من الغاز فقط تُشاهد. وكان هذا العمل يتكرّر مرّة كلّ خمسة أشهر أو ستّة. حتّى الآن لم يؤيّد استخدام السلاح الكيميائيّ في سوريا أيّ من خبرائنا المتخصّصين أو أيّ خبير من الأمم المتّحدة، وكلّ ما تمكنّا من الحصول عليه في هذا الشأن أنّ غاز الكلور دخل سوريا ضمن عبوّات وقد استخدمها الإرهابيّون.

وقد تمكّنت بعض الأجهزة الأمنيّة المحليّة من تتبّع مسير حركة الموادّ الكيميائيّة عن طريق الدول الأوروبيّة وكيفيّة وصولها إلى سوريا، ومن هذا الطريق كانت الأجهزة الأمنيّة تحاول إدخال غاز السارين إلى سوريا[1] .

بداية نهاية داعش في سوريا

كان تحرير مدينة الرقّة عام 1395 (تشرين الثاني 2016)، مركز خلافة داعش الأوّل في سوريا حسب ادّعائهم، من جملة التحوّلات

(1) السارين (sarin) تركيب كيميائيّ فوسفوريّ يقضي على الجهاز العصبيّ وهي مادّة سامّة للغاية ومميتة.

الهامّة التي حصلت. كان مقرّرًا أن تكون هذه المدينة على رغم صغرها نسبةً إلى المدن الأخرى، عاصمة داعش الجديدة في سوريا، ويعتبر تحرير الرقّة الذي ترافق مع ضجيج إعلاميّ كبير، نقطة انعطاف في تحوّلات سوريا. بعد ذلك بدأ تحرير المناطق الأساسيّة والاستراتيجيّة في سوريا وتطهيرها الواحدة بعد الأخرى بواسطة الجيش السوريّ. هنا في هذه المرحلة كان لا بدّ من إيجاد اتّفاق سياسي ليجري تطهير المناطق بأقلّ الخسائر الممكنة. أمّا الطريق الآخر فهو أن يستمرّ الجيش السوريّ بحربه مع الإرهابيّين لإبعادهم، وفي تلك المرحلة شهدنا ابتكارًا مشتركًا بين إيران وتركيا وروسيا هو مباحثات أستانة[1]. كانت تركيا في تلك المرحلة تعيش ظروفًا تشعر من خلالها أنّ سقوط حلب سيؤدّي إلى الإخلال بالأمن داخل تركيا، فغيّرت رؤيتها تجاه سوريا على رغم احتفاظها بمعارضة بشار الأسد، يضاف إلى ذلك ما شهدته تركيا من انقلاب حيث اتّهم أردوغان أمريكا بأنّ لها دورًا في محاولة الانقلاب ضدّ حكومته وفي النتيجة انهار جزء من الثقة بين أمريكا والسيّد أردوغان، فظهر تعارض بين رؤيتيهما تجاه سوريا. في هذه الظروف عقدت لقاءات بين إيران وروسيا وتركيا، كان من أبرز نتائجها الاتّفاق على وجود مناطق منزوعة السلاح[2].

---

(1) أستانة أو نور سلطان، عاصمة كازاخستان، المكان الذي أقيمت فيه لقاءات أستانة.

(2) في هذه المرحلة جرى نقل مسؤوليّة ملفّ سوريا إلى زميلي السيّد حسين جابري الأنصاري، ومن ثمّ إلى السيّد علي أصغر حاجي وعقدت الجلسات المذكورة على مستوى وزراء الخارجيّة حتّى رؤساء الجمهوريّة في موسكو، طهران،=

وهذا يعني الاتّفاق على أن يخرج الإرهابيّون من المناطق التي يتمركزون فيها، وينتقلون إلى مناطق أخرى تحت رعاية منظّمة الأمم المتّحدة ورقابتها.

وأمّا الهدف فكان إعطاؤهم فرصة قبل التدخّل العسكريّ ليختاروا ما بين القتل والخروج، الخروج هو الخيار الأكثر عقلانيّة. من هنا جرى الاتّفاق على جمع الإرهابيّين في إدلب ليجري التفكير بعد ذلك بحلٍّ لهم، وجرى تحديد مناطق خفض التصعيد في سوريا، وكانت إيران وروسيا وتركيا ضامني الاتّفاق.

عندما تسلّم ترامب السلطة في أمريكا بدأ بعض المتطرّفين من حوله الضغط باتّجاه الهجوم على سوريا. كان القيام بعمليّات عسكريّة في سوريا صعبًا على ترامب؛ لأنّه كان قد وعد الشعب في الانتخابات أن لا يلجأ للخيار العسكريّ وأن لا يدخل حربًا أخرى على الإطلاق، وأمّا داعش التي هي صناعة أمريكيّة بدأت بالضعف والاضمحلال في سوريا، جرى تحرير مدينَتي الرقّة وحلب، ومن جهة أخرى أصبحت إيران وروسيا اللاعبتين الأساسيّتين في الأزمة السوريّة ثم أضيفت تركيا إليهما. في هذه الأثناء أراد الأمريكيّون إظهار قوّتهم في ظلّ هذه الأجواء، فأطلقوا عشرات الصواريخ نحو

=وأنقرة على التوالي، جرى الاهتمام فيها بطرق الحلّ السياسيّ بعد تغيير الظروف وسقوط الحلول العسكريّة، انزعج اللواء سليمانيّ من قرار الدكتور ظريف نقلي من مسؤوليّة المعاونيّة العربيّة وأفريقيا في وزارة الخارجيّة وأظهر ردّ فعل شديد، قلت للّواء سليمانيّ: إنّ تغيير المعاونين من جملة حقوق الوزير وأنا سأستمرّ بدوري في أيّ مكان أكون.

سوريا في مدّة لا تتجاوز الدقائق المعدودة تحت مبرّر أنّ الحكومة السوريّة تقمع شعبها أو أنّها تهدّد الأمن والصلح الدوليّين و...حصل الهجوم الجويّ في الخامس والعشرين من فروردين 1397 (14 نيسان 2018م)، ادّعت أمريكا حينها أنّها كانت ردًّ فعل على الهجوم الكيميائيّ الذي حصل في السابع من نيسان في الغوطة الشرقيّة. مارس الأمريكيّون صخبًا إعلاميًّا كبيرًا بخصوص الهجوم العسكريّ، كان ترامب يتصوّر أنّ قصف الصواريخ نحو سوريا قد يمدّ المعارضين والإرهابيّين بالأمل في وقت كانت إيران وروسيا تحقّقان انتصارات كبيرة في سوريا، لعلّهم يتمكّنون بذلك من إعادة القوّة إلى تلك المجموعات الإرهابيّة لتتابع عملها.

بعد أن أطلق الأمريكيّون 59 صاروخًا نحو سوريا، دخلوا المناطق الكرديّة من دون علم الدولة المركزيّة، وبنوا سبع قواعد عسكريّة في أماكن متعدّدة. قدّموا عدّة تبريرات لدخولهم واستقرارهم في سوريا. أوّلًا: أنّهم دخلوا بهدف تحرير مدينة الرقّة. ثانيًا: كانوا يقولون إنّهم دخلوا لحماية القوى الكرديّة مقابل هجمات الجيش السوريّ. منحوا الأكراد الثقة بأنفسهم وطلبوا منهم تشكيل منطقة ذات حكم ذاتيّ بهم.

منذ ذلك الزمان غيّر الأمريكيّون مواقفهم عدّة مرّات في هذا الخصوص.

كانوا يقولون تارة: نحن ندعم الحكم الذاتيّ الكرديّ. وكان هذا الأمر مبعث ترحيب عند الأكراد، بل دفعهم للقيام ببعض الأعمال ثمّ كان الأمريكيّون يعلنون تارة أخرى أنّهم أوقفوا عمل هذه

القواعد العسكريّة وأنّهم يعملون للخروج من سوريا. حيث كان هذا الأمر يؤدّي إلى حالة اضطراب عند الأكراد، فيرسلون من يتوسّط لهم عند الحكومة السوريّة.

ضرورة الدفاع عن الحرم

من أوائل الأعمال التي أراد الإرهابيّون القيام بها في سوريا، إزالة الأماكن المقدّسة الإسلاميّة والشيعيّة في دمشق وسوريا.

لذلك أصبحت الخطّة المقابلة لذلك تحمل اسم «الدفاع عن الحرم» شهدنا حتّى عام 2016 محاولات المجموعات المسلّحة التي احتلّت أطراف دمشق قصف محيط السيّدة زينب عليها السلام بقذائف الهاون. وقد وضع الإرهابيّون خططًا عديدة لتهديم مقامات السيّدة زينب عليها السلام والسيّدة رقيّة عليها السلام والسيّدة سكينة عليها السلام. كما أنّ الأجهزة الأمنيّة الأجنبيّة الداعمة للإرهابيين لم تكن منزعجة من حصول هذا الأمر بالتزامن مع استهداف حرم الامام العسكريّ في العراق ما من شأنه تشديد الاختلافات بين السنّة والشيعة في سوريا، ويزيد من تدهور الأوضاع. في المقابل جرى اتّخاذ تدابير للحفاظ على أمن هذه الأماكن بسرعة وجرى إيجاد مربّعات أمنيّة. جرى التعاون بين الجمهوريّة الإسلاميّة وحزب الله في لبنان بالتنسيق مع الحكومة السوريّة، وعلى هذا النحو، جرى اتّخاذ تدابير دفاعيّة، على رغم الحملات الإرهابيّة التي ألحقت أضرارًا كبيرة بالأماكن المقدّسة، فقد عجزوا عن تحقيق أهدافهم الخبيثة، واستمرّ الإرهابيّون في الوقت عينه بزرع المتفجّرات في أماكن مختلفة من سوريا، فكانوا يزرعون المتفجّرات، ويفجّرون ويخرّبون في كلّ مكان ما استطاعوا

إلى ذلك سبيلًا، حتّى إنّهم فجّروا مقابر عظماء الإسلام والأماكن التاريخيّة[1].

إنّ الدفاع عن حرم أهل البيت عليهم السلام أمر دينيّ اعتقاديّ، لا يميّز بين الإيرانيّ والعراقيّ واللبنانيّ والأفغانيّ والباكستانيّ والبحرانيّ واليمنيّ والهنديّ، اندفع الشباب المتحمّسون من العراق إلى أفغانستان ولبنان ودول الخليج الفارسيّ بعزيمة نحو هذا العمل. كانت دماء هؤلاء الشباب تفور وكانوا يرغبون في القيام بعمل ما. في مرحلة زمانيّة معيّنة كان بعض هؤلاء الأشخاص في سوريا والعراق، قد طلبوا من الحكومات تسهيلات ليتمكّنوا من الدفاع عن الحرم. لذلك جرى إعداد مخطّط في سوريا يُمكّن الأفراد من الحضور بهويّاتهم الشخصيّة والمنظّمة وبالتالي المساعدة في حفظ أمن هذه المناطق. لذلك دخل بعضهم، ثمّ اتّضح بعد ذلك أنّ هؤلاء المدافعين غير قادرين على السكوت واللامبالاة إزاء ما يجري في أماكن أخرى، أو أن يكتفوا بالدفاع عن الحرم.

لذلك كان لا بدّ من حضورهم في أماكن أخرى إلى جانب القوات السوريّة لمساعدتها. ومن هنا أُسِّست ألويتهم العسكريّة. من

---

(1) إن أكثر الفجائع المؤلمة في مجال الآثار الثقافيّة حصلت في منطقة بالميرا التاريخيّة فقد احتلّوا المكان وقاموا بتخريبه. لعلّ من أجمل الأعمال التي قام بها الروس بعد تحرير بالميرا، أنّهم أحضروا فرقة موسيقيّة بعد تحريرها مباشرة ووسط الحرب والدّمار، لتقدّم الفرقة برنامجًا فنيًّا للأسف سقطت الطائرة التي كانت تقل إحدى هذه المجموعات، وقتل أعضاء الفرقة الموسيقيّة كلّهم. أرادوا أن يقولوا للعالم إنّ بالميرا وآثارها التاريخيّة ما زالت حيّة فأرسلوا فرقة أخرى (الراوي).

خصائص هذه القوى أنّها تطوّعيّة وشعبيّة؛ أي إنّها غير منخرطة في الدولة والحكومة، وأمّا الأفراد الذين كانوا ينضمّون إليهم من داخل إيران أو الدول الأخرى فكان بدافع التكليف الشرعيّ. كنت ألتقي أثناء سفري إلى سوريا العديد من عاشقي أهل البيت عليهم السلام هؤلاء الذين جاؤوا من إيران وأفغانستان والعراق، حيث كانوا ينذرون العمل دفاعًا عن الحرم مئة يوم، في سبيل الله وإذا وفّقهم الله تعالى رزقهم الشهادة[1].

المدافعون عن الحرم وعشق أهل البيت عليهم السلام

لا يمكن وصف عشق أهل البيت عليهم السلام الذي يحمله مدافعو الحرم المتطوّعون. في أحد الأيّام كنت برفقة العائلة ننتظر في قاعة مطار طهران قاصدين مشهد، توجّه أب وأمّ ناحيتي وقالا: «ابننا

---

(1) المؤسف أنّ بعض الشائعات كانت تطلق أحيانًا حول هؤلاء الأشخاص، وأنّهم يتقاضون ملايين التومانات لقاء حضورهم، علمًا أنّ الأجواء الذهنيّة والسلوكيّة التي كانت تحكمهم كانت شيئًا آخر. وإذا ما كان المشاركون من الجيش أو الحرس كانوا يدفعون لهم حقوقهم الماليّة العاديّة وهذا الأمر لا ينطبق على المتطوّعين من جهة أخرى كان الأفراد المتطوّعون في دول المنطقة كثيرين إلى درجة عدم الحاجة إلى الترغيب في المال والأمور الماديّة. كنت أشاهد بعض هؤلاء الأشخاص في سفري إلى سوريا في السيّدة زينب(ع) أو في المطار و...، وكنت أشاهد فيهم معنويّات شبابنا طيلة ثماني سنوات الدفاع المقدّس في إيران. قد جاؤوا أداءً للتكليف ولم يكن شيئًا عذبًا لهم بمقدار الشهادة. كنت أشعر بالخجل عندما أراهم يرتدون لباس المجاهدين وأنا أرتدي لباسًا رسميًّا، طبعًا يجب نشر أحوال وروحيّات ومعنويّات هؤلاء الأفراد. عُرضت مقاطع قصيرة من حياة الشهيد حججي وبعض الشهداء الآخرين المدافعين عن الحرم، ولكن وللأسف لم يؤدّ حقّ هؤلاء الشهداء، وسأذكر في القسم الثالث من الكتاب ذكريات عن اللواء سليمانيّ العزيز (الراوي).

يريد الذهاب إلى سوريا للدفاع عن الحرم، ولكنّ جهوده لم تصل إلى نتيجة برغم محاولاته، نرجوك ساعده» قلت لهم: «تقولون مدافع عن الحرم بهذه السهولة، هل تعلمون أنّهم يخطفون الشخص في سوريا ويقتلونه؟..» قالا: «نعلم ذلك، وإذا كنّا أهلًا لذلك وقُتل ابننا، فنحن بأنفسنا جاهزون للذهاب!» وقد أصرّا عليَّ كثيرًا واستمرّا بالحديث معي في ذلك حتّى درج الطائرة، وطلبا إعطاءهما رقم هاتفي. ثمّ أعطوني المعلومات الشخصيّة لابنهم. قلت لهم مازحًا: «سيّدتي، هل أنت أمّ هذا الصبيّ أم زوجة والده؟» قالت: «أقسم بالله إنّني أمّه، ولم أوافق بسهولة على ذلك، إلّا أنّ ابني جاء مرارًا وقبّل يديّ وقبل قدمي والده، حتّى وصلنا نحن إلى نتيجة أنّنا، يجب أن نقوم بأمر لأجله، الله أكبر، نُودِعه الله تعالى...».

تارة يحاول الشخص الذهاب نحو خرمشهر وآبادان للدفاع عن هذا البلد، وتارة أخرى يرغب في الذهاب مسافة آلاف الكيلومترات في الطرف الآخر، ليحارب غريبًا في ظروف عجيبة وغريبة وخطيرة، طبعًا لا يمكن اعتبار هذا التحوّل عند شبابنا مسألة بسيطة.

الهدف الأساس من إيجاد داعش، مواجهة الثورة الإسلاميّة

تمتلك أجهزتنا الأمنيّة وثائق عديدة تبيّن أنّ الهدف الأساسيّ لإيجاد داعش والأزمة الكبيرة في المنطقة هو محور المقاومة وإيران. كان مقرّرًا أن تنتقل الأزمة بالتدريج إلى بلدنا. وهي خطّة واسعة النطاق قد رسمت للمنطقة وبلدنا. وقد دخلت دول المنطقة الأزمة، كلٌّ حسب إدراكه للموضوع.

استمرّت داعش بالتقدّم بعد سقوط الموصل في العراق ووصلت إلى قرب بغداد، وتقدّمت من جهة أخرى إلى مسافة خمسين كيلومترًا من كربلاء، ومن جهة محافظة ديالى تقدّمت إلى قرب الحدود مع إيران. طبعًا وكما أشرنا مسبقًا، اتّخذ المجلس الأعلى للأمن القوميّ قرارًا بأنّنا سنهاجمهم فيما إذا وصلوا إلى مسافة أربعين كيلومترًا من حدود إيران، وقد جرى تنفيذ هذا القرار عندما وصلوا في بعض الأماكن إلى مسافة أربعين كيلومترًا من الحدود الإيرانيّة، استهدفتهم قوّاتنا العسكريّة وشلّت قدرتهم تمامًا في محافظة ديالى العراقيّة. ممّا لا شكّ فيه أنّه لو لم تجرِ مواجهة داعش داخل الأراضي العراقيّة، لكانت دخلت الأراضي الإيرانيّة.

كان بعض الناس في مرحلة لاحقة يعترض، ويقول: لماذا دخلت الجمهوريّة الإسلاميّة العراق لتنفيذ عمليّات عسكريّة؟ الدليل واضح، من جهة الحقوق الدوليّة، العراق فقد الموصل وأصبحت مدينتا بغداد وكربلاء على مشارف الحصار، كما أصبحت بعض المناطق السنيّة بشكل عامّ ثلث العراق، تحت احتلال داعش. في هذه الأجواء كانت الحكومة العراقيّة تعيش أوضاعًا خاصّة تجعلها غير قادرة على توفير الأمن الداخليّ في البلد، فكيف بأمن الحدود؟ في هذه الحال يسمح لنا ميثاق الأمم المتّحدة والحقوق الدوليّة باتّخاذ هذه الإجراءات في إطار الدفاع المشروع.

على كلّ الأحوال كان من الصعب تقديم إجابات لشكوك بعض الدول الأجنبيّة، وبعض مجموعات الداخل، قبل وضوح هذه الأمور واتّضاح أبعاد الخطّة التي تُرسم للمنطقة. لعدّة أسباب لم

يكن من السهل تقديم شرح لعدم قدرتنا التزام السكوت والحياد إزاء تحوّلات سوريا والعراق. لأنّ الأزمة تستهدفنا أيضًا إذا تعرض أمن المنطقة للخطر، من الواضح أنّ أمننا القوميّ سيتعرّض للخطر أيضًا.لم يكن بإمكاننا ترك العدوّ الصهيونيّ غير محاصر خلف جدران فلسطين المحتلّة. لو لم نفعل ذلك، لبلغت وقاحة الصهاينة حدًّا أصبحوا يقولون إنّنا نريد المشاركة في الإجراءات الأمنيّة لمضيق هرمز. إذا لم تذهبوا إلى خلف جدران العدوّ، فهو سيأتي إلى خلف جدرانكم. طبعًا كان فهم هذا الموضوع عند بعض مدّعي التنوّر صعبًا. بعضهم أدرك الخطر عندما شاهدوا الإرهابيّين وداعش ينفّذون عمليّاتهم داخل مجلس الشورى الإسلاميّ وفي قلب طهران، وبعضهم أدرك ذلك أسرع من ذلك بقليل عندما نفّذت داعش عمليّاتها في المترو أو في أماكن أخرى من باريس، بروكسل، موسكو، ولندن، عند ذلك أدركوا أنّ المصيبة كبيرة وعميقة وإذا لم تجرِ مواجهة داعش في سوريا ولبنان، فسنواجه عمليّات داعش الإرهابيّة غدًا في مترو طهران والمدن الأخرى.

خلاصة الأوضاع الميدانيّة في سوريا بعد الأزمة

تغيّرت الأوضاع العامّة في سوريا بعد جهود كبيرة على المستوى السياسيّ والدبلوماسيّ من جهة وعلى المستويين: العسكريّ والميدانيّ من جهة أخرى. دُحِرَ المسلّحون الإرهابيّون بالتدريج وبسطت الحكومة المركزيّة سيطرتها على مختلف مناطق سوريا، ثمّ تغيّرت نظرة الكثير من الدول الأجنبيّة للمسألة. في الوقت الراهن جرت استعادة المناطق كافّة التي احتلّتها داعش وما زالت بعض المناطق المحدودة في محافظة إدلب والمدينة تحت سيطرة بعض

الإرهابيّين، ويمكن القول إنّ 99 في المئة من المشكلة الميدانيّة قد حُلّت في سوريا، وبقيت معضلة الواحد في المئة، وعلى المستوى السياسيّ تتابع إيران وروسيا وتركيا جهودهم لاستمرار المسار السياسيّ. وليس في هذه المعادلة أيّ دور للأمريكي الذي ما زال ينفخ في بوق تقسيم سوريا وإيجاد الأزمة. وبما أنّ الأمريكيّ يحاول إيجاد دور له في مستقبل سوريا، تعتمد سياسته على الإبقاء على بعض القواعد العسكريّة في المنطقة، هذا وكان من المقرّر أن يتخلّصوا من بشار الأسد، ولكنّه لا يزال في السلطة وكان من المقرّر أن يتغيّر النظام السياسيّ وهذا لم يحصل أيضًا، وكانت سبعون في المئة من أراضي سوريا تحت سيطرة الإرهابيّين وقد تمكّنت الحكومة من استعادتها، وقد وصلت الآن الدول العربيّة إلى نتيجة مفادها ضرورة عودة بشار الأسد والدولة السوريّة إلى الجامعة العربيّة حيث يرسلون الرسائل له.

في عام 1398 (2020م) جرت دعوة سوريا للمشاركة في جلسة البرلمانات العربيّة في الأردن وذلك للمرّة الأولى منذ بداية الأزمة. وفي تلك الجلسة جرى الحديث عن ضرورة عودة سوريا إلى الجامعة العربيّة، علمًا أنّ هذه الجامعة هي التي ألغت عضويّة سوريا عام 1389 (2011م) واتّخذت قرارًا في عام 1390 بمنح المقعد السوريّ للمعارضة بدلًا من الحكومة. حاليًا هناك زيارات دبلوماسيّة تقوم بها بلدان كالإمارات العربيّة المتّحدة لسوريا، وقد أعلنوا استعدادهم لفتح سفارتهم في دمشق.

لو كنّا خلال هذه السنوات لامبالين تجاه أحداث سوريا، لكان سقوط النظام السياسيّ فيها محتومًا. ولعلّ من أبرز الإشكالات التي

كانت ستوجّه إلينا عند ذلك، عدم امتلاكنا رؤية استراتيجيّة. لو فرضنا أن حادثة الحادي عشر من أيلول لم تكن مصطنعة، وقال الأمريكيّون بعدها إنّنا سننقل الحرب إلى آلاف الكيلومترات بعيدًا عنّا، إلى العراق وأفغانستان. كان بإمكان الأمريكيّين أن يتساءلوا لماذا ننقل جنودنا آلاف الكيلومترات إلى الجهة المقابلة؟ فلنبق وندافع عن حدودنا ولكن الشخص صاحب النظرة الاستراتيجيّة للمسائل يفكّر بشكل استراتيجيّ، ويعمل على أساس ذلك.

ماذا كان سيحصل، لو قلنا لا علاقة لنا بسوريا والعراق؟ ونحن نمتلك حدودًا مع العراق تبلغ 1400 كيلومتر. لو أنّنا اتّبعنا سياسة عدم الاكتراث تجاه ما يحصل في العراق لكانت النتيجة استقرار داعش على حدودنا.

لم يكن اعتقال العديد من المجموعات الإرهابيّة لداعش على أيدي وزارة الأمن أو الحرس داخل إيران لأننا تعرّفنا إليهم عندما دخلوا الحدود. كانت هناك مراقبة لاتّصالاتهم بدءًا من الموصل في العراق أو بدءًا من حلب في سوريا. وكنّا نراقبهم من هناك. وعندما دخلوا حدود بلدنا اعتقلتهم القوى الأمنيّة أحياءً. وهذا يعني أنّنا كنّا نقوم بعمل أمنيّ على مستوى عالٍ. العراق وسوريا أصدقاؤنا ولكنّ الأمن القوميّ في كلّ بلد أهمّ لديه من الأمن القوميّ للآخرين[1].

---

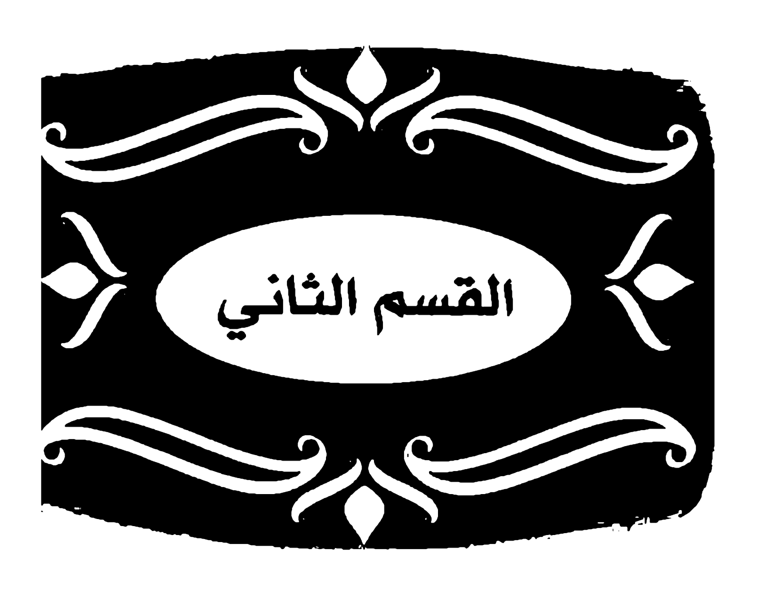
(1) النموذج المشابه هو المجموعات المعادية للثورة التي كانت منذ بداية الثورة وحتّى اليوم في كردستان العراق. الأكراد أصدقاؤنا وقادة الأكراد تربطهم علاقة قريبة بنا. إلّا أنّ المجموعات المعادية للثورة ما زالت ترسل فرقها إلى إيران لتوجيه الضربات رغم الاتّفاقات الموجودة وعلى الرغم من التعاطي الشديد معهم (الراوي).

وعندما نرصدهم داخل سوريا والعراق، نكون قد خطونا خطوات كبيرة في الأمن القوميّ لبلدنا.

عندما يتحدّث السوريّون معنا اليوم يستعملون عبارات لا تستخدم في إيران.

يقولون صحيح أنّنا كنّا إلى جانب إيران في حرب السنوات الثماني التي شنّها صدّام، ولم نكن إلى جانب أعداء إيران على الإطلاق، إلّا أنّ البلد الذي حضر بكلّ كيانه إلى جانبنا في الحرب الإرهابيّة الكونيّة ضدّ سوريا هو إيران. يقولون إنّ الدم الإيرانيّ والسوريّ سقط على الأرض السوريّة والتاريخ لن ينسى هذا الأمر مطلقًا.

في الختام يجب أن أعلن وبصوت عالٍ أنّ استراتيجيّة الحفاظ على أعلى مستويات الأمن القوميّ لبلدنا، وحضور المستشارين في العراق وسوريا والمنطقة وأنّنا ندين بذلك كلّه للتدبير الحكيم للإمام القائد، ودماء الشهيد اللواء سليمانيّ الطاهرة؛ لأنّ نظرة الحكومات في الجمهوريّة الإسلاميّة إلى مسألة سوريا كان يعتريها الكثير من التذبذبات.


القسم الثاني

ملاحظات على الجهود الدبلوماسيّة والأسفار ذات العلاقة بتحوّلات المنطقة

جرى اختيار مطالب هذا القسم من بين الكتابات والملاحظات اليوميّة، وقد أُضيفت إلى هذه المجموعة بهدف توضيح أوضاع الأزمة في سوريا والمزيد من الإضاءة عليها.

سفر كوفي عنان، ممثّل الأمين العام للأمم المتّحدة في ملف سوريا إلى طهران 19 تيرماه 1391 (2012/7/9م)

استقبلت كوفي عنان في مطار مهرآباد في طهران. التقى الدكتور عليّ أكبر صالحي، وزير الخارجيّة، والدكتور سعيد جليلي، ممثّل الإمام القائد والأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القوميّ، وكان الحوار حول تحوّلات سوريا.

قبل يوم من سفره إلى طهران التقى كوفي عنان بشار الأسد رئيس الجمهوريّة العربيّة السوريّة في دمشق. وقد وصف في لقاء صحفيّ محادثاته مع بشار الأسد على أنّها بّناءة وحميميّة. أمّا هدف سفر الممثّل الخاص للأمم المتّحدة في أمور سوريا إلى سوريا وإيران، فهو القيام بجولة مباحثات وتقديم تقرير لدمشق وطهران عن جلسة جنيف التي عقدت حول سوريا.

وكان لقاء جنيف قد عقد قبل أسبوع بحضور الدول الخمس الدائمة العضويّة في مجلس الأمن، تركيا، الكويت، العراق، قطر، الأمين العامّ لجامعة الدول العربيّة والأمين العامّ لمنظّمة الأمم المتّحدة ومسؤول السياسة الخارجيّة في الاتّحاد الأوروبّي بهدف البحث عن طريق حلّ سياسيّ للأزمة في سوريا.

كان كوفي عنان قد زار طهران في الثاني والعشرين من فروردين عام 1391 (2012/4/10م)، والتقى المسؤولين في حكومتنا ومن جملتهم رئيس الجمهوريّة الدكتور أحمدي نجاد وجرى النقاش في تحوّلات المنطقة. كان كوفي عنان أكثر أمناء منظّمة الأمم المتّحدة استقلالًا؛ لذلك أخبرني في رحلته الأخيرة إلى طهران أنّه سيقدّم استقالته بسبب الضغوط التي تمارسها أمريكا، وفعلًا قدّم استقالته بعد مدّة (الصور في الملحق).

اللقاء الاستشاريّ الأوّل لأصدقاء سوريا في طهران 12 مرداد 1391 الموافق لـ 13 رمضان (2012/8/2م)

عقد اللقاء الأول في فندق آزادي في طهران، وكان الافتتاح بكلمة الأمين العامّ للأمم المتّحدة بان كي مون وحضور وفود دبلوماسيّة من 28 بلدًا من جملتهم وزراء خارجيّة العراق، زيمبابوي، عمان وباكستان وبرئاسة الدكتور صالحي. من جملة الاقتراحات التي توصّل إليها اللقاء تشكيل لجنة اتصال وإقامة وقف لإطلاق النار مدّة ثلاثة أشهر بمناسبة عيد الفطر.

عقد اللقاء تحت شعار «رفض العنف ـ الحوار الوطنيّ» وانتهى بإصدار بيان ومؤتمر صحافي للدكتور صالحي ولقاء المشاركين رئيس جمهوريّة إيران الدكتور أحمدي نجاد.

وحضرت بعض الدول على مستوى الوفود الدبلوماسيّة ومن أبرزها: إندونيسيا، أفغانستان، روسيا، الصين، جورجيا، الجزائر، كوبا، عمان، الهند، الأردن، الأكوادور، السودان، تاجيكستان، قزاقستان، تونس، بيلاروسيا، موريتانيا وفنزويلا. وقد عقد اللقاء في ظروف كانت أمريكا تجمع فيه 91 بلدًا بعنوان «أصدقاء سوريا، وشعارهم إسقاط بشار الأسد، لذلك كان عقد لقاء طهران صعبًا، ومع ذلك شاء الله أن يُعقد.

وقد أشار الدكتور صالحي في المؤتمر الصحفيّ إلى استعداد إيران لاستضافة اللقاء الوطني بين الحكومة السوريّة والمعارضين، وقال: «اتصلنا بالحكومة السوريّة، وقد عيّنت الوزير المختصّ بهذه الأمور السيّد علي حيدر، وهو على علاقة بالمعارضة، وقد دعوناه إلى إيران وسيحضر قريبًا».

إنّ اللقاء التشاوريّ في طهران الذي حضرته بعض الدول المجاورة لسوريا، والذي شدّد على تشكيل لجنة اتّصال من هذه الدول، هو اللقاء الثالث حول الأزمة السوريّة على المستوى الدوليّ.

قرأ ممثّل منظّمة الأمم المتّحدة رسالة الأمين العامّ بان كي مون في لقاء طهران التشاوريّ. وقد جاء في الرسالة أنّ الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة قد أكّدت في لقاء سابق أهميّة التقدّم السريع للانتقال السياسيّ المؤثّر وتشجيع مختلف الدول على الدعم الفعّال في هذا الشأن، كما نشجّع الحكومة السوريّة على الانضمام لهذه العمليّة؛ إلّا أنّ الحكومة السوريّة أظهرت بعض الصعوبة في إجراء هذا المخطّط.

تحمّل الشعب السوريّ آلامًا كثيرة، والاستمرار بعسكرة الوضع يجعله أكثر صعوبة.

لذلك على الجميع العمل بمسؤوليّاتهم المشتركة في هذا الشأن (الصور في الملحق).

لقاء الحكومة والمعارضة السوريّة في طهران - 28 آبان 1391 (18/11/2012م)

في ختام لقاء الحكومة السوريّة والمعارضة في فندق استقلال في طهران الذي عقد تحت عنوان «الحوار الوطنيّ السوريّ» وافق المجتمعون على تشكيل لجنة لمتابعة الحوار الوطنيّ. وأمّا وظيفة هذه اللجنة فهي إعداد مقدّمات الجلسة اللاحقة من الحوار، والتي ستعقد في العاصمة السوريّة دمشق. وقد تقرّر أن تتألّف اللجنة مبدئيًّا ما بين 16 عضوًا و25 عضوًا وأن تبادر الأحزاب، والمعارضة، والحركات السياسيّة المشاركة في لقاء طهران، لتقديم ممثّليها بسرعة ليكتمل تشكيل اللجنة بشكل نهائيّ.

تحدّث وزير الخارجيّة الدكتور صالحي في النهاية شاكرًا الأطراف السوريّة كافّة على مشاركتها في هذا اللقاء وبارك للمشاركين تشكيل لجنة الحوار بما من شأنه الاستمرار بالحوار بين السوريّين، وأدان الدكتور صالحي استمرار الجرائم الصهيونيّة ضدّ قطاع غزّة. وأكّد ضرورة العمل الفوريّ للمجاميع الدوليّة خصوصًا منظّمة الأمم المتّحدة والدول الإسلاميّة في الدفاع عن الشعب الفلسطينيّ المحاصر والمقاومة في غزّة.

بعد جلسة افتتاح لقاء الحوار الوطنيّ السوريّ في طهران،

استمرّت أعمال الملتقى خلف الأبواب المغلقة، وشارك فيه إضافةً إلى المعارضين ستّون شخصًا من المشاركين الذين يمثّلون قادة أربعين حزبًا وحركة سياسيّة وممثّليهم بالإضافة إلى ممثّلي العشائر والشخصيّات السوريّة المستقلّة، وكان تبادل وجهات النظر فيما بينهم شفافًا وصريحًا. كما شارك في الملتقى 170 شخصًا من المعارضين السوريّين من الداخل والخارج أصحاب القاعدة الشعبيّة.

وحضر الملتقى نيابة عن الحكومة السوريّة قدري جميل، معاون رئيس الحكومة، والوزير علي حيدر وزير المصالحة الوطنيّة، وكانت هذه هي المرّة الأولى التي يلتقي فيها ممثّلو الحكومة والمعارضة في حوار جامع بل يمكن القول إنّ هذه الخاصيّة هي ما يميّز لقاء طهران عن اللقاءات الأخرى التي حصلت في هذا الإطار.

قرأت في جلسة افتتاح الملتقى الذي استمر يومين، رسالة سيرغي لافروف وزير الخارجيّة الروسيّة، وكذلك رسالة دولة الصين بواسطة سفيري هاتين الدولتين في طهران (الصور في الملحق).

وتحدّث وزير الخارجيّة الإيرانيّ فاعتبر أنّ «المشاركين في ملتقى الحوار الوطنيّ السوريّ يمثلون مختلف الأطياف السياسيّة، وقد حضرت الأقليّات الدينيّة والسياسيّة، المثقّفون والنّخب، وأطياف سياسيّة متعدّدة» وأضاف: «أغلب المشاركين في لقاء طهران من معارضي الحكومة ويشكّلون أطيافًا من معارضي هذا البلد. إنّ لقاء المعارضة وحكومة بشار الأسد هو ابتكار جديد للجمهوريّة الإسلاميّة؛ علمًا أنّ هناك العديد من اللقاءات التي عقدت حول

سوريا، والتي لم تصل إلى نتيجة. قدّمت الجمهوريّة الإسلاميّة مقترحات ديمقراطيّة ليتمكّن شعب هذا البلد من تقرير مصيره عن طريق الانتخابات، ولتبادر الحكومة إلى تلبية متطلبات الناس».

وأشار الدكتور صالحي إلى أنّ من جملة مطالب الشعب السوريّ، حقّ انتخاب رئيس الجمهوريّة، حريّة المطبوعات والأحزاب وقال: «أعلنت الحكومة السوريّة عن استعدادها للاستجابة لمطالب الناس، وأنّ إقامة ملتقيات كملتقى الحوار الوطنيّ في طهران يمكن أن يكون مسهّلًا للحوار بين الحكومة السوريّة والمعارضين». وأكّد على أنّ المخرج للأزمة السوريّة يجب أن يكون سوريًّا ـ سوريًّا وبشكل سلميّ لا باقتراح من الخارج وأضاف: «العدد الأكبر من المعارضين هم من الذين يعيشون في الخارج، ولم يحضروا إلى سوريا منذ عشرات السنين وبالتالي هم لا يمتلكون معرفة صحيحة بآلام الشعب السوريّ، إلّا أنّ المشاركين في ملتقى الحوار الوطنيّ في طهران قد حضروا من داخل سوريا» (الصور في الملحق).

لقاء المعارضين السوريّين 14 آذر 1391 (2012/12/4م)

في متابعة حوارات الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة مع مختلف المجموعات السوريّة التقيت في طهران «هيثم مناع» و«رجاء الناصر»، أمين سرّ هيئة التنسيق الوطنيّة السوريّة بهدف القيام بجولة استشارات حول كيفيّة الحلّ السياسيّ للأزمة في هذا البلد، وضحت الرؤية الأصيلة [المبدئيّة] للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران حول الأزمة السوريّة، ومن جملتها التواصل مع جميع الأطراف

المعتقدة بالحلّ السياسيّ في سوريا، وقلت: «الحكومة السوريّة موافقة على الحوار على أساس الحلّ السياسيّ».

وقد شكر نائب رئيس هيئة التنسيق السوريّة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة على المساعدات الإنسانيّة التي قدّمتها للشعب السوريّ وعلى جهودها في إيجاد حلّ سياسيّ للأزمة وقال: «نعتبر إيران شريكًا استراتيجيًّا لأهدافنا المبدئيّة في المنطقة ونرغب في أن نستفيد من قدراتها لنجاح العمليّة السياسيّة لحلّ الأزمة» (الصور في الملحق).

المؤتمر الدوليّ للمانحين بدعوة من أمير الكويت ـ 11 بهمن 1391 (2013/1/30م)

شاركت على رأس وفد في مؤتمر الكويت، شكرت في كلمتي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح على استضافة المؤتمر الدوليّ للمانحين لسوريا، وأكّدت أنّ طهران تدعم الجهود الدوليّة للتخفيف من مشكلات الشعب السوريّ.

عقد هذا المؤتمر الدوليّ في الكويت بحضور 72 بلدًا ومنظّمة الأمم المتّحدة. وتحدّثت في مؤتمر صحفيّ عن دعم طهران للشعب السوريّ والخطط التي اقترحها بشار الأسد لإنهاء الأزمة في هذا البلد وقلت إنّ حكومة إيران على ارتباط مستمر بالحكومة السوريّة والمجموعات المعارضة المؤمنة بالحلّ السياسيّ.

أكّدت أنّ الحوار الوطنيّ والتفاهم السياسيّ هما الحلّ الوحيد لحل الأزمة السوريّة، وأوضحت أنّ إيران استضافت مؤتمر الحوار

الوطنيّ الأوّل بين الحكومة السوريّة والمعارضة في طهران، وقدّمت مخطّطًا من أربع نقاط لإنهاء الأزمة، كما أنّنا ندعم جهود الأخضر الإبراهيمي الممثّل المشترك للأمم المتّحدة والجامعة العربيّة في أمور سوريا، من أجل حلّ الأزمة.

وتحدّثت بعد توجيه إيران الشكر على الجهود المبذولة في هذا المؤتمر وللدول التي قّدمت مساعدات للشعب السوريّ وقلت: إنّ إيران قدّمت مساعدات إنسانيّة للشعب السوريّ في الداخل والخارج بقيمة 200 مليون دولار إضافةً إلى جهودها في إعادة بناء محطّات الكهرباء والمستشفيات المتضرّرة وأنّ الجمهوريّة الإسلاميّة سترسل مساعداتها الضروريّة للمهاجرين السوريّين على الحدود بين الأردن وسوريا.

وبما أنّ المؤتمر يعقد في الكويت ويحضره الدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجيّ كافّة، تحدّثت عن العلاقات بين طهران وهذه الدول وقلت: «العلاقات مبتنية على أساس الحوار، الصداقة، التعايش السلميّ والأخويّ وحوارنا وعلاقاتنا مستمرّة مع جميع الدول العربيّة ولن تتوقّف» (الصور في الملحق)[1].

---

(1) استفدت في جميع مراحل تحوّلات المنطقة من تجارب وإرشادات المرحوم حسين شيخ الإسلام، مستشار رئيس مجلس الشورى الإسلاميّ آنذاك والذي كان قد شغل مناصب عديدة طيلة سنوات متوالية من أبرزها: المدير العامّ الدوليّ، سفير إيران السابق في سوريا، المستشار السياسيّ، المعاون في الشؤون العربيّة والأفريقيّة وقائم مقام وزارة الخارجيّة. ولم يهدأ شيخ الإسلام في متابعة تحوّلات المنطقة. الرحمة لروحه (الراوي).



لقاء رئيس المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ ووزير خارجيّة الأردن ـ 8 بهمن 1391 (2013/1/27م)

سافرت يومًا واحدًا إلى الأردن والتقيت «سليم الزعنون»، رئيس المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ، و«طاهر المصريّ» رئيس مجلس الأعيان الأردنيّ. كما التقيت السيّد «ناصر جوده»، وزير الخارجيّة الأردنيّ وأحد معاونيه، حيث كانت جولة حوار مفصّل حول تحوّلات المنطقة. كما التقيت «أبا مازن» رئيس السلطة الفلسطينيّة. ثمّ شاركت في مؤتمر صحفيّ بحضور الصحف ووكالات الأنباء الرسميّة والتلفزيون الأردنيّ، عُقد هذا اللقاء الصحفيّ في مبنى السفارة الإيرانيّة.

وقد التقيت في فترة بعد الظهر «الأمير الحسن بن طلال»، عمّ الملك عبد الله، الذي كان قد شارك في مؤتمر قمّة عدم الانحياز في طهران، وهو من الشخصيّات العربيّة البارزة. وكان يرافقني في زيارتي السيّد «مجتبى فردوسي بور»، رئيس دائرة الشرق الأوسط السياسيّة في وزارة الخارجيّة وهو من الخبراء والدبلوماسيّين الضليعين فيما يتعلّق بفلسطين والشرق الأوسط إضافةً إلى سفيرنا الدكتور «مصطفى مصلح زاده». ناصر سامي جودة، وزير الخارجيّة الأردنيّ، شخص صاحب نكتة.

عمل ناصر جودة منذ عام 2007 وزيرًا للإعلام ومن عام 2009 إلى عام 2017 وزيرًا للخارجيّة وكان في عام 1994 مديرًا للتلفزيون الأردنيّ. وقد ألّف الأردنيّون قصصًا حوله بسبب المدّة الطويلة التي قضاها في الإدارة والوزارة. قال في إحدى جلساتي

معه: «كنت سنوات طويلة وزيرًا. في إحدى الليالي كان زوجان شابّان يتحادثان في حديقة عمّان (عاصمة الأردن) نظرت إلى القمر وسألت زوجها: هل تحبّني بمقدار المسافة بين الأرض والقمر؟ أجاب قائلًا: أكثر من ذلك. قالت المرأة: أيّ مقدار؟ قال الزوج: بمقدار استمرار ناصر جودة في وزارة الخارجيّة الأردنيّة».

السيّد ناصر جودة كان زوج الأميرة سميّة بنت الحسين، أخت الملك عبد الله الثاني وقد انفصل عنها في عام 2007 (الصور في الملحق).

زيارة الجزائر ـ السبت 26 اسفند 1391 (2013/3/16م)

سافرت إلى الجزائر بهدف متابعة النقاشات مع دول الجوار والدول الغربيّة. وكان الدكتور صالحي يشدّد باستمرار على أهميّة الحوار والمتابعة الجديّة.

التقيت «مراد مدلسي» وزير خارجيّة الجزائر وتبادلنا وجهات النظر حول تحوّلات المنطقة خصوصًا أوضاع فلسطين، سوريا، البحرين والبرنامج النوويّ الإيرانيّ. اعتبرت أنّ مواقف بوتفليقة رئيس جمهوريّة الجزائر حول تحوّلات فلسطين وسوريا، مواقف عاقلة في العالم العربيّ وأثنيت على الفهم الصحيح للمسؤولين الجزائريين فيما يتعلّق بأهداف أعداء محور المقاومة في استهدافهم لسوريا.

تحدث مراد مدلسي وزير خارجيّة الجزائر داعمًا حقّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وسائر الدول في امتلاك التكنولوجيا النوويّة السلميّة، وأثنى على المحادثات الأخيرة بين طهران و1+5 وأعلن

استعداد الجزائر لاستضافة الحوار في هذا الشأن وأبدى رضاه عن التقدّم الحاصل في محادثات آلمآتي النوويّة.

حضر المحادثات إلى جانبي الدكتور محمود محمدي، سفير بلدنا في الجزائر، والسيّد موسى فرهنك رئيس الدائرة السياسيّة لشمال أفريقيا في وزارة الخارجيّة، وقد التقيت أيضًا السيّد راشد الغنوشي رئيس جبهة النهضة في تونس (الصور في الملحق).

زيارات واستشارات متكرّرة مع الإمارات - فروردين 1392 (نيسان 2013م)

زرت الإمارات في رحلة إلى المنطقة شملت عُمان، الكويت وقطر والتقيت أنور قرقاش، وزير الشؤون الخارجيّة الإماراتيّ، وكانت جولة نقاش حول التعاون الثنائيّ بين الجانبين وتحوّلات المنطقة. وكنت أتحدّث مع أنور قرقاش مرّة كلّ أربعين يومًا تقريبًا.

أكّدت في اللقاء الذي عقد بتاريخ 1393/1/13 (2014/4/2م) اقتراب موعد انعقاد اللجنة المشتركة العالية بين إيران والإمارات، واعتبرت أنّ إقامة هذا اللقاء مؤثّر على مستوى حركة التعاون الثنائيّ المتزايدة بين الطرفين كما أكّدت استعداد أجهزة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة ومؤسّساتها ذات العلاقة للمشاركة الفاعلة في هذه اللجنة.

كما أشرت إلى النشاطات المتزايدة للمجموعات الإرهابيّة، والترويج للتطرّف والطائفيّة في المنطقة وأكّدت رؤية الحكومة الجديدة للجمهوريّة الإسلاميّة أي التعاون الجمعيّ، التشاور

والحوار مع دول الجوار، وما إلى ذلك من تأثير في مواجهة هذا النوع من التهديدات.

وصفت الوضع الحاليّ في سوريا بالخطير لدول المنطقة، وأضفت أنه لا يمكن حلّ الأزمة وإنهاء آلام الشعب السوريّ وعذاباته من دون التوقّف عن إرسال السلاح والإرهابيّين إلى سوريا.

رحّب بنا أنور قرقاش، وزير الدولة للشؤون الخارجيّة للإمارات[1]، واعتبر أنّ عمليّة التعاون الثنائيّ إيجابيّة وتتّجه نحو المزيد من النموّ وأكّد استعداد الإمارات للإعداد لمقدّمات عقد اللجنة المشتركة العالية في أبو ظبي، وأضاف أنّ العلاقات بين البلدين تحرّكت بشكل متصاعد خلال السنوات الماضية، وأنّ مسؤولي الإمارات يعتبرون تقوية وتدعيم العلاقات مع الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وتمتينها يصبّون في إطار منافع شعوب المنطقة ودولها. واعتبر أنّ انتشار التطرّف، والعنف، والطائفيّة مضرّ لجميع دول المنطقة وأنّ اللقاء والاستشارات بين مسؤولي المنطقة هو الطريق الوحيد لمواجهة التهديدات. وتحدّث عن تحوّلات سوريا، فاعتبر أنّ الحلّ العسكريّ غير مجدٍ في سوريا، والطريق الوحيد للخروج من الأزمة الحاليّة هو طريق الحلّ السياسيّ بمشاركة المجموعات والأحزاب جميعًا. يجري الحديث عادة في لقاءات كهذه حول تحوّلات مصر، البحرين، اليمن، العراق، المحادثات النوويّة، والعلاقة مع المملكة العربيّة السعوديّة.

---

(1) في سجلّه أنّه أستاذ جامعيّ، ووزير الخارجيّة الحالي، وأستاذ الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان.

يحضر اللقاءات عادة الدكتور «محمد رضا فياض» سفيرنا في الإمارات، وهو شخص نشيط وفاعل في العلاقات، السيّد «سيف الزعابي» سفير الإمارات في طهران وهو شخص إيجابيّ، حسن التعاطي والسيّد «أحمد عبد الرحمن الجرمن» معاون الأمور السياسيّة في وزارة الخارجيّة الإماراتيّة (الصور في الملحق).

اللقاء الدبلوماسيّ الثاني لأصدقاء سوريا في طهران 12 خرداد 1392 (2013/6/2م)

بمبادرة من طهران عقد اللقاء الثاني لـ «أصدقاء سوريا» في فندق آزادي في طهران وقد دعي إليه وزراء الخارجيّة والمؤسّسات الدوليّة بهدف المساعدة في حلّ الأزمة السياسيّة في هذا البلد.

شارك عدد من الوزراء والممثّلين والمتخصّصين من أربعين بلدًا في هذا اللقاء. وحضر وزراء خارجيّة باكستان، عمان، العراق، الجزائر، سفراء روسيا والصين في طهران، وممثّلين عن نيكاراغوا، وفنزويلا، وأوغندا ومنظّمة الأمم المتّحدة ومنظّمة التعاون الإسلاميّ[1].

تأسّف المشاركون في هذا اللقاء لاستمرار الاشتباكات والحركات الإرهابيّة في سوريا، أشكال الإرهاب الجديدة في بعض الدول، ومن جملتها مالي، نيجيريا، أفريقيا الوسطى، العراق

(1) عقد اللقاء برئاسة الدكتور صالحي وكان هناك حضور فاعل للمعاونين في القسم السياسيّ والدوليّ في وزارة الخارجيّة وأجهزة النظام ذات العلاقة كافّة. وكان للسادة إسحاق آل حبيب، حميد فردوس بور، موسى فرهنك، و...وهم من دبلوماسيّي وزارة الخارجيّة، دور مؤثر في إقامة اللقاء.

وأفغانستان وأدان الحاضرون انتشار هذه الظاهرة المشؤومة ونموّها في سوريا بما تحمل من تبعات محليّة وعالميّة وهي ظاهرة مدعومة من بعض الدول، وأكّدوا اهتمامهم البالغ الهادف لتخفيف الآلام عن الشعب السوريّ وإحقاق حقوقهم الأساسيّة[1].

المشاركة في جلسة وزراء خارجيّة منظّمة التعاون الإسلاميّ (OIC) 22 آذر 1392 (2013/12/13م)

تقرر أن أشارك في جلسة وزراء خارجيّة منظّمة التعاون الإسلاميّ (OIC) نظرًا لوجود الدكتور ظريف والدكتور عرقجي في المحادثات النوويّة.

وبما أنّ اللقاء عقد بهدف نقل مقعد سوريا للمعارضة، لذلك شاركت بوفد قويّ مؤلّف من المساعدين في القسم السياسيّ والدوليّ في وزارة الخارجيّة، وسفراء إيران الثلاثة السابقين في الـ (OIC) السادة الدكتور صباح زنكته، بروجردي، ودهقاني بوده، وسافرنا إلى كونكري حيث كان للسادة المذكورين حضورٌ مؤثّرٌ، وكان من نتائج الجهود التي بذلها الفريق الدبلوماسيّ للجمهوريّة الإسلاميّة، إخراج موضوع نقل المقعد السوريّ للمعارضة من جدول أعمال جلسة منظّمة التعاون الإسلاميّ.حيث كان يتعارض

(1) كما عقد اللقاء البرلمانيّ الأوّل في شهر اسفند من عام 1392 (آذار 2014) في طهران بحضور رؤساء لجان الأمن القوميّ والسياسة الخارجيّة في المجالس وكذلك سفراء سبع دول بهدف دعم سوريا. كما عقد اللقاء الثاني في شهر خرداد عام 1393 (حزيران 2014م) وحضره رؤساء لجان الأمن القوميّ في أكثر من 31 بلدًا. وكان للسيد علاء الدين بروجردي دور محوري ومؤثّر في إقامة هذا اللقاء.

في الأساس مع مواثيق المنظّمة وقد قدّم السيّد صفائي رئيس دائرة الخارجيّة ذو المهامّ المتعدّدة إضافة إلى مجموعة من الخبراء مساعدة هامّة على مستوى تنظيم الوثائق. شدّدت الدول المشاركة جميعًا على التزام طريق الحلّ السياسيّ وتوقف العنف والإرهاب في سوريا (الصور في الملحق).

من جملة المحاور التي حازت اهتمام المشاركين، المحادثات النوويّة بين إيران والدول الستّ وتثبيت الإنجازات العمليّة والسياسيّة لبلدنا، حتّى إنّ بعض الدول كانت ترغب في استضافة ما تبقّى من المحادثات النوويّة. كما جرى إدراج موضوع استضافة جلسة (OIC) لعام 2016 في طهران على جدول أعمال اللقاء اللاحق.

أدرج اقتراح طهران المعنون بـ wave (عالم خالٍ من العنف والتطرّف) والذي قدّمه الدكتور روحاني في منظّمة الأمم المتّحدة، على جدول أعمال جلسة اللجنة الخاصّة لوزراء الخارجيّة.

أدّى «إياد المدني» وزير الإعلام والحجّ السابق في السعوديّة القسم أمينًا عامًّا جديدًا للمنظّمة. أصبح أمينًا عامًّا جديدًا بدلًا عن إحسان أوغلو منذ بداية كانون الثاني في العام الميلاديّ الجديد. التقيت الأمين العامّ السابق والحالي بشكل مستقلّ. طبعًا الأمين العامّ السابق السيّد «أكمل الدين إحسان أوغلو» كان تركيًّا.

تهنئة الشعب الفلسطينيّ

هنّأت الشعب الفلسطينيّ في الكلمة التي ألقيتها في الجلسة الأربعين لوزراء خارجيّة الدول الأعضاء في منظّمة التعاون

الإسلاميّ، المنعقدة في كوناكري بمناسبة نجاح الجهود الفلسطينيّة الأخيرة في الحصول على مقعد في المجمع العموميّ لمنظّمة الأمم المتّحدة، إضافةً إلى الخطوات العمليّة في هذا الإطار وأضفت: «نعتقد أنّ هذا النجاح هو خطوة أساسيّة باتّجاه حصول الشعب الفلسطينيّ على حقوقه كاملة على جميع الأراضي والحدود التاريخيّة. نحن جميعنا ندرك أهميّة هذا الموضوع؛ فمنظّمة التعاون الإسلاميّ وجدت للمساعدة في موضوع فلسطين والشعب الفلسطينيّ للوصول إلى حقوقه البديهيّة والتغلّب على المحتلّين. إنّ مأساة فلسطين واستمرار احتلال هذه الأرض، والآلام والعذابات التي يعانيها الشعب الفلسطينيّ، كلّ ذلك من جملة المسائل التي أوجدت الغضب في قلب الشرق الأوسط، واليأس عند آلاف المسلمين على مستوى العالم».

وجّهت الانتقاد لسياسات العدوّ الصهيونيّ العنصريّة وأساليبه غير الإنسانيّة التي أدّت إلى تهجير الفلسطينيّين ولجوئهم إلى لبنان والأردن وسوريا وإلى نقاط أخرى في العالم وقلت: «الفلسطينيّون سيعودون في النهاية إلى بلدهم وسيرسمون مستقبلهم في أجواء ديمقراطيّة سلميّة، وستتشكّل دولة فلسطين التاريخيّة وعاصمتها القدس الشريف».

كان الموضوع الأساس للقاء فلسطين، وقد أوضحت وجهة نظر الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران تجاه تحوّلات المنطقة وسوريا.

كان أحد أبناء الملك السعوديّ يجلس في المقعد الخلفيّ وكان يشغل منصب معاون وزير الخارجيّة حيث جرى تبادل التحيّة بيننا، ولكنّه لم يكن مخوّلًا بالحوار معي.

زيارة تركيا ـ 20 اسفند 1392 (2014/3/11م)

نظرًا لوجود اختلاف في وجهات النظر بين طهران وأنقرة حول سوريا؛ ولأنّ البلدين تربطهما علاقات مميّزة، فقد كان التشاور بين البلدين حول أوضاع المنطقة يجري بشكل منظّم. فيما يتعلّق بسوريا كنت أتحدّث عادة مع «سينيرلي أوغلو» نظيري التركيّ وقائم مقام وزير الخارجيّة. وكان مسؤولًا عن المحادثات بين أنقرة وتل أبيب ثمّ أصبح سفيرًا لبلاده في نيويورك. في اللقاء مع قائم مقام وزير الخارجيّة في أنقرة جرى تبادل وجهات النظر، والتشاور حول تحوّلات المنطقة، ومن جملة ذلك، مختلف أبعاد المسألة السوريّة، وسبل التعاون بين البلدين لمساعدة الشعب السوريّ للخروج من الأزمة، وعودة الاستقرار والأمن إلى هذا البلد، شدّدنا على التعاون بين دول المنطقة في هذا الشأن، وبعد الأخذ بعين الاعتبار النفوذ والتأثير المتبادل لتحوّلات الشرق الأوسط في المنطقة، كانت وجهات النظر متطابقة حول طريق الحلّ السياسيّ، والتعاون بين البلدين لمساعدة الشعب السوريّ.

شرحت في اللقاء آخر التحوّلات في المنطقة وسوريا وقلت: «تشدّد إيران على موضوعات ثلاثة: مساعدة المتضرّرين السوريّين جرّاء الحرب، محاربة الإرهاب والتطرّف، والعمل لأجل الحلّ السياسيّ للأزمة في هذا البلد».

وذكرت أنّنا في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن الحلّ السياسيّ للأزمة في سوريا نجد بعض الدول التي ما زالت تتحدّث عن إرسال السلاح والقوّات، حتّى الهجوم العسكريّ على سوريا.

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه السياسات تؤدّي إلى زيادة العنف، والتطرّف، والإرهاب وإلى ارتكاب مجازر بشعة بحقّ الشعب السوريّ المظلوم، وتهديم البنية التحتيّة الاقتصاديّة لسوريا، وأنّ الدولَ التي تنشط في دفع الأزمة للمزيد من الخشونة يجب أن تتحمّل عواقبها. وكنت أقصد بذلك تركيا، التي كانت تدافع عن سياسة إسقاط بشار الأسد.

أمّا قائم مقام وزير الخارجيّة التركيّ فقد أكّد ضرورة التعاون بين إيران وتركيا للوصول إلى حلّ سياسيّ للخروج من الأزمة في سوريا وقال: «ينبغي لنا في أسرع وقت وبعد رفع مستوى المحادثات السياسيّة في مختلف المجالات، الشروع بتدوين الآليّة المناسبة لمساعدة سوريا بهدف خروجها من الأزمة وعودة الاستقرار والأمن».

أكّدنا في اللقاء ضرورة إجراء انتخابات آمنة، وبمشاركة سياسيّة على مستوى عالٍ للشعب والأحزاب السياسيّة في العراق، وكانت هناك إدانة للأعمال الإرهابيّة في هذا البلد وأنّ الاستشارات بين البلدين مفيدة.

لقاء الأخضر الإبراهيمي ـ 27 اسفند 1392 (2014/3/18م)

جرى البحث وتبادل وجهات النظر مع الأخضر الإبراهيمي، ممثّل منظّمة الأمم المتّحدة إلى سوريا أثناء سفره إلى طهران وذلك حول الإجراءات والجهود المبذولة لحلّ الأزمة في سوريا. أثنى الأخضر الإبراهيمي على الجهود التي تبذلها الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران على المستوى الإقليميّ والدوليّ من أجل إنهاء الأزمة في

سوريا بأسلوب سلميّ وقال: «يُثني بان كي مون، الأمين العام لمنظّمة الأمم المتّحدة على الدور والموقع المهمّين لإيران في المنطقة ويعتقد أنّ المجتمع الدوليّ بحاجة إلى دور إيران الإسلاميّة وحضورها في أيّ حلّ لإنهاء الأزمة في سوريا».

وقال الإبراهيمي أيضًا: «إنّ إحكام العلاقات بين الجمهوريّة الإسلاميّة ودول المنطقة وتطويرها، خصوصًا بين إيران والمملكة العربيّة السعوديّة، سيكون مؤثّرًا وبنّاءً للغاية».

شكر الأخضر الإبراهيمي الجمهوريّة الإسلاميّة على مساعداتها الإنسانيّة للشعب السوريّ وأكّد ضرورة الاستمرار بجهوده لإنهاء الأزمة السوريّة بشكل سلميّ.

وشكر الدكتور صالحي وزير الخارجيّة في هذا اللقاء الأخضر الإبراهيمي على الجهود التي يبذلها واهتمامه بحلّ بعض أزمات المنطقة خصوصًا سوريا وأكّد أنّ «الجمهوريّة الإسلاميّة ستدعم هذه الجهود باستمرار» وأضاف شارحًا، الخطّة السياسيّة الرباعيّة التي قدّمتها الجمهوريّة الإسلاميّة لحلّ الأزمة السوريّة عن طريق الحلّ السياسيّ: «على دول العالم والمنظّمات في المنطقة بذل المزيد من الجهود لمحاربة الإرهاب في المنطقة، وأن تساعد هذه الدول على إيجاد الحلّ السياسيّ بناءً على عمليّة ديمقراطيّة وذلك عن طريق الحوار».

وأكّد الدكتور صالحي مسألة ضبط الحدود التي تمنع دخول السلاح والمجموعات المسلّحة اللامسؤولة والامتناع عن التدخّل في شؤون الدول، وهنا يكمن سرّ النجاح في كلّ عمليّة سلميّة لحلّ الأزمة في سوريا».

وفي نهاية اللقاء كان هناك تشديد خاص على علاقات الصداقة بين طهران والدول العربيّة، ودول الخليج الفارسيّ وشرح بعض من السلوك غير البنّاء للمملكة العربيّة السعوديّة في المنطقة ودعم أجهزتها الأمنيّة للإرهاب في سوريا والعراق ولبنان، ومع ذلك أكّد الدكتور صالحي كما فعلت أنا على استعداد طهران لإقامة علاقات أخويّة مع المملكة العربيّة السعوديّة (الصور في الملحق).

تسليم رسالة رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران إلى أمير الكويت 13 فروردين 1393 (2014/4/2م)

في اللقاء مع أمير الكويت، سلّمت دعوة الدكتور روحاني، رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران للشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، لزيارة إيران، وكان يرافقني في اللقاء الدكتور «علي رضا عنايتي» المدير العام لدائرة الخليج الفارسيّ، إضافةً إلى سفيرنا المرحوم المهندس «روح الله قهرماني جابك».

كان استقبال أمير الكويت حارًّا، شاكرًا الدكتور روحاني على دعوته مؤكّدًا قبوله الدعوة معتبرًا أنّ التعاون بين الجهات في المنطقة كافّة أمر تهتم به الكويت ويصبّ في مصلحتها. وبعد طلبه إبلاغ سلامه للإمام القائد ورئيس الجمهوريّة، أكّد ضرورة التعاون بين البلدين لمواجهة التطرّف، والوصول إلى حلّ سياسيّ للأزمة في سوريا وأضاف: «نحن كإيران لا نؤيّد الحلّ العسكريّ والأمنيّ».

أشرت بدوري إلى العلاقات الحسنة والتاريخيّة بين البلدين وأبديت الرغبة في أن يؤدّي التعاون بين الجانبين ضمن مختلف اللجان إلى نتائج ملموسة ومقبولة في المستقبل القريب، وأكّدت أنّ

العلاقات بين الجمهوريّة الإسلاميّة ودول الجوار، خصوصًا دول الخليج الفارسيّ، تتحرّك نحو الأمام بسبب الاهتمام المشترك، وذكرت أنّ الإرهاب والتطرّف ودعم الاشتباكات الطائفيّة هي من جملة آفات المنطقة، ونحن نعتقد أنّ خطر التطرّف والإرهاب التكفيريّ سيلحق الضرر بالدول الإسلاميّة كلّها، وإذا لم يتوقّف هذا النهج، فمن الصعب الحؤول دون إضراره. والسبب في ذلك أنّ نموّ المجموعات المتطرفة يهدّد الأمن في المنطقة. أمّا رسالة إيران فهي الأمن من أجل السلام ومحاربة التطرّف والعنف. فيما يتعلّق بالأزمة في سوريا قلت: «سوريا تخطو خطواتها في مسير الحلّ الديمقراطيّ والسياسيّ عن طريق إقامة الانتخابات؛ علمًا أنّ بعض الأطراف الداعمة للاستمرار في تسليح المجموعات المسلّحة اللامسؤولة، تفاقم من نار العنف والإرهاب». التقيت في هذا السفر الذي استمرّ يومًا واحدًا مع «خالد جار الله»، قائم مقام وزارة الخارجيّة في الكويت وشدّدت على المسائل ذات العلاقة بالجانبين، وتحدّثت بالتفصيل عن العلاقات بين طهران ـ الرياض والأفكار البنّاءة لإيران (الصور في الملحق).

لقاء وزير الخارجيّة السعوديّ ـ 4 شهر يور 1393 (26/8/2014م)

التقيت الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجيّة السعوديّ في جدّة. أكّد الجانبان ضرورة فتح صفحة جديدة في العلاقات السياسيّة بين البلدين وأهميّة لقاء وزيري الخارجيّة في الرياض وطهران.

وجرى في اللقاء تبادل وجهات النظر حول العلاقات الثنائيّة

ومسائل المنطقة، خصوصًا الأوضاع الجارية في المنطقة، والتهديدات التي تواجهها الأمّة الإسلاميّة، ومن جملتها اعتداءات العدوّ الصهيونيّ الوحشيّة على الشعب الفلسطينيّ المظلوم في غزّة.

كما بحث الطرفان الأعمال الإرهابيّة والتطرّفيّة على مستوى المنطقة، واستخدام الدين كوسيلة لتشويه صورة الإسلام الرحمانيّة من قبل المجموعات الإرهابيّة والمتطرّفة وأكّدنا ضرورة إحلال الاستقرار والأمن في المنطقة.

وبما أنّ اللقاء جاء على أعتاب انتقال الحجّاج إلى أرض الوحي، أكّدنا ضرورة إقامة حجّ عظيم. وتحدّثنا بشكل مفصّل وواضح عن أوضاع لبنان، سوريا، العراق والبحرين، كان مقرّرًا افتتاح صفحة جديدة في العلاقات السياسيّة بين البلدان، وعقد لقاء بين وزيري الخارجيّة في الرياض وطهران ثمّ عقد لقاء لقادة البلدين في العاصمتين. ولكن وعلى رغم الكلام الجميل الذي سمعناه على لسان وزير الخارجيّة السعوديّ، بعد ثلاثة أيّام من ذلك، تحدّث وزير الخارجيّة السعوديّ بكلام سيّئ ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة في نيويورك ممّا ترك تأثيره في كلّ شيء.

حضر اللقاء السيّد حسين صادقي، سفير بلدنا في الرياض، والدكتور دهقاني بوده، سفيرنا في منظّمة التعاون الإسلاميّ، وكذلك رئيس مكتب وزارة الخارجيّة السعوديّة في جدّة[1].

(1) كان مقرّرًا أن يكون اللقاء في مبنى وزارة الخارجيّة السعوديّة في مدينة جدّة. ولكن وفي صبيحة يوم اللقاء جاء موفد من قبل الأمير سعود الفيصل إلى قصر الضيافة وقال: «يقول الوزير إنّني أرغب في استقبال أخي في منزلي الشخصيّ».

لقاء رئيس جمهوريّة مصر الثاني - 13 بهمن 1393 (2/2/2015م)

التقيت للمرّة الثانية هذا العام الجنرال «عبد الفتاح السيسي»، رئيس جمهوريّة مصر، وحصل اللقاء على هامش الاجتماع السنويّ لقادة الاتّحاد الأفريقيّ. وقد حصل اللقاء الأوّل في مراسم تأدية قسمه رئيسًا لمصر في القاهرة (الصور في الملحق)، حصل اللقاء في «أديس أبابا» عاصمة إثيوبيا وأكّد الجانبان المواقف المشتركة لإيران ومصر في معارضتهما الأعمال الإرهابيّة في المنطقة خصوصًا في سوريا والعراق.

وقد اعتبرت حينها أنّ مشاركة المجموعات السياسيّة كافّة والوفاق الوطنيّ في مصر على درجة عالية من الأهميّة، وذكّرت بضرورة وحدة العالم الإسلاميّ ومواجهة الحركات التكفيريّة في المنطقة. وأعلنت عن استعداد الجمهوريّة الإسلاميّة لتعزيز التعاون بين الطرفين. وقد أكّد السيسي ضرورة متابعة العمليّة السياسيّة والوحدة الوطنيّة وبذل الجهود للوصول إلى الوفاق الوطنيّ في سوريا. وقد عبّر عن تحيّاته الصادقة لرئيس جمهوريّة بلدنا، وشكر الرئيس روحاني على تلبيته دعوة مصر وحضور إيران في مراسم تأدية السيسي القسم وتمنّى الأفضل لحكومة إيران وشعبها.

لقاء رئيس جمهوريّة جنوب أفريقيا 13 بهمن 1393 (2/2/2015م)

التقيت رئيس جمهوريّة أفريقيا «جاكوب زوما» على هامش لقاء قادة الاتّحاد الأفريقيّ في أديس أبابا في إثيوبيا. أبلغته سلام

الدكتور روحاني رئيس الجمهوريّة وتمنّيت عليه تلبية دعوة الدكتور روحاني بزيارة طهران في أول مناسبة. اطّلع زوما على زمان انعقاد اللجنة المشتركة للبلدين، وأبدى رضاه عن إجراءات وزيري خارجيّة البلدين الدكتور ظريف والسيّدة ماشابانه ـ التي من شأنها توسعة العلاقات بين البلدين.

أكّدت أنّ تطوير العلاقات بين البلدين من جملة أولويّات طهران، وأثنيت على الجهود المؤثّرة لوزيرة خارجيّة جنوب أفريقيا السيّدة «مايت انكوانا ما شابانه»[1] (الصور في الملحق).

الجمهوريّة الإسلاميّة عضو ناظر في الاتحاد الأفريقيّ وهو أكبر منظّمة في القارّة الأفريقيّة ويضمّ 54 عضوًا وتتابع الجمهوريّة

---

(1) السيّدة ماشابانه زميلة السيّدة كونداليسارايس وزيرة خارجيّة أمريكا السابقة في الدراسة وهي متأثّرة بأفكارها إلى حدود معيّنة. في اللقاء الأوّل الذي جمعني بها في وزارة الخارجيّة في بريتوريا تحدّثت إليّ بلغة ناقدة وتدلّ على الانزعاج وقالت إنّ النساء في إيران كنّ في الصف الأوّل أثناء مظاهرات الثورة الإسلاميّة ولكنهنّ أرسلن إلى المطابخ بعد انتصار الثورة. تحدثت إليها عن مقدار حضور المرأة الإيرانيّة في مختلف المجالات العلميّة، السياسيّة، والاجتماعيّة وتابعت قائلًا بأنكم تستطيعون مشاهدتي في المطبخ أغسل الصحون وزوجتي في الجامعة. ضحكت عاليًا وكان هذا الأمر بداية تعاون جديد بين البلدين. طبعًا لعب الدكتور فرجي سفيرنا دورًا مؤثرًا في إحياء العلاقات. وقد رافقني في تلك الزيارة السيّد موحدي والسيّد معصومي فر، وهو من كبار مديري الدائرة السياسيّة للشؤون الأفريقيّة وهما يعرفان أفريقيا جيّدًا. لحسن الحظّ فإنّ الدائرة العامّة لشؤون أفريقيا في وزارة الخارجيّة تستعين بمجموعة من النساء والرجال الدبلوماسيّين أصحاب الخبرة والماهرين وهم من جملة ذخائر الجهاز الدبلوماسيّ الهامّة. الجميع يعرف اللغة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة جيّدًا وقد أصيبوا هم أو عائلاتهم خلال أداء مهامّهم مرّة على الأقلّ بمرض المالاريا (الراوي).

الإسلاميّة تعاونها مع دول أفريقيا على شكل علاقات ثنائيّة أو متعددة الأطراف وعن طريق المنظّمات والجمعيات في أفريقيا. لعب الدكتور محمد فرجي سفيرنا الناجح في بريتوريا دورًا هامًّا في تطوير العلاقات.

كما أنّ سفير إيران في إثيوبيا السيّد «علي بحريني» يتابع الأمور ويديرها بشكل حسن يستحقّ الثناء.

مؤتمر وزراء خارجيّة منظّمة التعاون الإسلاميّ الثاني والأربعون في الكويت ولقاء مع مسؤولين من تونس والنيجر، والكامرون ـ 8 خرداد 1394 (2015/5/29م)

تقرّر أن أشارك في مؤتمر وزراء خارجيّة منظّمة التعاون الإسلاميّ الثاني والأربعين في الكويت لانشغال الدكتور ظريف بمحادثات الاتّفاق النوويّ.

التقيت على هامش المؤتمر كلًّا من «التهامي العبدولي»، معاون وزارة الخارجيّة التونسيّة للشؤون العربيّة والأفريقيّة، «عبد الله محمدو» وزير الشؤون الخارجيّة في حكومة النيجر، و«آدوم يادكوم» وزير الشؤون الخارجيّة للعالم الإسلاميّ في الكاميرون.

تناولت في اللقاءات التي حصلت العلاقات الثنائيّة بين إيران وهذه الدول، واستعداد طهران لتطوير هذه العلاقات وشرحت المخطّط الإيرانيّ الرباعيّ في ما يتعلّق باليمن والتي تشتمل على وقف إطلاق النار، تسهيل وصول المساعدات الإنسانيّة، بدء الحوار اليمنيّ ـ اليمنيّ الشامل، وتشكيل حكومة وطنيّة.

أكّد معاون وزير الخارجيّة التونسيّ للشؤون العربيّة والأفريقيّة

رفضه الحلول العسكريّة في المنطقة واعتبر أنّ طريق الحلّ الوحيد هو الاعتماد على الحكمة، الحوار، والاتّفاق، وشدّد على أهمّيّة سياسة التقريب بين المذاهب التي تعتمدها الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، أمّا وزير الخارجيّة النيجري فتحدّث عن آخر خطوات افتتاح سفارة بلده في طهران وأشار إلى خطر الإرهاب والتطرّف في الشرق الأوسط وأفريقيا، وطلب المساعدة في مواجهة بلده للمجموعات الإرهابيّة في أفريقيا.

ثمّ تحدّث محمدو عن انتشار مرض السحايا في بلده خلال الأشهر الأخيرة، واعتبر أن المساعدة التي تقدّمها مراكز العلاج الإيرانيّة في مدينة نيامي، عاصمة النيجر هي خدمة كبيرة لشعب بلده في محاربة هذا المرض.

ووصف وزير الشؤون الخارجيّة الكاميرونيّة أنّ سياسات الجمهوريّة الإسلاميّة تجاه مسائل المنطقة والمسائل الدوليّة هي سياسات منطقيّة ومتوازنة، وتطرّق إلى ضرورة الاستفادة من مجالات تطوير العلاقات بين البلدين. رافقني في هذا اللقاء السيّد حسن زرنكار القائم بأعمال بلدنا في الكويت، إضافةً إلى السادة عنايتي، علي بك، رئيس الدائرة السياسيّة لشؤون الخليج الفارسيّ، وعباس كلرو، معاون الدائرة السياسيّة لشؤون الشرق الأوسط.

لقاء وزير خارجيّة المملكة العربيّة السعوديّة الجديد ـ 27 خرداد 1394 (2015/6/17م)

التقيت على هامش الاجتماع الاستثنائيّ لوزراء الخارجيّة الأعضاء في منظّمة التعاون الإسلاميّ في جدّة مع «عادل بن أحمد

الجبير»، وزير الخارجيّة السعوديّ الجديد الذي عاد إلى بلاده بعد عقدين من العمل في أمريكا.

تحدثت معه حوالي الخمس عشرة دقيقة، وبشكل شفّاف وصريح ودبلوماسيّ حول بعض مواضيع المنطقة، وهو من أصدقاء محمد بن سلمان وليّ العهد السعوديّ.

وانطلاقًا من الاعتداء السعوديّ على اليمن، أكّدت أنّ الخيار العسكريّ في المنطقة غير بناء وأوضحت مواقف إيران التي تنصّ على ضرورة إبعاد المنطقة عن الحروب، ودعم الحركة السياسيّة، واعتبرت أنّ الحوار والتعاون المؤثرين هما من أبرز أسباب الخروج من مشكلات المنطقة والوصول إلى مرحلة الأمن والاستقرار الجمعيّ، وقلت له الجميع سيستفيد من الخيار السياسيّ البنّاء واستقرار المنطقة.

وأكّد عادل بن أحمد الجبير وزير الخارجيّة السعوديّ في اللقاء أهمّيّة الحوار بين الدول، وضرورة تعاون جميع الأطراف لإيجاد الأمن في المنطقة، وأدان الحادث الذي حصل في جدّة (التعرّض بالأذى لشابّين إيرانيّين كانا متوجّهين لأداء العمرة) وأوضح أنّه سيعلن عمّا قريب عن تنفيذ الأحكام التي صدرت بحقّ العسكريّين المخطئين أمّا مواقفه تجاه قضايا سوريا، العراق، لبنان، البحرين واليمن فكانت حادّة، متسرّعة وغير بنّاءة، وقال إنّنا سنقضي على الحوثيّين خلال ثلاثة أسابيع. الواضح أنّه لا يمتلك تجربة، نصحته بأن لا يتصرّف بتسرّع وأن يفكّر بالحلّ السياسيّ، وأكّدت استعداد طهران للحوار والتعاون في المنطقة.

لقاء فدريكا موغريني ـ الأربعاء 22 مهر 1394 (2015/10/14م)

التقيت السيّدة فدريكا موغريني، مسؤولة السياسة الخارجيّة في الاتّحاد الأوروبيّ في بروكسل عاصمة بلجيكا، وكان بيننا حوار تناول الخطّة المطوّرة الإيرانيّة للحلّ السياسيّ في سوريا،وكانت فدريكا موغريني قد أعلنت قبل يومين، وعلى هامش لقاء وزراء خارجيّة الاتّحاد الأوروبيّ في بروكسل عن وصول وفد من الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة إلى مقرّ الاتّحاد الأوروبيّ للتشاور بشأن الأزمة في سوريا وظروفها.

اقترحت في هذه المحادثات أن يتولّى الاتّحاد الأوروبيّ إلى جانب الأمم المتّحدة المحادثات السياسيّة في سوريا. وكانت الأزمة في سوريا قد دخلت مرحلة جديدة مع بداية الحملات الروسيّة على مواقع داعش إضافة إلى استمرار الجهود الدبلوماسيّة لحلّ الأزمة ومواجهة داعش.

وأشارت مسؤولة السياسة الخارجيّة للاتّحاد الأوروبيّ إلى دور روسيا في التحوّلات الأخيرة وقالت: «بإمكان روسيا لعب دور هامّ ومحوريّ في عمليّة إيجاد الاستقرار في سوريا من خلال التأثير في دمشق». وكانت القوّة الجويّة الروسيّة قد بدأت عمليّات عسكريّة ضدّ داعش في سوريا بطلب من بشار الأسد، رئيس الجمهوريّة العربيّة السوريّة، وفي إطار مساعدة القوى المحليّة التي تحارب الإرهاب (الصور في الملحق) السيّدة موغريني تعرف المنطقة جيّدًا وسبق أن كتبت أطروحة الدكتوراه phd حول «العالم الإسلاميّ» وقد جرت محادثات بيننا عام 1396 (2017م) استمرّت حواليّ

العشرين دقيقة أثناء زيارتها طهران للمشاركة في مراسم أداء الدكتور روحاني [رئيس الجمهوريّة] القسم، وكانت قد أتت حديثًا من زيارة أمريكا فأعربت عن مدى كراهتها لترامب.

محادثات مع وزير الخارجيّة البريطانيّ في لندن - 29 مهر 1394 (2015/10/21م)

على أثر افتتاح سفارتي البلدين في طهران ولندن وزيارة «فيليب هاموند»، وزير الخارجيّة البريطانيّ لطهران، دعا الجانب البريطانيّ الدكتور ظريف للشروع بدور جديد من المحادثات بين طهران ولندن حول المنطقة حيث تقرر أن أسافر إلى لندن بعد أسبوعين. سافرت إلى لندن بتاريخ 29 مهر 1394 (2015/10/21م). وقد رافقني في الزيارة إضافة إلى القائم بأعمال سفارتنا في لندن «محمد حسن حبيب الله زاده»، السيّد «علي بك»، رئيس الدائرة السياسيّة لشؤون الخليج الفارسيّ في وزارة الخارجيّة.

بدأت المحادثات في لندن يوم الأربعاء حول المسائل الثنائيّة ومسائل المنطقة ومن جملتها الأزمة السوريّة واليمن بشكل شفاف وصريح وشملت وزير الخارجيّة، ونظيري البريطانيّ، والمدير العامّ في وزارة الخارجيّة البريطانيّة للشؤون السياسيّة. المضيف كان نظيري البريطانيّ، وقد تحدّثت مدّة تسعين دقيقة مع وزير الخارجيّة البريطانيّ هاموند.

تحدّثت في هذا اللقاء بشكل صريح وشفّاف ودبلوماسيّ عن أوضاع سوريا واليمن والبحرين. وكان هناك اتّفاق في وجهات النظر حول أهميّة الحل السياسيّ للخروج من مشكلات المنطقة.

وكان الاختلاف في وجهات النظر كبيرًا في خصوص آليّة الخروج من المشكلات وكيفيّتها، فكانوا يتناسون قمع الحكومة البحرانيّة والسعوديّة وقتلهما الناس وفي الوقت عينه يطلبون تنحّي بشار الأسد.

قلت لوزير الخارجيّة البريطانيّ في هذا اللقاء: إذا عملتم لفهم الواقع، يمكنكم إدراك فهم الحكومة السوريّة للوصول إلى منطقة آمنة ومستقرّة.

وقبل لقاء هاموند، كنت قد التقيت السيّد «توبياس إلوود» معاون وزير الخارجيّة البريطانيّ وتباحثنا في العلاقات الثنائيّة وموضوعات المنطقة. أكّدت في اللقاء ضرورة تسهيل تقديم الخدمات القنصليّة لأتباع البلدين، ورفع الموانع القنصليّة التي تعترض الإيرانيّين على الرغم من افتتاح السفارتين في الأوّل من شهر يور الماضي (23 آب).

التقيت في هذا السفر الذي استمرّ يومين وإضافة إلى مسؤولين في الخارجيّة البريطانيّة، بعض المسؤولين البرلمانيّين فإضافة إلى اللقاء الذي جمعني برئيس لجنة الأمن القوميّ والسياسة الخارجيّة في مجلس العموم البريطانيّ، التقيت اثني عشر ممثّلًا برلمانيًّا من أصول إيرانيّة في اجتماع خاصّ ولمدّة ساعة. طبعًا كان الشعور الإيرانيّ حيًّا فيهم فجرَت بيننا حوارات حميميّة. صحيح أنّهم كانوا ممثّلين في البرلمان البريطانيّ، إلّا أنّهم كانوا يفتخرون بأصولهم الإيرانيّة. ممّا لا شكّ فيه أنّ الإيرانيّين في الخارج هم رأسمال كبير، يجب الالتفات إليهم أكثر والاستفادة من هذه الطاقات لما

فيه دلالة على عظمة الجمهوريّة الإسلاميّة. كما أجبت عن أسئلة المشاركين مدّة تسعين دقيقة في مؤسّسة «تشاتام هاوس» طبعًا بعض الحاضرين كانوا من أشدّ المعارضين لسوريا. وقد استضافني «سايمون غس» مدير عامّ الشرق الأوسط في الخارجيّة البريطانيّة، وكان قبل ذلك سفيرًا في طهران، وهو ضليع في أمور المنطقة، على مأدبة الغداء في أحد مطاعم لندن، وكان بيننا محادثات صريحة (الصور في الملحق).

التشاور مع دي ميستورا حول سوريا ـ 7 آبان 1394 (2015/10/29م)

كان التواصل بيني وبين استيفان دي ميستورا، الممثّل الخاصّ للأمين العامّ للأمم المتّحدة حول سوريا، يجري أحيانًا بشكل يوميّ. كنّا نتحاور من خلال التواصل الهاتفيّ بآخر تحوّلات المنطقة، والحوار الدوليّ حول سوريا. في الاتّصال الذي جرى بيننا بتاريخ السابع من آبان عام 1394 (2015/10/29م). وضّح ممثّل الأمين العامّ للأمم المتّحدة آخر جهود الحلّ السياسيّ للأزمة في سوريا، وأكّد على أهميّة دور الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في هذا الشأن. قلت له إنّ طهران تعتبر حلّ الأزمة في سوريا هو في إطار عمليّة سياسيّة واحترام إرادة الشعب السوريّ على أساس الحوار السوريّ ـ السوريّ بين المعارضين المعتقدين بالحلّ السياسيّ والحكومة السوريّة. وكانت اللقاءات بيننا تحصل مرّة كلّ شهر تقريبًا في طهران أو بيروت، أو بروكسل، أو جنيف أو فيينا حيث كانت تساهم في تحسين الأمور (الصور في الملحق).

لقاء فيينا ـ 8 آبان 1394 (2015/10/30م)

مع استمرار الجهود الدبلوماسيّة لحلّ الأزمة في سوريا عقد لقاء استمر يومًا واحدًا [الجمعة، الثامن من آبان] في فيينا، وكانت العمليّة السياسيّة المتعلّقة بالأزمة السوريّة بدت أكثر تسارعًا.

من جملة أهداف هذا اللقاء، تشكيل ثلاث مجموعات عمل على مستوى الخبراء، تحت عناوين الأحزاب والمجموعات المعارضة للحكومة، والاغتيال والأمور الإنسانيّة، أما الهدف الأساس لهذا اللقاء فهو العمل للوصول إلى إطار يهدف إلى إيجاد الأمن، ومحاربة الإرهاب، وتثبيت الاستقرار في سوريا.

حاولت إيران والمشاركون في لقاء فيينا (2)، ومن خلال محادثات صريحة، دراسة المسائل الهامّة، وعلى الرغم من وجود خلافات أساسيّة إلّا أنّه جرى التوصل لاتّفاق حول الأمور الآتية:

- إنّ وحدة، استقلال، سلامة الأراضي، والماهيّة العلمانيّة لسوريا هي من المسائل الأساسيّة[1].
- بقاء المؤسّسات الحكوميّة من دون تغيير.
- وجوب الحفاظ على حقوق جميع السوريّين بغض النظر عن عرقهم أو مذهبهم.
- من الضروريّ تسريع الجهود الدبلوماسيّة لإنهاء الحرب في سوريا.
- إيصال المساعدات الإنسانيّة إلى الأراضي السوريّة كلّها، كما

(1) الماهيّة العلمانيّة هو اتّجاه غربيّ (الراوي).

أنّ المشاركين في لقاء فيينا سيزيدون دعمهم للمهاجرين داخل الأراضي السوريّة والنازحين والدول المضيفة.

- وجوب محاربة داعش والمجموعات الإرهابيّة الأخرى، بناءً على قرار مجلس الأمن الدوليّ، واتّفاق المشاركين في لقاء فيينا.

- يطلب المشاركون في لقاء فيينا، بناءً على إعلان عام 2012 في جنيف والقرار رقم 2118 لمجلس الأمن الدوليّ، من منظّمة الأمم المتّحدة عقد لقاء يجمع ممثّلي الحكومة السوريّة والمعارضة بهدف التأسيس للمسار السياسيّ الذي ينتهي بتشكيل دولة غير طائفيّة، شاملة وقانونيّة ومن ثمّ تدوين دستور جديد وإقامة انتخابات.

ويجب أن تكون الانتخابات تحت رقابة منظّمة الأمم المتّحدة ومتطابقة مع أعلى معايير الشفافيّة والمسؤوليّة والحريّة، وغير منحازة يشارك فيها جميع السوريّين بمن فيهم النازحون المقيمون في الخارج الذين تتوافر فيهم الشروط.

- ستكون العمليّة السياسيّة تحت نظر الشعب السوريّ وهي متعلّقة به والشعب السوريّ هو الذي يجب أن يتّخذ القرار بشأن مستقبل بلده.

- سيحدّد المشاركون في لقاء فيينا بالتوافق مع الأمم المتّحدة، طرائق وقف إطلاق النار الشامل في سوريا في تاريخ محدّد وبالتزامن مع الحلّ السياسيّ.

طبعًا لم يتضمّن لقاء جنيف1 وجنيف 2 اللذين عقدا لأجل

دراسة طرائق حلّ الأزمة السوريّة في الماضي، ومن دون حضور إيران، أي نتائج في هذا الشأن. الجميع كان على قناعة بأنّ أيّ قرار لحلّ أزمات المنطقة لن يكون مثمرًا من دون حضور إيران.

كانت واشنطن وحلفاؤها العرب يطلبون تنحّي بشار الأسد، رئيس جمهوريّة سوريا القانوني، باعتبار ذلك جزءًا من طريقة حل الأزمة. أما موسكو وطهران الداعمتان لحكومة دمشق الشرعيّة فكانتا تقولان: إنّ الشعب السوريّ هو الذي يجب أن يتّخذ القرار بخصوص رئيس جمهوريّته.

لقاء قصير مع وزير خارجيّة فرنسا على هامش لقاء فيينا ـ 23 آبان 1394 (2015/11/14م)

ذهبت إلى النمسا للمشاركة في لقاء فيينا (2). التقيت على هامش اللقاء «لوران فابيوس»، وزير خارجيّة فرنسا. أدنت حادثة باريس الإرهابيّة[1] وعزّيت الحكومة الفرنسيّة بالحادث.

كانت هيئته تدلّ على الكثير من التعب وعيناه تدلّان على أنّه لم ينم في الليلة الماضية، وكان تعاطيه حميميًا ثمّ قدّم توضيحات حول جزئيّات الحادث بعد أن شكرني.

وصل الدكتور ظريف متأخّرًا بضع ساعات على اللقاء بسبب برنامج مسبق كان يرتبط به، كما أنّ الهجمات الإرهابيّة التي عاشتها باريس الليلة الماضية أدخلتها في أكبر صدمة شهدتها أوروبا

(1) حصلت عدّة هجمات إرهابيّة بتاريخ الثالث عشر من تشرين الثاني 2015 في أكثر من منطقة في باريس وبشكل متزامن أدّت إلى مقتل وجرح المئات من الأشخاص.

منذ عام 2004. شهدت باريس ستّ عمليّات إطلاق نار إرهابيّة إضافة إلى عمليّتي تفجير في سبع مناطق من باريس تركت 153 ضحيّة و200 جريحٍ (الصور في الملحق).

لقاء نيويورك والقرار 2254 ـ 27 آذر 1394 (2015/12/18م)

عقد لقاء يومًا واحدًا في نيويورك (27 آذر 1394) حول حلّ الأزمة السوريّة وشارك في الحوار وزراء خارجيّة 17 بلدًا من جملتهم إيران، روسيا، أمريكا والمملكة العربيّة السعوديّة بهدف إنهاء الأزمة السوريّة التي مضى عليها خمس سنوات. شاركت إلى جانب الدكتور ظريف في هذا اللقاء. وكان سفيرنا في الأمم المتّحدة الدكتور «غلام علي خوشرو»، والدكتور دهقاني، معاونه، وسفيرنا الثاني في منظّمة الأمم المتّحدة، يتابعان قضايا سوريا بدقة.

وخلال هذه السنوات، كان معاونو سفرائنا في نيويورك ومن جملتهم السيّد «إسحاق آل حبيب» يعملون بفاعليّة بما يتعلّق بتحوّلات سوريا والمنطقة (الصور في الملحق).

ظهر اختلاف أساسيّ في هذا اللقاء حول تحديد مصاديق المجموعات الإرهابيّة. تمكّن الوفد الإيرانيّ وبعد التشاور مع اللواء سليمانيّ والجهات ذات العلاقة كافّة وباستدلالات منطقيّة، من منع إصدار فهرس موجّه في موضوع المجموعات الإرهابيّة وقد جرى الاتّفاق في النهاية على تشكيل فريق يتألّف من إيران، روسيا، عُمان، مصر، تركيا، الأردن، وفرنسا، وظيفته إعداد لائحة بأسماء المجموعات الإرهابيّة وتقديمها إلى الأمم المتّحدة.

في نهاية اللقاء صدر القرار 2254[1] عن مجلس الأمن الدوليّ باعتباره خريطة طريق إنهاء الأزمة في سوريا. أكّد القرار على مسألتي وقف إطلاق النار والحلّ السياسيّ للأزمة السوريّة، وتوقّع تشكيل حكومة وحدة وطنيّة في سوريا وطلب الإيقاف الفوريّ للهجمات التي تستهدف غير العسكريّين (الصور في الملحق).

دعا القرار أيضًا إلى تشكيل حكومة شرعيّة، شاملة، وغير طائفيّة خلال الأشهر الستّة القادمة كما أكّد على ضرورة إجراء انتخابات حرّة وعادلة على أساس دستور جديد خلال الثمانية عشر شهرًا القادمة.

أبعد القرار بعض المجموعات أمثال داعش وجبهة النصرة عن دائرة المحادثات السوريّة السوريّة لذلك أعلنت بصراحة أنّ عمليّة السلام في سوريا لن تؤدّي إلى انتهاء الاشتباكات في هذا البلد. بعد صدور القرار، أعلن جان كيري وزير خارجيّة أمريكا في مؤتمر صحفيّ أنّ الخطّة الرباعيّة الإيرانيّة للحلّ السياسيّ في سوريا قد جعلت منطلق هذا القرار. وكان هذا الاتّفاق نجاحًا دبلوماسيًّا كبيرًا لإيران.

نقاش مع معاون دي ميستورا - 5 خرداد 1395 (2016/5/25م)

حضر «رمزي عزّ الدين رمزي»، معاون استيفان دي ميستورا، الممثّل الخاصّ للأمين العامّ للأمم المتّحدة في شؤون سوريا في خرداد عام 1395 إلى طهران[2].

---

(1) نظرًا لأهميّة القرار فقد أدرجت ترجمته في قسم الوثائق.

(2) كان السيّد دي ميستورا يرسل أحيانًا معاونه إلى طهران للبحث في التفاصيل بشكل حضوريّ وهو مصريّ يمتلك فهمًا دقيقًا لتحوّلات المنطقة.

أكّد أنّ الأوضاع في سوريا قد وصلت إلى أماكن حساسة وينبغي تسريع الحلّ السياسيّ لإنهاء الأزمة وقال إنّنا بحاجة إلى أفكار الجمهوريّة الإيرانيّة للخروج من الأزمة. قلت له إنّ الوصول لحلّ سياسيّ في الأزمة السوريّة ممكن عند قبول الحقائق الموجودة في الميدان والالتفات إلى أصول السيادة في سوريا. للأسف فإنّ الدور التخريبيّ لبعض الدول ومنها أمريكا، فرنسا، بريطانيا، تركيا والمملكة العربيّة السعوديّة مانع كبير أمام هذه العمليّة.

واعتبرت أنّ الوصول لحلّ سياسيّ يتطلّب الاهتمام الجديّ بدور سوريا في المنطقة وموقعها، الجديّة في محاربة الإرهاب، وعدم الاستفادة الأداتيّة من الإرهاب لتحقيق أغراض ذات وجهة واحدة، ضرورة حضور الممثّلين الحقيقيّين للشعب السوريّ على طاولة الحوار، وعدم تسييس المساعدات الإنسانيّة وأكّدت استعداد بلدنا للمساعدة في إيجاد حلّ مناسب ينهي الأزمة السوريّة في قالب المخطّط الرباعيّ للحلّ السياسيّ الذي قدّمته إيران وأضفت أنّ طهران قد أعلنت منذ البداية أنّ الحلّ العسكريّ والأمنيّ لا ينهي الأزمة في سوريا. للأسف فإنّ بعض الجهات قد نقضت تعهداتها في تنفيذ وقف إطلاق النار في خان طومان، والهجوم على مستشفى في حلب وعمليًّا فهي تدعم بعض المجموعات الإرهابيّة والمسلّحة المتمرّدة في سوريا لتستفيد منها كورقة رابحة على طاولة المحادثات.

سفر بشار الأسد إلى طهران ـ 16 اسفند 1397 (2019/3/7م)

التقى السيّد بشار الأسد، رئيس الجمهوريّة العربيّة السوريّة في سفره إلى طهران كلًّا من الإمام الخامنئيّ والدكتور روحاني، رئيس الجمهوريّة.

اعتبر الإمام القائد في هذا اللقاء أنّ رمز انتصار سوريا وهزيمة أمريكا ومرتزقتها يكمن في صمود القيادة والشعب السوريّ وتمسّكهم بالمقاومة وإذ أكّد سماحته ضرورة التيقّظ في المستقبل حيال المؤامرات قال: «إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة تعتبر مساعدة الحكومة والشعب السوريّ مساعدة لحركة المقاومة وتيّارها، وتفتخر بذلك من صميم القلب».

وأشار سماحته إلى وقوف الجمهوريّة الإسلاميّة إلى جانب الشعب والحكومة السوريّة منذ بداية الأزمة وقال: «استطاعت سوريا بصمودها والتفاف شعبها أن تنتصر في مواجهة تحالف أمريكا وحلفائها في المنطقة وأوروبا فخرجت منتصرة من هذا الحادث.

وأضاف قائد الثورة الإسلاميّة، أنّ انتصار تيّار المقاومة في سوريا، أثار غضب الأمريكيّين وجدّد محاولاتهم حياكة المؤامرات، وأشار إلى نموذج في هذا المجال وقال: «إنّ قضيّة المنطقة العازلة التي تحاول أمريكا إيجادها في سوريا، هي من بين هذه المؤامرات الخطيرة التي يجب رفضها بشكل حازم والتصدّي لها».

واعتبر سماحته أنّ خطّة الأمريكيّين للتمركز المؤثّر في الحدود بين العراق وسوريا هو نموذج آخر من هذه المخطّطات التآمريّة،

وأكّد أنّ «إيران وسوريا تشكّلان عمقًا استراتيجيًّا إحداهما للأخرى، وأنّ هويّة تيّار المقاومة وقوّته رهن بهذا التواصل المستمرّ والاستراتيجيّ، واستنادًا إلى ذلك فإنّ الأعداء لن يستطيعوا تمرير مخطّطاتهم». ولفت الإمام الخامنئيّ إلى الخطأ الذي ارتكبه الأعداء في حساباتهم بشأن سوريا وأضاف: «إنّ خطأ الأعداء تمثّل في أنّهم تصوّروا أنّ سوريا مثل بعض الدول العربيّة، في حين أنّ الحركة الشعبيّة في تلك الدول هي باتّجاه المقاومة، وفي الحقيقة كانت ثورة ضدّ أمريكا وعملائها».

ودعا الإمام الخامنئيّ إلى تعزيز التواصل الدينيّ وتبادل الزيارات بين علماء الدين الإيرانيّين والسوريّين وأكّد ضرورة المحافظة على روح الصمود، وتعزيز قدرات الحكومة والشعب السوريّيَن، وقال مخاطبًا الرئيس السوريّ: «إنّ الصمود الذي أبديتموه، حوّلكم إلى بطل على صعيد العالم العربيّ، وبواسطتكم تعزّزت قدرات المقاومة وسمعتها في المنطقة، وإنّ الجمهوريّة الإسلاميّة وكما في السابق ستبقى إلى جانب الشعب السوريّ؛ لأنّها تعتبر هذا العمل بمثابة مساعدة لتيّار المقاومة ومحورها وتؤمن به من صميم قلبها». كما دعا الإمام الخامنئيّ في هذا اللقاء بالتوفيق والنجاح للشعب السوريّ وبالصّحة والعافية للرئيس الأسد وعائلته.

أكّد الرئيس الأسد من جهته تقديره للدعم الكبير الذي قدّمته الجمهوريّة الإسلاميّة لبلده وقال: الحرب السوريّة شبيهة بحرب السنوات الثماني التي فرضت على إيران. والجمهوريّة الإسلاميّة كانت إلى جانبنا في هذه الأحداث، ويجب أن أبارك وأشكر لجنابكم وللشعب الإيرانيّ النجاح الذي تحقّق.

وأشار الرئيس السوريّ إلى بعض التحليلات التي كانت تزعم أنّ أمر سوريا قد انتهى، وقال: «إنّ الشعبين الإيرانيّ والسوريّ يتميّزان بهويّة وعقيدة راسختين، وإنّ الإنجازات اليوم وبرغم أنّها حصلت بمشقّة وكلفة كبيرة، لكنّها كانت ثمرّة الصمود إلى جانب جبهة المقاومة.

وذكّر الرئيس الأسد بالأضرار الكبيرة التي لحقت ببعض الدول على أثر انصياعها لأمريكا وقال: «الكثير من الدول المظلومة من أمريكا، كانت تتصوّر أنّ أمريكا هي التي تحدّد مصير العالم ومستقبله.

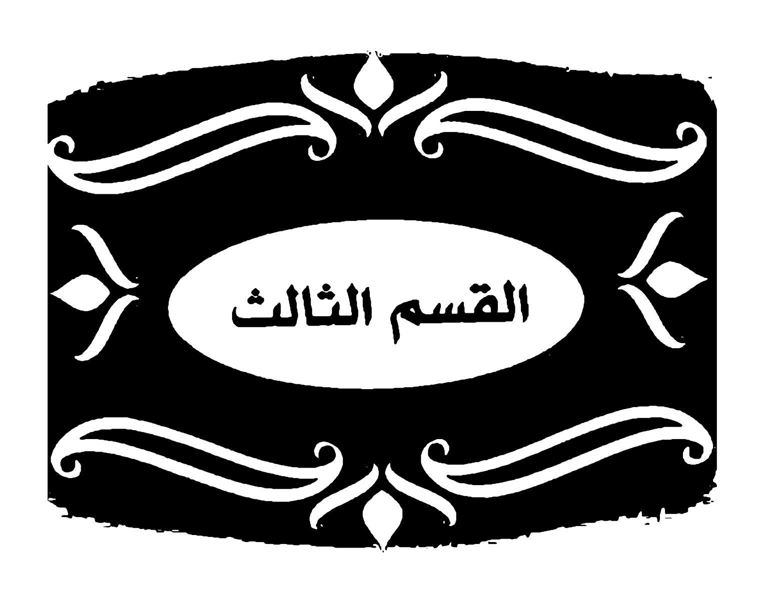
ولكن وعلى أثر صمود الشعوب المقاومة، بدأ هذا التصوّر الخاطئ بالسقوط».

وتطرّق الرئيس الأسد إلى نماذج من محاولات أمريكا وحلفائها الإقليميّين في بثّ الفرقة بين القوميّات والطوائف في سوريا، وقال: «أعطت هذه الجهود نتائج عكسيّة، واليوم تربط الأكراد والعشائر في سوريا علاقات جيّدة مع الحكومة، حتّى إنّ بعض المجموعات التي سبق أن كانت معارضة للحكومة واشتبكت معها، أصحبت تؤيّد الحكومة، وتخالف الرؤية الأمريكيّة والسعوديّة».

وأكّد الرئيس السوريّ أنّ تعزيز العلاقات الدينيّة من قبيل التواصل بين علماء الدين في سوريا وإيران، يشكّل فرصة هامّة لمواجهة التيّارات التكفيريّة وقال: «على إيران وسوريا تطوير علاقتهما الاقتصاديّة باستمرار؛ لأنّ تطوير العلاقات يشكّل عاملًا هامًّا في القضاء على المؤامرات التي تستهدف الشعبين».

كما التقى الرئيس الأسد، الدكتور روحاني وشكره على الدعم المؤثّر الذي تقدّمه طهران. وقد أكّد الرئيس روحاني أنّ إيران كما كانت في الماضي ستبقى إلى جانب سوريا.

أدّى عدم التنسيق الدقيق وبسبب الظروف الأمنيّة الخاصّة التي رافقت السفر، إلى عدم حضور الدكتور ظريف اللقاءات، ممّا أدى إلى بروز سوء تفاهم دفع وزير الخارجيّة للاستقالة ليوم واحد (الصور في الملحق).


القسم الثالث

الأزمة السوريّة والدور الكبير للواء سليمانيّ في ترسيخ أمن المنطقة وإيران

جرى استخراج النصّ الآتي من المقابلة التي أجراها السيّد أمير عبد اللهيان مع تلفزيون الجمهوريّة الإسلاميّة بمناسبة شهادة اللواء الفريق قاسم سليمانيّ.

ينبغي أن أعلن باعتباري شخصًا كان التوفيق من نصيبه؛ ليعمل في المجال الدبلوماسيّ أكثر من عقدين، وكان لي خطوات متواضعة ترافق نشاطات اللواء سليمانيّ، أنّه ما زال صعبًا عليّ أن أبارك شهادته فلم أتمكّن حتّى الآن من أن أبارك لأحد شهادته.

أعتقد أنّ التبريك بالشهادة هو للّواء سليمانيّ وحده. وما زلت أرغب في أن أعزّي المخاطبين وأصدقاء اللواء على الأقلّ لأنّ جسده الماديّ والدنيويّ ليس بيننا، صحيح أنّ روحه العظيمة والأثر الذي تركته شهادته تشيران إلى أنّ لواءنا العزيز حيّ، وإلى جانبنا، وهو حاضر في ساحات المقاومة كافّة.

التعارف الأول

قبل عشرين عامًا وبينما كنت أخرج في يوم من الأيّام من المبنى المركزيّ لوزارة الخارجيّة، كان اللواء سليمانيّ يدخله. الظاهر أنّه

كان قد شاهدني وسمعني في بعض البرامج التحليليّة على الإذاعة والتلفزيون.

للوهلة الأولى وبعد السلام والسؤال عن الأحوال، قال: «أنت أمير عبد اللهيان؟» قلت: «نعم»، عانقني بشكل حميميّ وقال: «شاهدت تحليلاتك مرّتين أو ثلاثًا على شبكة الأخبار استمرّ بهذه التحليلات سنحدّد وقتًا ونلتقي» كنت في ذاك الوقت المعاون الأول للدائرة السياسيّة لشؤون الخليج الفارسيّ في وزارة الخارجيّة.

صحيح أنّ الفارق كان كبيرًا بين مستوى اللواء سليمانيّ باعتباره قائدًا لقوّة القدس، وبيني، إلّا أنّ علاقتنا استمرّت، وكان اللواء أحيانًا يتّصل بشكل شخصيّ للتداول في بعض الأعمال. من جملة مميزات اللواء سليمانيّ أنّه كان يتابع بعض القضايا الهامّة بنفسه، على الرغم من وجود سلسلة المراتب وإمكان إيكال الأعمال إلى الآخرين. لعلّ بعض الأعمال في الظاهر بسيطة وصغيرة، أحيانًا هناك حاجة إلى إذن بالسفر لأحد البلدان، وإذن السفر في وزارة الخارجيّة خاضع لطريقة ما، هي في العادة تحتاج إلى التنسيق قبل 24 ساعة من الموعد، في تلك الفترة كان لدى القسم الحقوقيّ في وزارة الخارجيّة خبير طيران، يقوم بهذه الأعمال، فيصدر إحالات يطلق عليها إذن السفر. لعلّ متابعة إذن السفر بالنسبة إلى اللواء سليمانيّ يعدّ عملًا بسيطًا. إلّا أنّه كان شديد الدقّة بالمهمّة الموكلة إليه ممّا يجعله يتابع كلّ شيء شخصيًّا، إذا أدرك أنّ إذن السفر لم يجهز في الوقت المحدّد، فلم يكن مُلزمًا بالاتصال بوزير الخارجيّة على سبيل المثال، أو أن يوجّه اللوم والعتب على عدم إصدار

الإذن، كان يتّصل بي مباشرة ويقول: يا فلان لم يصدروا لنا إذن السفر، الذي يجب أن يُحصّل بعد ساعة؛ أي إنّ متابعته جديّة إلى هذا المستوى.

وصلت هذه العلاقات بيننا إلى مستوى أنّه زارني مرّة أو مرّتين من دون تنسيق مسبق في وزارة الخارجيّة وذلك بهدف متابعة بعض الأمور بعد انتهاء مشاركته في جلسة المجلس الأعلى للأمن القوميّ، فكان جهاز الحماية الشخصيّة في وزارة الخارجيّة يعطيني خبرًا بقدوم اللواء سليمانيّ لزيارتك. وفق القاعدة عندما يزور اللواء سليمانيّ وزارة الخارجيّة، يجب أن يلتقي وزير الخارجيّة، بعد اللقاء قلت له: «لواء، قد يكون وزير الخارجيّة منزعجًا من زيارتك لي في مكتبي، من الجيّد أن تزوره أيضًا». وبما أنّه إنسان متواضع كان يقول: «لا إشكال، سأذهب حتمًا لأراه»، فكان يذهب إلى غرفة الوزير. يسلّم عليه ويتناول كوبًا من الشاي معه ويطلعه على ما جرى.

كان لا يجلس خلف الطاولة

لم تكن روحيّة اللواء سليمانيّ روحيّة الالتصاق بالطاولة. أثناء تشييع جسده الطاهر كان الناس يؤكّدون أنّ اللواء سليمانيّ لم يلتصق بالطاولة. وهكذا كان فعلًا كلّما زرته في مكتبه بجلسة ما، لم أكن أراه يجلس خلف الطاولة. في غرفته مكان للجلوس يتّسع لخمسة أشخاص أو ستّة، فلو زرته فيها لوجدته جالسًا على أحد تلك المقاعد تجمّع الملفّات ومكان وضعها في الغرفة أيضًا كان يشير أيضًا إلى أنّه لا يدرسها خلف الطاولة.

عسكريّ لا شبيه له

إذا أردت الحديث عن خصائص اللواء سليمانيّ، يمكنني القول، ومن دون مبالغة، أوّلًا من الناحية العسكريّة كان جنرالًا بكلّ ما للكلمة من معنى.

وهذا ليس على أساس تحليلي الشخصيّ، بل أتحدّث عن ذلك من وجهة نظر المسؤولين والشخصيّات الأجنبيّة. كان للواء سليمانيّ فرص وأداء إيجابيّ كثير للغاية، سواء في مرحلة الحرب المفروضة أو في مرحلة تعزيز الحدود الشرقيّة ثمّ في مرحلة محاربة الكيان الصهيونيّ المصطنع الذي كان يحلم بتوسيع الأراضي المحتلّة من النيل إلى الفرات. جميعنا يتذكّر قبل سنوات قيام الموساد الصهيونيّ باغتيال العلماء النوويّين في طهران، واليوم الصهاينة مسجونون داخل جدران من الإسمنت يبلغ ارتفاعها ما بين عشرة أمتار واثني عشر مترًا. كذلك إذا أخذتم بعين الاعتبار الدور الهامّ والمحوريّ للواء سليمانيّ في محاربة داعش، فهنا يمكننا مشاهدة الدور المحوريّ المنقطع النظير للواء سليمانيّ في كلّ النجاحات الكبيرة لفريق من مجموعة المقرّ العامّ والرئيسيّ للقوّات المسلّحة والحرس والجيش والأجهزة الأمنيّة في البلد. في سياق مهامه المتعلّقة بإرساء الأمن كان يلتقي أحيانًا نظراءه من الجنرالات الأجانب للتعاون المشترك لا من أجل الحضور وحسب في اجتماعات شكليّة وبروتوكوليّة.

في الحرب مع داعش طلب اللواء سليمانيّ وبعد التشاور مع بشار الأسد، دعم القوّة الجويّة الروسيّة، فجرى الاتّفاق

الاستراتيجيّ بين طهران وسوريا وموسكو. إنّ جزءًا ممّا حصل هو نتيجة التعاون بين اللواء سليمانيّ والجنرالات الروس والسوريّين في غرفة العمليّات المشتركة في دمشق. في الحقيقة قد تبدو مسائل العراق، أفغانستان، فلسطين، لبنان وسوريا مسائل إقليميّة؛ إلّا أنّها ملفّات أمنيّة وسياسيّة ذات أبعاد دوليّة جديّة. كلما سُئل اللواء سليمانيّ عن حدث في سوريا أو لبنان. كان يقدّم إجابات خلافًا للكثير من المتخصّصين الذي ينتقلون إلى لبنان في الإجابة عن سؤال مشابه، إلّا أنّ تحليل اللواء كان يبدأ بتحليله من المستوى الدوليّ، وكان تحليله يعتمد على معلومات دقيقة. وكان يعمّم المطلب على المنطقة، ثمّ كان يبيّن موقع لبنان من التحوّلات الدوليّة الكبيرة بناءً على تلك الرؤية الدوليّة والإقليميّة.

جنرال ذو سمة عالميّة

من جملة الخصائص البارزة للواء سليمانيّ على المستوى العسكريّ أنّه لم يكن لواءً إيرانيًّا فقط؛ بل كان جنرالًا ذا سمة عالميّة للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. وأشهد أنّني عندما كنت ألتقي وفدًا أجنبيًّا سواء ـ كان الوفد سياسيًّا دوليًّا أو أمنيًّا ـ عندما كنت في وزارة الخارجيّة، أو في المكان الذي أنا فيه الآن أي في البرلمان، وعندما كنّا نصل لاتّفاق، كانوا يقولون هل بإمكاننا رؤية الجنرال سليمانيّ عن قرب؟ كان هامًّا لديهم لقاء الجنرال سليمانيّ ولو لدقائق معدودة، والسبب في ذلك ما سمعوه عنه، وقرؤوه في التقارير المحليّة والدوليّة التي تناولت شخصيّته. في اللقاء الأخير الذي جمعني مع السيّدة «فدريكا موغريني» الممثّلة العليا للسياسة

الخارجيّة في الاتّحاد الأوروبيّ، اعترفت بالدور الهامّ للواء سليمانيّ في محاربة داعش.

قلت للسيّدة موغريني: يجب أن تشكروا الجمهوريّة الإسلاميّة، لولا إيران وتضحيات المدافعين عن الحرم وأهالي المنطقة إضافة إلى تضحيات قوّاتنا المسلّحة وحلفاء إيران في العراق وسوريا ولبنان، لما تمتّعتم بالأمن في أوروبا، أنتم الأوروبيّون، يجب أن لا تنسوا، عندما كانت داعش قد سيطرت على عدّة قرى ومدينة أو اثنتين في سوريا والعراق، كانت محطّات المترو في باريس وبروكسل ولندن تفتقد الأمن. وكانت داعش تفجر الحفلات الموسيقيّة التي كنتم تقيمونها.

ولكنّ الأمن عاد، وكان جزءًا كبيرًا منه من نصيبكم في أوروبا وجزءًا آخر من نصيب العالم بأجمعه بفضل التضحيات التي قدّمتها الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران وحلفاؤها.

بعد شهادة اللواء سليمانيّ، كنت كلّما التقيت وفدًا أوروبيًّا، كنت أوجه اللوم إليهم وأقول: أنتم الذين أدنتم الهجوم الصاروخيّ الانتقاميّ لإيران على قاعدة عين الأسد الأمريكيّة في العراق ولم تدينوا اغتيال اللواء سليمانيّ، اعلموا أنّكم بسكوتكم هذا قد أصدرتم إذن استهداف أيّ شخص وكأنّ المجتمع الدوليّ لا يتحمّل أيّ مسؤوليّة في هذا الشأن.

لقاء وفد مصريّ رفيع المستوى اللواء سليمانيّ

بعد انتخاب محمد مرسي لرئاسة جمهوريّة مصر، تقرّر أن تكون هناك محادثات حول التعاون المشترك بين إيران ومصر في المجال التجاريّ.

كنت في ذلك الحين معاونًا لوزير الخارجيّة. سافرت إلى مصر والتقيت الحلقة الأولى المحيطة بالسيّد مرسي، وهم الفريق الأساسيّ لرئاسة الجمهوريّة.

استمرّ اللقاء مدّة خمس ساعات توصّلنا خلالها لاتّفاقات أوليّة للتعاون في المجالات التجاريّة والسياحيّة بين البلدين. ثمّ تقرّر أن تسافر الحلقة المحيطة بالسيّد مرسي إلى طهران لإنهاء الموضوع. وقد حصل هذا الأمر فجاؤوا إلى إيران وحصل الاتّفاق النهائيّ.

يجب أن أشير إلى نقطة وهي أنّ الشعب المصريّ حسّاس جدًّا في موضوع فلسطين. سافرت خلال هذه السنوات سبع مرّات أو ثماني إلى مصر. وكلّما زرت مصر وأردت إقامة مؤتمر صحفيّ، كان رئيس مكتب رعاية مصالحنا في القاهرة يؤكّد ضرورة أن أذكر ولو جملة واحدة دفاعًا عن فلسطين والقدس. في إحدى المرّات سألت بعض وسائل الإعلام عن السبب، فكان جواب مديري التحرير في وسائل الإعلام: إنّ الشعب المصريّ كثير الاهتمام بتحرير فلسطين والقدس الشريف، وإنّه يظهر أعلى مستويات الرضا والسرور عندما يسمع المسؤولين الإيرانيّين وعلى رأسهم الإمام الخامنئيّ يعلنون وبصراحة دعمهم المقاومة والدفاع عنها خصوصًا في حرب الـ 22 يومًا في غزّة وحرب الـ 33 في لبنان. لذلك هناك محبّة خاصّة يكنّها الشعب المصريّ للجمهوريّة الإسلاميّة. على كلّ الأحوال جاء الوفد المصريّ الرفيع المستوى إلى إيران. وبما أنّ ملفّ دعم فلسطين ومواجهة الكيان الصهيونيّ تابع للواء سليمانيّ، لذلك كان الاجتماع به هامًّا بالنسبة إلى الوفد المصريّ. أعضاء

الوفد كانوا ينتمون لحركة الإخوان المسلمين، ويعتبرون أنفسهم ثوريّين. عندما جرى الاتّفاق، خاطبني رئيس الوفد المصريّ قائلًا: لدينا رجاء، نريد أن نلتقي اللواء سليمانيّ ولو لخمس دقائق، من المهمّ عندنا أن نلتقي اللواء سليمانيّ لنجاحه ودوره العمليّ في محاربة الصهيونيّة.

اتّصلت باللواء سليمانيّ وأطلعته على الموضوع. قال: «إذا كنتم تعتقدون بضرورة حصول اللقاء، فأنا جاهز، عندما وصلنا إلى مكان اللقاء، كان اللواء ينتظر أمام باب الغرفة، فعرّفته بهم واحدًا واحدًا بحسب مقامهم الدبلوماسيّ وأرشدتهم إلى داخل الغرفة بعد السلام والسؤال عن الأحوال، أخبروا اللواء سليمانيّ بأنّ هناك اتصالًا ضروريًّا له، تحدّث إليّ وقال: «اجلس دقيقة أو دقيقتين مع السادة لأجيب على الهاتف ثمّ أعود. بعد أقلّ من دقيقة خاطبني رئيس الوفد المصريّ قائلًا: «ألم يأتِ اللواء سليمانيّ حتّى الآن؟» قلت له: «اللواء سليمانيّ هو الشخص نفسه الذي سلّم عليكم أمام الباب» تعجّب، لعلّه كان يتصوّر أنّني اخترعت تمثيليّة وذهبت بهم إلى شخص، وقلت لهم هذا اللواء سليمانيّ.

بعد لحظات معدودة عاد اللواء، وسمعوا منه رؤية استراتيجيّة حول العالم الإسلاميّ، والأمّة الإسلاميّة، وإحياء الحضارة الإسلاميّة، فأدركوا حينها أنّهم جاؤوا إلى المكان الصحيح. عندما انتهى اللقاء وخرجنا خاطبني المصريّون قائلين: «كنّا نتصوّر أنّ اللواء سليمانيّ هو جنرال عبوس وصلف، لم يسبق لنا أن رأينا في حياتنا السياسيّة جنرالًا رفيع المستوى مشهورًا إلى هذا الحدّ على

المستوى الدوليّ، لا بل لم نشاهد مثيلًا له على المستوى الداخليّ من حيث التواضع والمستوى الفكريّ العالي بشأن العالم الإسلاميّ، عندما يتحدّث فهو يتفوّه بكلام استراتيجيّ وعميق».

المسألة التي عرضتها هنا كنت قد طرحتها في إحدى الجلسات، ثمّ شاهدت أنّ بعض الصحف المصريّة قد أساءت فهمها للمسألة، فقالت: إنّ الكلام يعني أنّ إيران تتدخّل في شوؤن مصر الداخليّة، والحقيقة عكس ذلك، أثناء حكومة الدكتور روحاني، وعندما أصبح الجنرال السيسي رئيسًا لجمهوريّة مصر، تقرّر أن أشارك في مراسم أدائه القسم، فذهبت بصفتي معاونًا لوزير الخارجيّة وممثّلًا للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

أثناء المراسم، وعند مصافحة الجنرال السيسي قلت له: «نحن لا نتدخّل في أيّ من أمور بلدكم الداخليّة، كنّا قد عقدنا اتّفاقات مع الحكومة المصريّة السابقة؛ لأنّنا نُقدِّر مصر والشعب المصريّ. لذلك فالاتّفاقات التي حصلت يمكن أن تبقى سارية وجارية كما كانت.

كما أنّنا على ارتباط معقول بالحركات الإسلاميّة الموجودة في المنطقة والعالم نظرًا لدورها في إحياء الحضارة الإسلاميّة (سبق الحديث بشكل مفصّل في النصّ حول هذا اللقاء).

ذكرى لقاء اللواء في دمشق وصحن التين

ذهبت إلى دمشق في أوج تحوّلات سوريا والتقيت السيّد بشار الأسد. عندما انتهى اللقاء أخبرني الأصدقاء في السفارة عن وجود اللواء سليمانيّ في دمشق، وأنّه يرغب في رؤيتي. طبعًا من الجميل

جدًّا مقابلة اللواء سليمانيّ في ساحة الحرب ضدّ الإرهاب، وفي دمشق، جرى اللقاء في وضع كانت دمشق تعيش حالة أمنيّة حسّاسة عندما كنّا نتّجه من المطار نحو المنطقة الآمنة نسبيًّا كانت عشرات قذائف الهاون تتساقط على مسافة عشرين مترًا إلى خمسة أمتار حول طريق المطار حتّى في مركز مدينة دمشق. كذلك كان الوضع في الفندق غير آمن على الإطلاق، بحيث إذا فتحت النافذة ونظرت إلى الخارج شاهدت العديد من الأماكن التي تتصاعد منها النيران أو الغبار وهذا يدلّ على حصول انفجار فيها. كلّ ذلك كان داخل العاصمة لا على أطرافها، أي إنّه داخل دمشق وليس في ريفها.

طبعًا لم يكن بالإمكان الذهاب للقاء اللواء سليمانيّ بتلك السيارة وتلك المجموعة من الحماية والاستقبال. أرسلوا سيارة خاصّة، صعدت إليها وحدي من دون أيّ شخص من المرافقين، في المسار الذي كنا نقطعه للوصول، وقبل توقعي مقابلة اللواء سليمانيّ، كنت أحتمل أنّني سأكون وجهًا لوجه مع داعش، أقول صادقًا إنّ الشوق للقاء اللواء سليمانيّ العزيز غلب على الخوف الطبيعي. في النهاية دخلنا منطقة يبدو من شكلها الظاهريّ أنّها خربة لشدّة العبث بها. ترجّلت من السّيارة فوجدت الشهيد حسين بور جعفري يسرع إليّ بابتسامته الدائمة، بعد السلام والسؤال عن أحواله قال لي: «اركض، اركض، الحاج ينتظر...» حيث كان اللواء سليمانيّ برفقة عدد من قادة حزب الله وأحد الضبّاط السوريّين يخطّطون لتحرير منطقة في أطراف دمشق من الإرهابيّين التكفيريّين، وعندما انتهى لقاؤنا الذي استمرّ قرابة الخمسين دقيقة،

رافقني اللواء إلى الخارج، عند ذلك تحدّث الشهيد بور جعفري فقال: إنّ اللواء يجهّز نفسه للانتقال إلى الخطوط الأماميّة. وهذه واحدة من أبرز مميّزات اللواء فهو ليس كباقي الجنرالات الذين يجلسون داخل مقرّاتهم، بل كان في الخطّ الأماميّ، في هذا الجوّ وهذه الحالة العسكريّة كان اللواء سليمانيّ يقود العمليّات مع فريقه لاسترجاع منطقة هامّة في ريف دمشق، وطبعًا كان يشكّل قلب مركز القيادة وغرفة العمليّات، ومع ذلك فكيف كان سلوكه معي؟ حصلت قصّة بسيطة إلّا أنّها عجيبة، كان الجوّ صيفًا وكان أمام اللواء سليمانيّ وعاء مملوء بالفاكهة. طبعًا فاكهة الشام لها خاصيّة وشهرة خاصّة. وقد جعل الله في هذه المنطقة بركات خاصّة[1].

شاهدت أنّ هناك تينًا داخل وعاء الفاكهة، وأنا ابن القرية وأحبّ التين للغاية، بينما كنت أتحدّث مع اللواء سليمانيّ تناولت أربع حبّات من التين أو خمسًا وأكلتها. وأثناء الحديث نادى اللواء سليمانيّ اللواء بور جعفري وقال: «هل ما زال عندنا تين؟» وحيث إنّ غرفة القيادة قد يبقى الأشخاص فيها مدّة أسبوع أو شهر، فقد كانوا يحتفظون بالطعام، وما يحتاجون إليه، لذلك قال له بور

---

(1) يقول الله تعالى في سورة الإسراء وفي موضوع معراج رسول الإسلام(ص): ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. عندما يرغب أحد في القسم يقول على سبيل المثال: أقسم عليك بأبي الفضل العباس(ع)، أمّا أهالي الشّام وأهل فلسطين عندما يريدون أداء قسم هامّ فيقولون: أقسم عليك بالتين والزيتون أي أقسم عليك بالتين والزيتون اللذين أقسم الله تعالى بهما في القرآن الكريم. لذلك كان التين والزيتون لهما قداسة قرآنيّة بالنسبة إلى أهالي هذه المنطقة (الراوي).

جعفري: «سأذهب لأرى»، ذهب، وبعد قليل، جاء شخص يحمل وعاءً فيه تين، نظرت إلى الوعاء السابق وجدت أنّه لم يبق فيه سوى حبّتين من التين، هذا يعني أنّني تناولت جميع حبّات التين من دون أن أشعر، قلت للواء سليمانيّ: «وكأنّني أكلت كلّ التين الموجود، لم أترك شيئًا لكم» ضحك وقال: «لا، أنا لا آكل التين، رأيتك تحبّ التين فطلبت منهم أن يحضروا لك المزيد، هنيئًا مريئًا» ثمّ أصرّ على أن أتناول المزيد.

انتهى لقاؤنا، ونقلوني إلى المطار كنت أجلس داخل الطائرة عندما جاءت مسؤولة المضيفات، التي يبدو أنّها لم تكن على معرفة باللواء سليمانيّ إلّا أنها تعرفني بسبب إطلالاتي الإعلاميّة وقالت: «لقد أرسل شخص باسم سليمانيّ سلّة كبيرة من التين لك. ثمّ جاؤوا بالسلّة إلى داخل الطائرة، ماذا أفعل بها؟ تعجّبت من السلوك الكريم والحالة الروحيّة الرائعة للواء سليمانيّ، طبعًا يجب عدم التعجّب من سلوكه هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار سلوكيّاته المعتادة، الجميل أنّ اللواء سليمانيّ كان يهتمّ بأدقّ الجزئيّات في وقت كان الاضطراب والقلق الحاكم يصل إلى أوجه.

صحيح أنّ هذه القصة بسيطة إلّا أنّها تحكي عظمة روحه، فهو لواء من مفاخر ثورة الإمام الخمينيّ رحمه الله العظيمة، قلت لمسؤولة المضيفات: «هل يمكن وضع التين في وعاء وتوزيعه على جميع المسافرين؟» جميع المسافرين هم من المدافعين عن الحرم وبعضهم من الجرحى، والباقي قد أنهى مهامّه وهو يعود إلى إيران، أو أنّه يذهب في إجازة محدودة ثمّ يعود، المضيفون لهم عملهم الخاصّ،

قالت السيّدة: «الأمر صعب من الناحية البروتوكوليّة ولكنّي سأقوم بالعمل إذا كان ذلك ممكنًا» وقد قامت بهذا العمل فعلًا.

الجنرال العسكريّ في أيّ مكان في العالم، يجلس في غرفة عمليّاته أثناء المعركة، ولا يهتمّ بمكارم الأخلاق، لكنّ هذا الفعل يدلّ على عظمة روح اللواء سليمانيّ الذي صدر عنه عمل كهذا في أصعب الظروف. وهو عمل يبيّن قمّة اللطف وسعة الصدر والأخلاق المحمديّة.

قصّة أليمة عن سقوط أجزاء هامّة من العراق وتضحيات اللواء

أنا غير متخصّص في الأمور العسكريّة، لكنّني على معرفة بألفباء الدبلوماسيّة، انطلاقًا من هذه المعرفة المتواضعة أقول إنّ اللواء سليمانيّ وفي خضمّ تبحّره بالأمور العسكريّة كان في الحقيقة دبلوماسيًّا ماهرًا. قد يكون الشخص أحيانًا قائد جيش يشرف على قوّات من قوميّات مختلفة من اللور والكرد والبلوش والعرب والترك...في حرب صدّام المفروضة على الجمهوريّة الإسلاميّة. لعلّ العمل في هذا الوضع لم يكن سهلًا؛ إلّا أنّ الجميع يدور حول محور واحد؛ لأنّهم إيرانيّون، العمل مع جمع إيرانيّ هامّ، إلّا أنّه من المحتمل أن لا يكون صعبًا أو معقّدًا، أمّا أن تتمكّن من العمل مع أشخاص من جنسيّات وروحيّات مختلفة في ساحة الحرب المعقّدة ضدّ الإرهاب والصهيونيّة، فهذا أمر هامّ للغاية، اللواء سليمانيّ كان دبلوماسيًّا ماهرًا يعلم كيف يتحاور مع الشخص وبأيّ لغة، فقد يكون مخاطبه عسكريًّا، أو سياسيًّا، أو دبلوماسيًّا.

عندما سقطت الموصل وسيطرت على العراق حالة من الخوف، حيث سقط ثلثا هذا البلد بسرعة، أصبحت داعش على بعد كيلومترات قليلة من بغداد وكربلاء وحدود إيران، بعد أيّام من سقوط الموصل ذهبنا ضمن وفد برئاسة الأدميرال شمخاني إلى العراق. كان القلق باديًا على وجوه المسؤولين العراقيّين الذين تحدّثنا معهم.

شاهدنا القلق واضحًا في كربلاء والنجف، يقولون: إنّ داعشًا على بعد ثلاثين كيلومترًا أو أربعين من كربلاء، وكانت داعش قد تقدّمت في محافظة ديالى فاقتربت من المحافظات الإيرانيّة الغربيّة، بدأت قواتنا المسلّحة تتحرّك فورًا وبأمر من الإمام القائد، القائد العامّ للقوّات المسلّحة، دخلت في عمليّات عسكريّة بعمق أربعين كيلومترًا داخل الحدود المشتركة، وقضت على داعش.

وأصدر آية الله السيستاني فتوى وجوب الجهاد ضدّ الإرهاب، وفي أقلّ من اثنتين وسبعين ساعة كان قد سجّل عدّة ملايين من الأشخاص أسماءهم لمواجهة داعش. هؤلاء بحاجة إلى تدريب وتنظيم، وكان بإمكان العراق أن يقوم بجزء من هذا العمل، إلّا أنّ الجزء الأهمّ كان يجب أن تقوم به الجمهوريّة الإسلاميّة بإدارة اللواء سليمانيّ.

أتذكّر تلك الأيّام ومع كلّ الاحترام والتقدير الذي كان يكنّه اللواء سليمانيّ لروحيّات الإخوة العراقيّين فقد كان يؤكّد على ضرورة الصبر في التعامل مع الإخوة العراقيّين في سبيل إعدادهم لمحاربة داعش.

وهذه قضيّة في غاية الأهميّة، كان اللواء سليمانيّ يعتقد أوّلًا: أنّه يجب الاستفادة من العراقيّين أصحاب الدوافع العالية وأصحاب الاعتقاد. ثانيًا: يجب عدم الملل في العمل حتّى يكون جميع المشاركين في العمليّات على قلب واحد. وهذا يدلّ على فهمه العميق وإدراكه الصحيح لوضع المجتمع العراقيّ وروحيّات أهالي هذا البلد وأوضاعهم النفسيّة والاجتماعيّة. نعم، لو سألتم اللواء سليمانيّ عن الروس، لقدّم تعريفًا آخر، وكان يتحدّث عن الإخوة المجاهدين الأفغان بشكل إيجابيّ ودقيق، كما كان له حديث آخر عن اللبنانيّين والفلسطينيّين.

كان يتحدّث مع مسؤولي الدول انطلاقًا من هذه التجارب والمعرفة التي يحملها.

في المجال الدبلوماسيّ

قد يقول بعضهم إنّ هذه المواصفات والمميّزات لقدرات اللواء سليمانيّ صحيحة؛ ولكن لماذا كان الجنرال سليمانيّ يتابع المحادثات السياسيّة؟ ألا يجب أن تكون المباحثات السياسيّة في عهدة وزارة الخارجيّة؟ الجواب: إنّ هذا الأمر صحيح، فالمحادثات تقوم بها الأجهزة الدبلوماسيّة في البلد، ولكنّ اللواء سليمانيّ كان له يد ورأي في التنسيق على أعلى المستويات في جميع الأمور بسبب المكانة التي كان يمتلكها. كما أنّ الطرف المقابل كان شديد الاهتمام بمقابلة الشخص الذي يحارب الإرهاب والذي يدعمه 81 جهازًا أمنيًّا عالميًّا وإقليميًّا الشخص الذي يقوم

على رأس فريق الاستشارات. طبعًا، وقبل كلّ شيء كانت وزارة الخارجيّة والدبلوماسيّون فيها يتحاورون مع الدبلوماسيّين الأجانب.

وهذا جزء آخر من العمل الذي كانت تقوم به وزارة الخارجيّة؛ لتفتح الطريق للتعاون ولتتمكّن الأجهزة الأخرى من أداء مهامّها في إطار استراتيجيّات النظام. فعندما ترغب وزارة التجارة أن تعقد اتّفاقًا لا تبادر وزارة الخارجيّة للحديث عن التفاصيل، بل تهيّئ الظروف ثمّ توكل الأمر إلى الوزارة المختصّة. عند ذلك يُعقد اجتماع بين وزارتي التجارة في البلدين وتجري بينهما مباحثات تخصّصيّة ثمّ يجري توقيع الاتّفاق، وفي النهاية تُرسل نسخة عن الاتّفاق للجهاز الدبلوماسيّ بهدف المتابعة.

كان اللواء سليمانيّ دبلوماسيًّا ماهرًا في المحادثات. عندما تقرّر أن تنضمّ القوّة الجويّة الروسيّة إلى سوريا وإيران وحزب الله لبنان لمحاربة داعش في سوريا، كان على عاتق السوريّين جزء من العمل، إلّا أنّ الجزء المهمّ من هذا العمل أنجزته الجمهوريّة الإسلاميّة. إنّ إقناع دولة كروسيا كانت تشكّل إمبراطوريّة في يوم من الأيّام تسمّى الاتّحاد السوفياتيّ، هو بحدّ ذاته عمل هامّ ومعقّد ويحمل أكثر من مستوى. يجب أن تقتنع روسيا بأنّ لها مصلحة بالتدخّل العسكريّ لتُقدِم عليه، من جهة أخرى فإنّ إدخال العسكر في الحرب أثناء المحادثات الرفيعة المستوى هو عمل صعب للغاية. إنّ إدخال روسيا في حرب سوريا، يعني أنّ جنودهم وضبّاطهم سيقتلون، وأنّ عليهم أن يتحمّلوا خسائر كبيرة؛ لذلك يجب أن تكون محاورًا قديرًا لتتمكّن من إقناع بلد بالالتحاق بحلف

لمحاربة الإرهاب في سوريا، وأنّ ذلك يقع ضمن أمنه القوميّ، وتزداد صعوبة الأمر عند تعقّد الظروف حيث يصطفّ 81 بلدًا في الجبهة المقابلة لسوريا، يُسخّرون كلّ أموالهم وإمكانيّاتهم وإعلامهم لإسقاط النظام في سوريا؛ لذلك لم يكن للّواء سليمانيّ نظير في المباحثات السياسيّة.

[illegible]

في عام 1386 (2008) وبعد خمس سنوات من احتلال العراق، وجد الأمريكيّون أنّ معضلتهم الأساسيّة في العراق تكمن في فقدان جنودهم الأمن.

كان الأمريكيّون يمتلكون تصوّرًا خاصًّا عن أهل المنطقة وقد جاؤوا إلى العراق بهدف النفط ولأهداف أخرى أيضًا، وأطلقوا على عمليّة احتلالهم العراق تسمية «إعادة الديمقراطيّة إلى العراق». بالتدريج وصل الأمريكيّون إلى مرحلة في العراق، أصبحوا لا يملكون الجرأة والفرصة لجمع أجساد جنودهم من الشوارع، شكّلت غيرة العراقيّين وروحيّة الاستقلال ومعاداة المحتلّ مشكلات كبيرة للأمريكيّين. طبعًا حضور المحتلّ الأمريكيّ أوجد مشكلات كبيرة لجيراننا وأصدقائنا في العراق. في تلك المرحلة أصرّ أصدقاؤنا العراقيّون وعبر قنوات متعدّدة على إجراء حوار بين إيران وأمريكا بخصوص أمن العراق. في النهاية، وافق الإمام القائد على طلب الأصدقاء العراقيّين، على أن تكون المباحثات بحضور الجهة العراقيّة وليس بشكل ثنائيّ في بغداد، وكان بعض أفراد الفريق

الإيرانيّ من لواء القدس. تولّى السيّد قمّي، سفيرنا في بغداد آنذاك المحادثات من قبلنا. أمّا الجزء الأمنيّ للمحادثات فكان منوطًا بأمانة سرّ المجلس الأعلى للأمن القوميّ. يضاف إلى ذلك جزء يتعلّق بوزارة الخارجيّة فحضرت أنا مع اثنين من المساعدين. في تلك الفترة كان اللواء سليمانيّ على رأس لواء القدس، وكان الدكتور لاريجاني أمينًا عامًّا للمجلس الأعلى للأمن القوميّ. وقد حصل بيننا وبين هذين العزيزين جلسات مشتركة. كان اللواء سليمانيّ مسؤولًا مباشرًا عن توجيه ملفّ المحادثات بين إيران وأمريكا والعراق. ما زلت أحتفظ بالأوراق التي كتبتها في تلك الجلسات. لعلّي أنشرها في مكان ما، يومًا من الأيّام. وقد أعدت قراءتها بعد شهادة اللواء سليمانيّ، كان اللواء سليمانيّ وفريقه يعملون عشرات الساعات إذا ما أردنا التباحث مدّة ثلاث أو أربع ساعات مع الأمريكيّين، فيعقدون الجلسات ويدرسون القضايا من أبعادها كافّة. كانوا يدرسون كلّ الاحتمالات التي قد يطرحها الأمريكيّ. كان يعتقد بضرورة أن يكون التباحث منطقيًّا. وهذا بعينه أحد تعليمات الإمام القائد الخامنئيّ، فكان يعمل به بدقّة. من جملة الأمور التي كان يشدّد عليها أن تكونوا منطقيّين أثناء المحادثات وأن تراعوا الآداب الإسلاميّة والدبلوماسيّة، بحيث إذا أراد الفريق الأمريكيّ (المؤلّف من CIA، البنتاغون، وزارة الخارجيّة، ومختلف الأجهزة الأمنيّة والسياسيّة الأمريكيّة) كتابة تقرير لمؤسّساته عن مباحثاتكم يقول: إنّ الإيرانيّ كان يحاور على أساس المنطق والقوّة. القضيّة الهامّة أنّ مسؤول المحادثات مع أمريكا

ووفق القاعدة يجب أن يكون دبلوماسيًّا بارزًا، إلّا أنّ هذه المسؤوليّة قد ألقيت على عاتق اللواء سليمانيّ.

من جملة ميّزات اللواء سليمانيّ الأخرى أيضًا أنّه كان سياسيًّا بارعًا؛ هو سياسيّ معتقد بالعمل السياسيّ الدينيّ. يردّد الدبلوماسيّون مصطلحًا فيقولون: قد يكون شخص ما دبلوماسيًّا جيّدًا إلّا أنّه سياسيّ سيّئ، وقد يكون آخر سياسيًّا جيّدًا إلّا أنّه دبلوماسيّ ومحاور سيّئ، وهناك كثيرون في العالم يجمعون بين البعدين؛ أي أن يكون سياسيًّا جيّدًا ودبلوماسيًّا جيّدًا وماهرًا. وهذه كانت خاصيّة اللواء سليمانيّ. فهو جنرال، وفي الوقت عينه سياسيّ جيّد ودبلوماسيّ محترف ومحاور قويّ.

عندما أقول إنّ اللواء سليمانيّ سياسيّ جيّد وقد أقصد أنّه كان يدرك جيّدًا كيفيّة بناء السياسة الدوليّة اليوم، وكيف يفكّر المجتمع الدوليّ، وقد كان يقول: ما هو تكليفي في إيجاد الأمن؟ مهمّة اللواء سليمانيّ وبكلمة واحدة، هي تأمين الحدّ الأكبر من الأمن القوميّ والمصالح الوطنيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في المنطقة والعالم. اليوم قد تغيّرت الكثير من المفاهيم والأساليب. في وقت ما لم تكن ظاهرة الإقامة في الأبراج رائجة في طهران. كان الناس يعيشون في بيوت من طابق أو اثنين أو ثلاثة. فإذا احترق بيت في الزقاق العاشر من الشارع الذي أعيش فيه أنا وأنت، لا يشعر سكّان الزقاق الخامس عشر بأنّهم مهدّدون بامتداد الحريق إلى بيوتهم. ولكن إذا احترق طابق في برج مؤلّف من أربعين طابقًا، فعندئذٍ وجبَ إخلاء البرج بأكمله.

لا يمكن لشخص يسكن في الطابق الثاني أن يقول إنّ الحريق في الطابق الثاني عشر ولن يحصل لنا أيّ شيء، وهكذا هي حال القضايا الأمنيّة في المنطقة من حيث مشابهتها بالقضيّة الأمنيّة للبرج السكنيّ.

إذا كان مقرّرًا اليوم إسقاط النظام السياسيّ في سوريا من خلال الإرهاب، لا يمكن القول: ما علاقتنا بتغيير هذا النظام السياسيّ؟ ولماذا يجب أن تذهب قوّاتنا للقتال في سوريا؟ ولماذا يجب أن نذهب إلى خلف جدران الإسمنت التي بناها الصهاينة؟ لماذا لا نصنع المتاريس داخل حدودنا؟ هذه الأسئلة والقضايا غير جديرة بالنقاش.

عندما كانت داعش تحارب في سوريا والعراق وتتقدم، سمعت عشرات المرّات على لسان اللواء سليمانيّ في الجلسات قوله: لنتذكّر، اليوم ليس هو الوقت الذي نتمكّن فيه من الدفاع عن الأمن القوميّ للجمهوريّة الإسلاميّة خلف حدود مهران وتشذابه. إنّ القضايا الأمنيّة في المنطقة متّصلة بعضها ببعض بشكل كامل. إنّ أيّ اختلال أمنيّ في أيّ جزء من المنطقة سيؤثّر في أمننا القوميّ؛ كما هي حال ساكني البرج المؤلّف من أربعين طابقًا؛ لذلك يجب إدراك الصلات في الأبحاث الأمنيّة.

اليوم يجب أن نخطو أكثر نحو الأمام وقد يتطلّب الأمر أن نتحرّك نحو قلب الشرق الأوسط لنساعد. كلّما كانت المنطقة أكثر أمنًا، نعم بلدنا بالأمن أكثر، لذلك كانت هذه الصلة الأمنيّة في

المنطقة والأمن القوميّ واحدة من المهامّ الكبيرة التي كان يتابعها لواء القدس واللواء سليمانيّ.

من جملة الموضوعات التي تبعث على التعجّب عند الدبلوماسيّين، والعسكريّين والأمنيّين في الخارج، كيف تعيش إيران الهدوء والأمن خلال العقدين الأخيرين مع أنّ أجزاءً من أفغانستان وباكستان عند حدودها الشرقيّة تعيش حالة انعدام الأمن؟ وكذلك حدود إيران الغربيّة، فالعراق ما زال يعاني انعدام الأمن حتّى الآن، وكذلك الوضع في سوريا حيث لم يستقرّ الوضع بشكل كامل.

عندما نتحدّث عن انعدام الأمن في العراق، فذلك ليدرك المخاطب حجم المعضلات التي كانت تواجه اللواء سليمانيّ والأصدقاء العراقيّين والحلفاء في المنطقة، يجب الإشارة إلى أنّ العراق قدّم منذ بداية الاحتلال الأمريكيّ عام 1382 وإلى عام 1397 (2003 ـ 2018م) أكثر من مليون ومئة ألف شهيد. لذلك لم يكن واضحًا عند الدبلوماسيّين والسياسيّين والعسكريّين والأمنيّين الأجانب، كيف تتمتّع إيران بهذا المقدار من الأمن في محيط مليء بالدم والنار؟!

هذه هي المهمّة التي كان يتابعها بدقّة اللواء سليمانيّ والأجهزة العسكريّة والسياسيّة والأمنيّة في البلد. استفاد اللواء سليمانيّ وبشكل ممتاز من استعدادات الأجهزة ذات العلاقة في البلد لمحاربة الإرهاب، أي إنّه استعان بكافّة الاستعدادات والعوامل، وكان دقيقًا في جميع الجزئيّات.

عندما التقيت اللواء سليمانيّ للمرّة الأولى وشجّعني على متابعة تحليلاتي التي كنت أخرج بها للإعلام، فهذا يعني أنّه كان يدرك العلاقة القائمة بين السياسيّ والعسكريّ. يجب الالتفات لكلّ شخص وكلّ موضوع بحسب الهدف الذي يتبعه.

في مجال الأخلاق الإسلاميّة الإلهيّة

يجب أن أضيف إلى كلّ ما تقدّم الأبعاد الأخلاقيّة لشخصيّة اللواء سليمانيّ. في العالم، وفي إيران جنرالات عديدون مشهورون؛ ولكن ما الذي يدفع شخصًا كاللواء سليمانيّ للوصول إلى هذا الموقع؟ أعتقد أنّه يجب البحث عن ذلك في بُعد آخر في شخصيّة اللواء سليمانيّ. وقد تحدّثت عن جزء من ذلك في حادثة التين وغرفة العمليّات العسكريّة في دمشق.

على مستوى السلوك الشخصيّ، كان اللواء سليمانيّ في تعاطيه مع القوّات التي تعمل معه من أهل المحبّة. صحيح أنّه كان يتصرّف من منطلق كونه جنرالًا رفيع المستوى وجديًّا في سلوكه، ويؤدّي مهامّه بشجاعة، إلّا أنّه كان شديد الاهتمام بالأبعاد الأخلاقيّة لكلّ موضوع. واجه هذه السنوات مشاكل كثيرة، كان أحيانًا ينتقل من المهمّة التي يقوم بها خارج البلد إلى طهران، ليقدّم تقريرًا للمجلس الأعلى للأمن القوميّ والإمام الخامنئيّ، ثمّ ينتقل إلى المطار ليعود إلى مكان مهمّته، في هذا الحجم من العمل، ومع كلّ الاهتمام الذي كان يوليه للعائلة، إلّا أنّهم كانوا محرومين أكثر الأوقات من رؤيته.

أحيانًا كانت زوجته المحترمة تعرف أنّ اللواء في مكان عمله فكانت تسعى لإرسال طعام له من المنزل، فمن غير المعلوم بعد

الجلسة؛ هل اللواء سيذهب إلى سوريا أو العراق أو لبنان أم سيبقى في طهران؟ أذكر في أحد الأيّام كنت في جلسة معه برفقة أربعة أشخاص أو خمسة وقد استمرّت جلستنا حتّى وقت صلاة الظهر فجاؤوا بالغداء. كان طعام الغداء موجودًا بشكل طبيعيّ في النظام الإداريّ. ثمّ شاهدت مسؤول مكتبه وقد جاء بوعاء فيه طعام، وضعه أمامه، وقال له: هذا الطعام أرسلته السيّدة لك. كان الطعام طعامًا كرمانيًّا محليًّا. طبعًا كنت أجهل الطعام المحلّي الكرمانيّ. كان شيئًا شبيهًا بالكشك مع الباذنجان.

نهض اللواء سليمانيّ وسكب من ذاك الطعام لنا جميعًا، فبقي نصفه في الوعاء تقريبًا، فنادى مسؤول مكتبه طالبًا منه استدعاء المضيف، جاء ذاك الشخص، ثمّ سأل مسؤول مكتبه، كم عددكم مع الحارس أمام الباب؟ الحارس أمام الباب هو جنديّ عاديّ، ومسؤول مكتبه برتبة لواء. عندما عرف العدد طلب من المضيف الإتيان بصحون على عددهم، ثمّ قسّم الطعام عليها، وطلب منه توزيعها على الجميع بدءًا من الجنديّ الواقف عند الباب وصولًا إلى اللواء الفلانيّ. ثمّ التقط قطعة من خبز (السنكك) ومسح بها قعر الوعاء، إذ لم يبقَ له من طعام البيت إلّا هذا المقدار. خجلت فقدّمت له الصحن الموجود أمامي، وقلت له: خذ هذا، فنأكل معًا. قال: «لا، تناول طعامك بهدوء. فالسيّدة قد أرسلت هذا المقدار إلى هذا المكان، واحتفظت لي ببعضه في البيت». كان هذا حقيقةً نصيب اللواء من الطعام الذي أرسلته زوجته، وهكذا كان يتعاطى بلطف مع المحيطين به.

السفر الأخير إلى بغداد

دعيت للمشاركة في مؤتمر دوليّ حول تحوّلات المنطقة في الخامس عشر من بهمن عام 1397 (2019/2/4) في بغداد. أقيم المؤتمر في فندق الرشيد، وكان البحث فيه حول مستقبل المنطقة. شارك في الاجتماع الأول أحد مسؤولي المملكة العربيّة السعوديّة، وأحد السياسيّين والأكاديميّين الإماراتيين، وأحد المسؤولين العراقيّين إضافة إليّ أنا، حيث كان مقرّرًا أن نتحدّث بعد انتهاء كلمة رئيس الجمهوريّة العراقيّة برهم صالح، اشتدّ النقاش بيننا حول السلوك السعوديّ والإماراتيّ غير البنّاء في المنطقة، ودعم بعض دول المنطقة لداعش.

بعد الجلسة تقدّم نحوي مساعد الدكتور عادل عبد المهدي، رئيس الوزراء العراقيّ آنذاك وقال: «هذا المسؤول السعوديّ وهو مستشار ملك السعوديّة، يرغب في لقائك. هل ترغب في ذلك؟» قلت له: «لا مانع من لقائه» جهّز الصديق العراقيّ مقدّمات اللقاء في إحدى غرف فندق الرشيد، طلبت منه أن يكون حاضرًا في اللقاء مستمعًا فوافق. جرت بيننا وبين المسؤول السعوديّ الرفيع المستوى أحاديث كثيرة. وجّهت إليه اللوم والنقد على سلوكيّاتهم، كما لم تخلُ الجلسة من محادثات إيجابيّة. واتفقنا على أن ننقل الحوار إلى العاصمتين، وأن نتابعها على مستويات أخرى. عندما عدت إلى إيران أخبرت المسؤولين بما حصل من حوار، وتقرّر أن نستمرّ بالحوار، إذا ما قرّر السعوديّون إعادة العلاقات إلى طبيعتها، والمساعدة في حفظ الأمن والاستقرار في المنطقة، ولأنّ الجزء

الهامّ من الحوار يتعلّق بمسائل المنطقة وحدود مُهِمَّة اللواء سليمانيّ، فقد كان له علاقة بالموضوع.

وقد أنجز القسم الدبلوماسيّ المطلوب منه في هذا الشأن. وكان من المقرّر لمتابعة تلك المحادثات والزيارات أن تجري محادثات بتاريخ 13 من دي عام 1398 (2020/1/3) بين الدكتور عادل عبد المهدي، رئيس الوزراء واللواء سليمانيّ، حول هذه المسألة والمطالب التي عرضها السعوديّون على السيّد عادل عبد المهدي. لذلك كانت زيارة اللواء سليمانيّ إلى بغداد بدعوة شخصيّة من رئيس وزراء العراق، والتي انتهت باغتيال الأمريكيّين له.

ورئيس وزراء العراق هو القائد العامّ للقوّات المسلّحة، وهو أعلى مسؤول سياسيّ وتنفيذيّ في البلد، واغتيال اللواء سليمانيّ يعني أنّ الأمريكيّين كانوا غير موافقين على الاتّفاق الإيرانيّ - السعوديّ.

بعد شهادة اللواء سليمانيّ، تحدّثت مع مجموعة من الدبلوماسيّين الأجانب بمن فيهم دبلوماسيّو الأمم المتّحدة، والاتّحاد الأوروبيّ وبعض الدبلوماسيّين المحليّين، وأشرت إلى قضيّة أرغب في ذكرها هنا. عندما استهدف ترامب اللواء سليمانيّ فقد ارتكب عدّة جرائم. أوّلًا الهجوم على سيّارة اللواء سليمانيّ وإحراقها وتدميرها، وكان ردّنا على ذلك إطلاق ثلاثة عشر صاروخًا بالستيًّا دقيقًا على قاعدة عين الأسد. وقد نفّذت الجمهوريّة الإسلاميّة هذا العمل بقوّة الشخصيّة العظيمة للّواء سليمانيّ.

أخبرنا العراق قبل ساعة من الهجوم الانتقاميّ، كنّا لا نرغب في أن يقتل الجنود الأمريكيّون لإيصال رسالة سلبيّة للشعب الأمريكيّ.

علمًا أنّ رؤية النظام، ومن أعلى المستويات تشير إلى ضرورة أن يتلقّى المسؤولون الأمريكيّون ولا سيّما ترامب رسالة صلبة. كان الأمريكيّون يجهلون المكان الذي ستقصفه إيران، أخبرنا العراقيّين ومن منطق القوّة أنّ هجومنا قطعيّ في الساعات القادمة. لذلك كان الأمريكيّون يعيشون حالة استعداد، واستنفار كامل. في تلك الحالة كان بإمكان الأمريكيّ أن يواجه الصواريخ، ويحرف واحدًا منها على الأقلّ عن مساره. ولكنّ تلك العمليّة كانت دقيقة ومعقّدة إلى مستوى أنّ العسكريّين الأمريكيّين وجنرالاتهم ما زالوا يعيشون الحيرة في كيفيّة حصول الهجوم. أصابت الصواريخ الثلاثة عشر أهدافها بدقّة. ولكنّ ذلك لم يكن انتقامًا لدماء اللواء سليمانيّ؛ لأنّ الانتقام لدماء اللواء سليمانيّ، وكما أعلن الإمام القائد الخامنئيّ، خروج القوّات الأمريكيّة من المنطقة، وهو أمر سيتحقّق قطعًا. اليوم تعمل وسائل الإعلام المرتبطة بأمريكا والصهيونيّة بأساليب عديدة بدءًا من الكليّات إلى الإعلام والجواسيس والمسؤولين الرسميّين لمعرفة كيف سيجري إخراج أمريكا من المنطقة؟ أنا أملك الجواب عن هذا السؤال وأتمكّن من القول، كما أصابت الصواريخ الثلاثة عشر البالستيّة أهدافها بدقّة من دون أن يتمكّن الأمريكيّ من الادّعاء بحرف مسير أحدها، سيخرج الأمريكيّون من المنطقة، وهو أمر قطعيّ بحول الله وقوّته. وهو عمل تستحقه شخصيّة الشهيد سليمانيّ، فهو انتقام له سيتحقّق إن شاء الله تعالى.

ولكن، ماذا فعل اللواء سليمانيّ حقيقة؟ لقد لعب دورًا هامًّا خلال حياته المباركة، منذ مرحلة الدّفاع المقدّس حيث تولّى مسؤوليّات عسكريّة مختلفة، لقطع أيدي المعتدين عن هذا البلد، إذا راجعنا تاريخ الحروب الأخيرة، فلن نجد حربًا شنّت على إيران، ولم تقتطع جزءًا منها، منذ تاريخ الحروب والاتّفاقات الخيانيّة للقاجاريّين إلى البهلويّين الذين تخلّوا عن أجزاء من إيران تحت مسمّيات الاستفتاء ـ كالبحرين مثلًا ـ إذ كانت تنفصل أجزاء عن إيران، لكن وخلال ثماني سنوات الحرب المفروضة، إذ كانت الدول العظمى تدعم صدّامًا، وكانت الدول العربيّة كلّها باستثناء سوريا إلى جانبه، كان بعض الأفراد كاللواء سليمانيّ قادة الفرق، وكان هناك عظماء آخرون نُقشت صورهم وأسماؤهم في شوارع مدننا كافّة.

هي الحرب الوحيدة في تاريخ القرون الأخيرة في إيران التي لم يسمح فيها بسلخ ميلميتر واحد من الأراضي الإيرانيّة. لا يمكن نسيان دور الشهداء، الشعب، الغيرة الوطنيّة والدينيّة، وبعض الشخصيّات كاللواء سليمانيّ في هذه المعركة.

قصة ذهاب اللواء إلى المحكمة

هنا أرغب في سرد قصّة ليعلم القارئ إلى أيّ مدى كان إيمانه بالقانون والجمهوريّة الإسلاميّة؟ في أحد الأيّام كنّا في جلسة عند اللواء سليمانيّ، قبل أن تنتهي الجلسة قال: «يجب أن أذهب، عندي محاكمة» سألت: «تريد الذهاب إلى المحكمة؟» قال: «نعم»، ثمّ أخذ ورقة عن الطاولة ووضعها في جيبه. قلت: «أنت

تمزح» قال: «لا» ثم أخرج ورقة استدعائه. علمت أن المحكمة قد استدعت اللواء سليمانيّ.

في الحقيقة، كان يشغل منصبًا يمكّنه من اتّخاذ محامٍ حتّى لو كان استدعاؤه من أعلى المحاكم. كما أن القسم الحقوقيّ في قوّات القدس بإمكانه متابعة هذا العمل. قلت: «إذا لم تبق أنت في الجلسة، يصبح العمل صعبًا؟» أجاب: «يجب أن أذهب لجلسة المحاكمة، استمرّوا بجلستكم، سأذهب ثمّ أعود. المحكمة هي محكمة الجمهوريّة الإسلاميّة، يجب عليّ احترامها والذهاب إليها بنفسي».

كان يكرّر دائمًا: «ستكون عاقبتكم إلى خير؛ لأنّكم تعملون لهذا النظام. عليكم الإخلاص في العمل»، كانت نظرته للنظام والإمام القائد نظرة عقائديّة خاصّة.

من الجميل أن تعرفوا لماذا استدعي إلى المحكمة؟ كان في مرحلة من المراحل مسؤولًا عن محاربة الأشرار، والإرهابيّين، ومهرّبي الموادّ المخدِّرة على حدود إيران الشرقيّة، وكانت وظيفته تهدئة الحدود وإيجاد حالة من الاستقرار والأمن فيها. كان الجميع يعتقد أنّه شجاع للغاية في أداء مهامه. في إحدى العمليّات التي كانت تجري ضد قافلة من الإرهابيّين والأشرار، فرّ هؤلاء إلى حدود إحدى الدول الجارة. وكانت عادة الإرهابيّين القيام بعمل كهذا، من جهة أخرى أرسلت الأجهزة الرسميّة تحذيرات متعدّدة لتلك الدولة بعدم السماح لهم بدخول أراضيها، وأنّ عليهم أن يسلّموهم لنا إذا ما فرّوا والتجؤوا إلى أراضيهم. بعد تجاهل البلد

المعنيّ لهذه التحذيرات، في النتيجة، وفي إحدى العمليّات، قرّر اللواء التوغّل في عمق أراضي الدولة الجارة لتعقّب الأشرار. وقد شهدت تلك المنطقة حالة من الهدوء سنوات عديدة إثر هذه العمليّات، أمّا اللواء فكان عسكريًّا، والعسكريّون عليهم الحصول على إذن القيادة وبحسب الرُّتب إذا ما أرادوا الخروج من البلد. فجرى إرسال شكوى للنظام القضائيّ العسكريّ، بأنّ اللواء سليمانيّ قد خرج من البلد من دون الحصول على الإذن المطلوب، خاطر اللواء في هذه العمليّات إلى حدود كبيرة بهدف الحفاظ على أمن البلد، لكن ولأنّه يعتقد بقانون نظام الجمهوريّة الإسلاميّة، فقد شارك في جلسة المحكمة للإجابة عن الأسئلة بخصوص هذا الاتّهام. علمًا أنّ جلسة ذاك اليوم التي تُعقد قبل ذهابه إلى المحكمة كانت هامّة للغاية. لو كنت مكانه وكنت أشارك في جلسة أقلّ من مستوى تلك، لقلت اليوم غير قادر، ليكن الأمر الأسبوع القادم، أمّا اللواء فلم يفعل هذا.

اللواء والأمن المستقرّ في المنطقة وإيران

أعود إلى السؤال: ماذا فعل اللواء لأجل إيجاد الأمن المستقرّ للبلد، والمساعدة في استقرار المنطقة؟ في الحقيقة، دعم محور المقاومة، وعكس التوازن الذي كان لمصلحة الكيان الصهيونيّ بشكل كامل.

قام اللواء بعمل جعل الكيان الصهيونيّ الذي كان يحلم بدولة من النيل إلى الفرات، سجينًا داخل جدران أوجدها لنفسه في الأراضي المحتلّة وهذا ما يشاهده العالم.

انطلقت الجمهوريّة الإسلاميّة بداية من الرؤية الاستراتيجيّة للإمام القائد الخامنئيّ، وبتنفيذ اللواء سليمانيّ، أصبح بفضله حلفاؤنا يكمنون خلف جدران فلسطين ألمحتلّة، إنّ الذي فعله اللواء سليمانيّ من أجل تحقّق أمن البلد، جعلكم لا تسمعون اليوم، أنّ عناصر الموساد يُمارسون الاغتيال بحقّ علمائنا النوويّين، ونخبنا وشخصيّاتنا الوطنيّة؛ علمًا أنّ العالم العربيّ بأكمله لم يتمكّن طيلة العقود السبعة الأخيرة من الصمود في وجه إسرائيل مدّة ستّة أيّام؛ إسرائيل التي لم تكن تمتلك شيئًا آنذاك، فسقطت الجيوش العربيّة أمامها كالجيش المصريّ، ثمّ اتّجه البعض أمثال أنور السادات، رئيس جمهوريّة مصر نحو معاهدة كامب ديفيد الخيانيّة.

ما يُؤسَف له أنّ بعض المدّعين يقفون اليوم داعمين لصفقة القرن، أمثال حكّام المملكة العربيّة السعوديّة الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «خادم الحرمين» بغير وجه حقّ، كما أنّ عددًا من سفراء دول الخليج الفارسيّ حضروا مؤتمر الإعلان عن هذه الصفقة. ولكنّ الحقيقة المدوّية أنّ إسرائيل قد حبست داخل سجن جدرانه من إسمنت. لذلك يمكن القول وبصوت عالٍ إنّه على أثر تأسيس محور المقاومة وقوّته وانطلاقًا من دور اللواء سليمانيّ، فقد اختلّ التوازن القائم ما أدّى إلى إلحاق الضرر بأمريكا وحليفتها الأصليّة إسرائيل في المنطقة. هذا أحد إنجازات الأعمال التي قام بها اللواء سليمانيّ.

استعان اللواء سليمانيّ في هذا المسار بجميع طاقات المنطقة؛

بدءًا من حماس والجهاد الإسلاميّ في فلسطين، إلى حزب الله في لبنان، وتعبئة المدافعين عن الحرم، وإضافةً إلى القوّات المسلّحة، والقوّات الشعبيّة في كلّ من العراق وسوريا و...

تبرز عظمة اللواء سليمانيّ في أنّه تمكّن من تنظيم هؤلاء، وجعلهم على قلب واحد، واستفاد من هذه الطاقات ووجّهها ضمن مخطّط تصب مصلحته في خدمة العالم الإسلاميّ، والمنطقة والأمن العالميّ كلّ ذلك انطلاقًا من كونه مستشارًا وقائدًا بارعًا. أمّا من الناحية الاستراتيجيّة، فإنّ العمل الهامّ الذي تركته شهادته، هو أنه وفي حياته المباركة جعل التوازن الأمنيّ يضرّ بإسرائيل ويصبّ في مصلحة العالم الإسلاميّ، واليوم بعد شهادته، أصبحنا قادرين على الحديث عن ترتيبات سياسيّة وأمنيّة جديدة تحت اسم محور المقاومة في المنطقة؛ المحور الذي يشمخ عاليًا في مواجهة داعش برغم الدعم العلنيّ وغير العلني لها من 81 بلدًا.

تغيير الموازين السياسيّة نحو ضرر أمريكا والصهاينة

حصل أمر هامّ بعد شهادة اللواء وهو ضرب الهيبة الأمريكيّة. استعان الأمريكيّون بالدعاية والكذب والإمبراطوريّة الإعلاميّة وأرسلوا لنا الرسائل بعد شهادة اللواء سليمانيّ تتضمّن التحذير من أيّ ردّ انتقاميّ قد تقوم به إيران. ثمّ كان كلام السيّد ترامب عبر الإعلام، وبشكل واضح حيث هدّد بضرب 51 مركزًا ثقافيًّا مهمًّا داخل إيران، إذا حاولت إيران الانتقام؛ لكن وعلى مستوى آخر، كان الأمريكيّون يرسلون الرسائل عبر وسائط ليبلغونا بأنّنا سنقدم لكم الامتيازات الفلانيّة إذا لم تلجؤوا إلى الانتقام.

في الدرجة الأولى شاهدت أمريكا الانتقام لشهادة اللواء سليمانيّ على أكبر قواعدها الاستراتيجيّة في المنطقة، وبالتالي سقطت هيبة الأمريكيّ. الجميع شاهد ترامب يتحدّث عبر التلفزيون بعد إصابة الصواريخ البالستيّة الإيرانيّة الدقيقة لأهدافها، وكان قد جمع إلى جانبه المسؤولين السياسيّين والأمنيّين والجنرالات. ظنّ الجميع أنّ ترامب سيعلن الحرب. إلّا أنّ ترامب الذي وضع الهيكل السياسيّ والأمنيّ والعسكريّ الأمريكيّ خلفه، جاء ليقول: لا أريد الحرب مع إيران. أعلى ما تمكّن من الوصول إليه زيادة الحصار، الأمريكيّ نفسه الذي كان يهدّد بضرب أكثر من خمسين مركزًا إذا قصفت إيران، لم يتمكّن من القيام بأيّ عمل بعد حصول ذلك وبالتالي لم يتمكن من الحفاظ على أمنه.

غرق الأمريكيّ في الفضيحة إلى مستوى أصبحت دول منطقتنا كافّة، وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينيّة تقول: إنّ الأمريكيّ عاجز عن تثبيت قبّعته على رأسه، فما هي المساعدة التي بإمكانه أن يقدّمها لنا خلال الحرب أو عند الأزمات؟

انتقمنا لسيّارة اللواء سليمانيّ عندما قصفنا قاعدة عين الأسد الأمريكيّة. إلّا أنّ الانتقام لدماء اللواء سليمانيّ وأبي مهدي المهندس فعلى الطريق... وستبقى ذكراه خالدة في التاريخ. إن شاء الله.


ملحق الصور والوثائق



1. لقاء بشار الأسد بالسيّد القائد في العام 2019



2. لقاء بشار الأسد بالسيّد القائد في العام 2019



1. قال لي بشـــار الأسد: " في العام المنصرم سافر عدد من العلماء من أهل السـنّة إلى إيران والتقوا بالسيّد القائد. لقد أمدّهم هذا اللقاء الودّي واستدلالات السيّد القائد وسلوكه الأبويّ تجاههم بطاقة مضاعفة وأثّر بهم كثيرا فعادوا إلى سـوريّة و تابعوا نشـاطاتهم بقوّة مضاعفة وإيمان أكبر من قبلٍ كل في مذهبه الخاص، فلم تجد الفتنة الّتي أراد الأعداء إيقاظها مجالاً للظّهور".



2. لقائي بالسيّد حسن نصرالله أمين عام حزب الله في لبنان





1. لقائي بالسيّد حسن نصرالله أمين عام حزب الله في لبنان بصحبة شهيد حادثة منى سفير إيران السابق في لبنان، الدبلوماسيّ الثوريّ الشهيد الدكتور ركن آبادي.



2. طهران، في مراسم تقبّل التعازي بوالدة اللواء سليماني

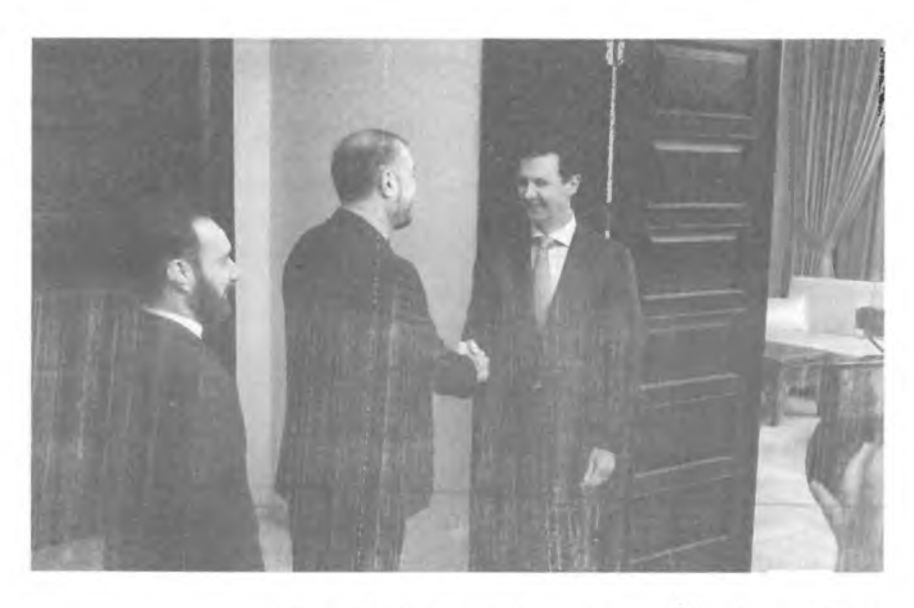
وقد استمرّت علاقتنا على الرغم من الاختلاف في الرتب بيني و بين اللواء سليماني بصفته قائد قوّة القدس.



من بين جهود النظام في سورية كان دور اللواء سليماني ذو تأثير فائق



1. قال لي: "لقد شاهدت تحاليلك المتلفزة بضع مرّات، استمرّ بذلك فهي مساعِدة. سوف نتّفق على موعد لنلتقي.



2. لقاء بشار الأسد رئيس الجمهوريّة السوريّة.



1. المحادثات مع بشّار الأسد رئيس الجمهوريّة السورية



2. المشـــورة المســـتمرّة مع رئيس الجمهوريّة السوريّة كانت من توصيات السيّد القائد الدائمة للمـــستويات العليا من المسؤولين ويتابعها اللواء سليماني مع الأجهزة المختصّة.



1. لقاء أمير الكويت وتسليمه رسالة الرئيس روحاني. كان الكويتيون يسعون لاتّباع سياسة معتدلة، فعّالة وبنّاءة.



2. لقاء ميشال عون رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة



1.محادثات مع ميخائيل بوغدانوف الممثل الخاص للرئيس الروسيّ في شؤون الشرق الأوسط وأفريقيا



2. لقاء ومحادثات مع وزير الخارجيّة الصينيّ في الوزارة في بكين





*1. لقاء وليد المعلّم وزير الخارجيّة السوري



2. لقاء فيصل المقداد قائم مقام وزارة الخارجيّة السوريّة



1.سويسرا، مونترو_ مؤتمر الصلح والأمن العالميين



2.لقاء ميشال سليمان الرئيس اللبناني الأسبق



في استقبال المرحوم كوفي عنان المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في شؤون سورية خلال زيارته إلى إيران



1. فندق اســـتقلال طهران، في اللقاء التشاوري في طهران حيث شـــارك أكثر من 170 ممثل عن المعارضين والأحزاب والمجموعات والمجتمع المدني، وكان الدكتور صالحي وزير الخارجيّة آنذاك يواكب التحوّلات بجدّيّة



2. اللقاء الدوليّ حول سوريا "الحلّ السياسيّ_الاستقرار الإقليمي"، فندق آزادي العام 2012



1. المؤتمر الدوليّ حول سوريا "الحلّ السياسيّ_الاستقرار الإقليمي" العام 2012



2. لقاء عبدالفتّاح السيسي الرئيس المصريّ



1. لقاء بان كي مون أمين عام منظم الأمم المتحدة حيث أجريت حوارًا معه



2. لقاء الوفــد الخاص المبعوث من منظمــة الأمم المتحدة إلى سوريا. 1398



1. المحادثات مع كوفي عنان الأمين العام الأسبق للأمم المتّحدة



2. خلال لقاء السيّدة ماشابانة وزيرة الخارجيّة في أفريقيا الجنوبيّة والحوار معها. تكلّمت ناقدة عن دور النســاء في إيران فشــرحت لها أنّني أغسل الأطباق أحيانا بينما زوجتي في الجامعة، ضحكت مطولا وتناست كلام زميلتها في الدراسة كوندوليزا رايس المناهض لإيران.



1. لقاء المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا، دي ميستورا و الحوار معه



2. من لقاء وحوار لي مع عمّار الحكيم الرئيس الحاليّ لتيار الحكمة الوطنيّ العراقيّ



1. لقاء وحوار مع شـــهيد المقاومة رمضـــان عبدالله الأمين العام السابق لحركة الجهاد الإسلاميّ



2. لقاء جمع من قادة حماس في السفارة الإيرانية في بيروت



1. لقاء وحوار مع أبو مازن رئيس الحكومة الفلسـطينيّة _عمان، الأردن



2. في استقبال الرئيس التركيّ أردوغان في مطار مهرآباد



1. في استقبال الرئيس التركيّ أردوغان في مطار مهرآباد



2. كانت السيّدة موغريني على معرفة جيّدة بمنطقتنا. تحاورنا في العام 1369 عندما حضرت إلى طهران لمراسم أداء الرئيس روحاني القسم، على هامش الاجتماع. قبل ذلك أيضًا سبق أن أجرينا مباحثات مطوّلة في مقرّ الاتحاد الأوروبي في بروكسل.



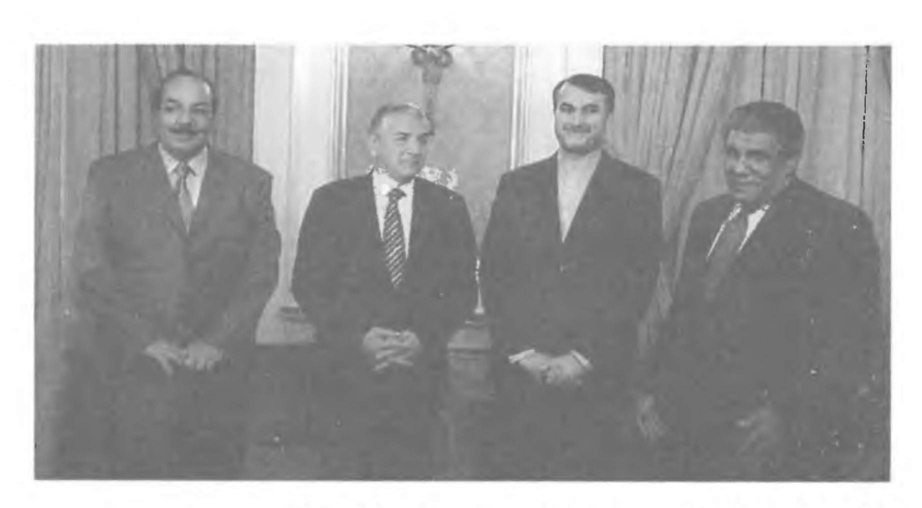
1. ثلاث جــولات من المفاوضات في طهران ودمشــق وجينيفا، أثمرت نتائجٍ كبيرة لسوريا.



2. المفاوضات الثلاثيّة بين إيران وسويسرا وسوريا



1. لقاء مع السيّد نبيه برّي رئيس المجلس اللبناني



2. اللقـــاء الرباعي لمعاونـــي وزراء خارجية إيـــران ومصر وتركيا والسعوديّة في القاهرة



1. زيارة الأخضر الإبراهيمي المبعوث الأممي الخاص في شـــؤون سوريا إلى إيران



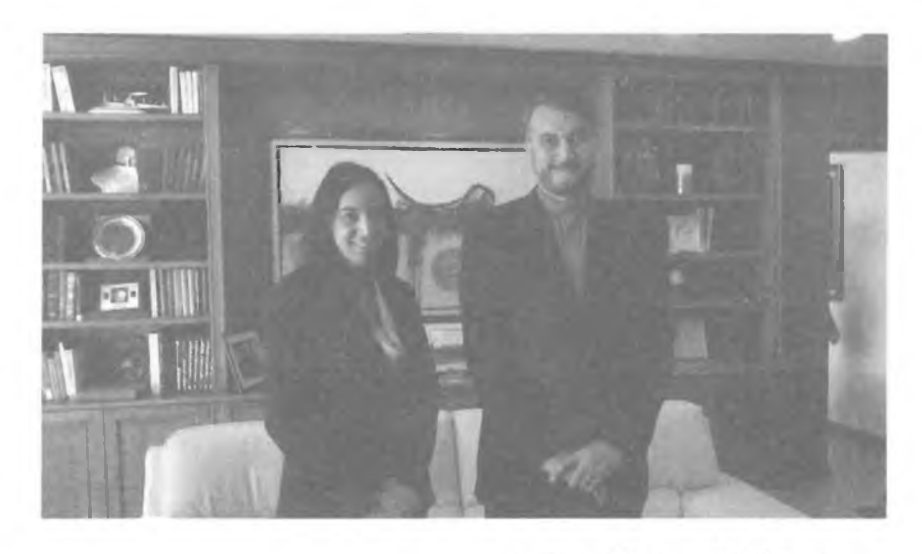
2. مؤتمر وزراء خارجيّة منظمة التعاون الإسلامي في الكويت



1. المؤتمر الدولي لدعم النازحين السوريين في الكويت



2. لقاء السـيّدة سـيغريد كاخ ممثلة الأمم المتحدة لنزعِ السلاح الكيمائيّ OPCW في طهران



1. وزيرة الخارجية المغربيّة_ الرباط



2. مؤتمر صحافيّ



1. عمل الصحافيون وممثلي وســائل الإعلام بجدّ لنقل مجريات المؤتمر الدولي لدعم سوريا_ فندق آزادي



2. دعم سوريا والتنديد بالحرب الإرهابيّة_الإعلان عن موضع إيران في اجتماع الكويت



1. مسجد رأس الحسين في القاهرة، الشعب المصري يكنّ الاحترام والمودّ لأهل البيت(ع)



2. مقام السيّدة زينب(س) في القاهرة قبلة الزائرين



1. مزار مالك الأشـــتر صحابيّ الإمام علي عليه السلام في منطقة القليوبيّة شمال شرقيّ القاهرة



2. شرب كوب من عصير القصب عادة متبعة في مصر



1. لنهر النيل مكانته في ثقافة أهل مصر وإدراكهم للأمور. عندما يريدون الكلام عن الثورة المصريّة يستخدمون نهر النيل لشرح وجهة نظرهـــم فيقولون إنّ الثورة المصريّة لن تتحوّل إلى طغيان كبير كما أنَّ نهر النيل لا يطغى أبدا.



2. الســـوق المصري ـ ترى النســـاء في الشـــوارع والأماكن العامّة معظمهنّ محجبات



1. أيقونات مصر الأثريّة في الســـوق بجانب مقام رأس الحســـين(عليه السلام)



2. أهرام مصر والصخور الّتي استخدمت لبنائها

مزار الحاج رضوان مسـؤول فريق الحفظ في السفارة الإيرانيّة في بيروت، الّذي إستشهد في الهجوم الارهابيّ العام 1392. رجل عظيم ومحبّب لم يوفّر جهدا في سبيل ضمان الأمن كلّما ذهبت إلى بيروت.



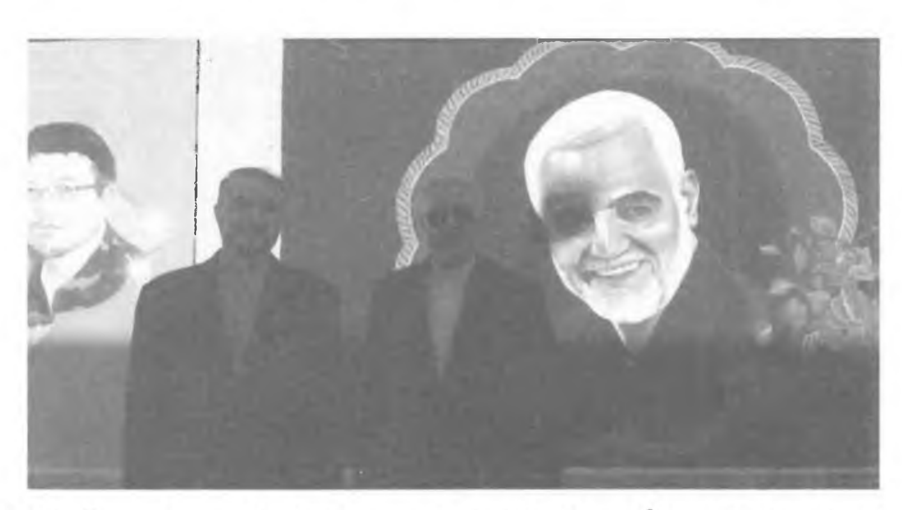
1. في ذكرى شـــهداء الهجوم الإرهابيّ على الســـفارة الإيرانيّة في لبنان، ضاحية بيروت



2. ذكرى شهداء الهجوم الإرهابيّ على السفارة الإيرانيّة في لبنان، بحضور المسؤولين السياسيين والدينيين



1. وقفة مع الصحافيين بعد الهجوم الإرهابيّ على السفارة الإيرانيّة في بيروت. أســرعتُ إلى لبنان قادمًا من موسكو. كان محمد صادق فضلي معاون السفير ينشط ميدانيًا بجانب بقيّة الزملاء في السفارة.



2. بقي المكان الأخير المخصص لصور شهداء الحرم الزينبيًّ خاليا لمدّ طويلة من الزمن. فكان من نصيب اللواء سـليماني، مباشرة في مقابل الضريح وعينيه على الحرم.



1.مكتبـــي في وزارة الخارجيّة. في الأيـــام الأولى بعد الثورة حين استلم الشـــهيد رجائي إدارة وزارة الخارجيّة شغل هذه الغرفة فأخرج سجادة الحرير منها. بقيت كرسيّ الشهيد رجائي في غرفتي حتّى آخر أيام عملي، وقد اتّبع المرحوم شـــيخ الإسلام والسيد الدكتور صالحي في مدّة وزارتهما هذه الســـنّة لتبقى كرسيّ الشهد رجائي في مكان مناســـب، على مرأى من الدبلوماســـيين الأجانب إحياءً لذكر الشهيد وأيقونةً لبساطة العيش ولكنّها نقلت إلى المستودع في وقت لاحق!



القائد حسين همداني من أصدقاء الاساسيين للحاج قاسم سليماني في الدفاع عن حرم السيدة زينب والسيدة رقية عليها السلام وفي محاربة الإرهاب في سوريا... استشهد في حلب في شهر تشرين أول 1394 هـ .ش.



أمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى- القاهرة



مراكز الفكر الروسية، في منطقة غرب آسيا - موسكو 1395 هـش



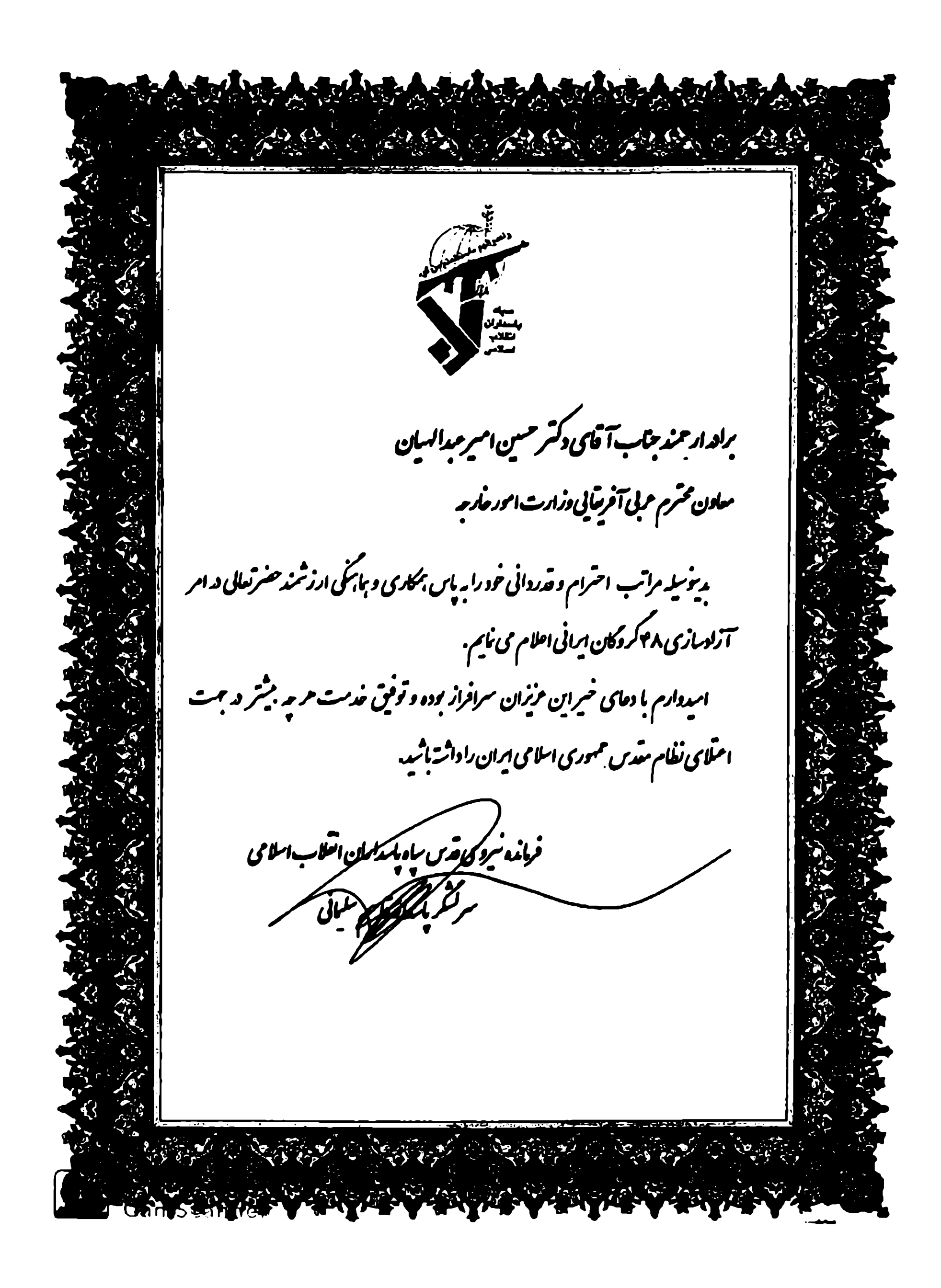
بن علوي وزير خارجية سلطنة عمان - مسقط - 1394 هـش



الحضور الأخير لحسين شيخ الإسلام العزيز في مؤتمر مشترك، بعد ذلك لم يمهله فايروس كرونا الخبيث. كان صوت المقاومة. لم أزل في جميع مراحل تحوّلات المنطقة أستفيد من تجاربه وإرشاداته.



بجانب السيّدة زينب سليماني ابنة اللواء سليماني الكريمة الّتي تحمل جينات أبيها، في ختام الاجتماع الّذي عقدناه بشأن برامج مراسم الذكرى السنويّ لشهادته.



سپاه پاسداران انقلاب اسلامی

برادر ارجمند جناب آقای دکتر حسین امیرعبداللهیان

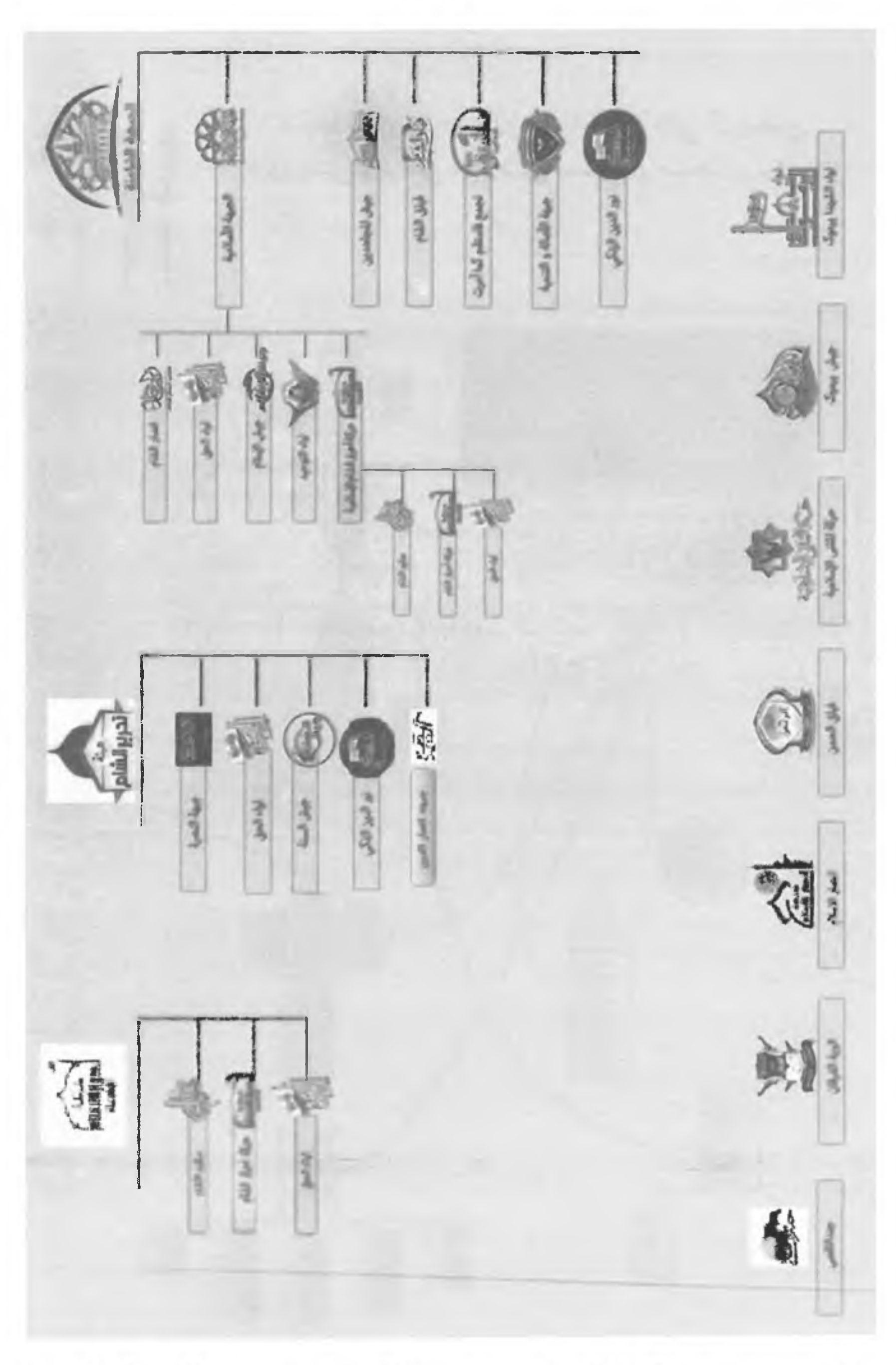
معاون محترم عربی آفریقایی وزارت امور خارجه

بدینوسیله مراتب احترام و قدردانی خود را به پاس همکاری و هماهنگی ارزشمند حضرتعالی در امر آزادسازی ۴۸ گروگان ایرانی اعلام می نمایم.

امیدوارم با دعای خیر این عزیزان سرافراز بوده و توفیق خدمت هر چه بیشتر در جهت اعتلای نظام مقدس جمهوری اسلامی ایران را داشته باشید.

فرمانده نیروی قدس سپاه پاسداران انقلاب اسلامی

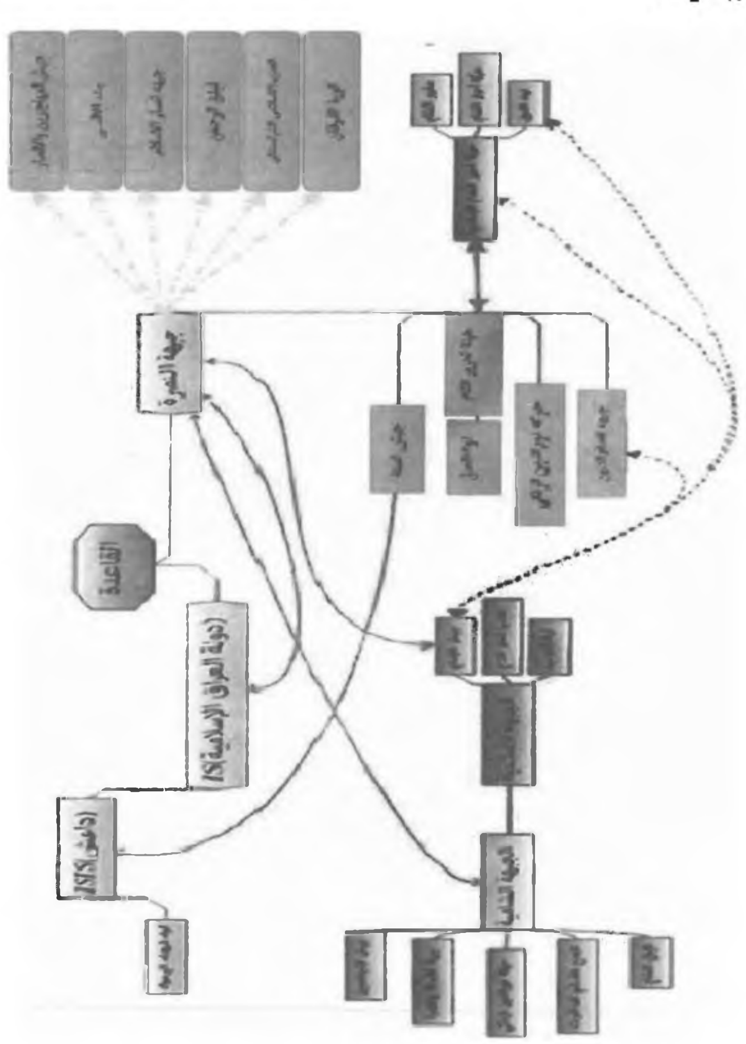
سرلشکر پاسدار قاسم سلیمانی



وثائــق ونماذج العلاقــة التنظمية للمجموعــات الإرهابية وبعض المعارضين المسلمين



مستندات و نمودارهای ارتباط سازمانی گروه‌های تروریستی و برخی معارضین مسلح در صفحات پیش رو





محضر جلسة رقم (١)

اللجنة الأمنية

إنشـــاء اللجنة الأمنية لجيش الفتح في مدينة إدلب، المؤلفة من جميع الفصائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز المستضعفين المظلومين مذل الظلمة المجرمين نحمده أن أقر أعين المسلمين بالفتوحات الأخيرة في سوريا

حيث قال : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم

وبعد نعلن نحن الفصائل التالية في حلب وريفها :

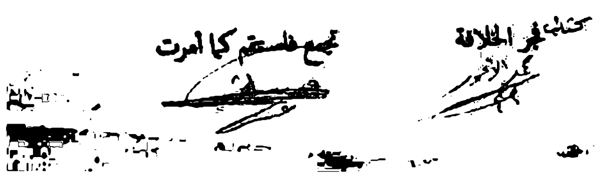
الجبهة الشامية – أحرار الشام - فيلق الشام – كتائب ثوار الشام – جيش الإسلام – فجر الخلافة تجمع فاستقم كما أمرت

عن تشكيل غرفة عمليات فتح حلب راجين المولى عز وجل نصراً مؤزراً وفتحاً قريباً وندعو الفصائل المجاهدة للانضمام لهذه الغرفة

والله ولي التوفيق

الجبهة الشامية　　أحرار الشام　　فيلق الشام　　كتائب ثوار الشام





جيش الإسلام　　كتائب فجر الخلافة　　تجمع فاستقم كما أمرت

تشكيل غرفة عمليات فتح حلب



بسم الله الرحمن الرحيم

((قال تعالى((وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

تم بعون الله تعالى تشكيل غرفة عمليات الجنوب بالتعاون مع غرفة عمليات أهل الشام لصد تقدم قوات الأسد مدعومة بميليشيات لبنانية وعراقية ضمن معركة سيعلمون بإذن الله بمشاركة الفصائل التالية :

1-جيش الشام

2-جيش المجاهدين

3-لواء التوبة

حركة حزم

5-جبهة النصرة

6-جيش المهاجرين والأنصار

7-كتائب مجاهدي ابن تيمية-جبهة الأصالة والتنمية)

8-مجموعات زيدان

9-لواء أحفاد الصحابة

10-الجبهة الإسلامية أحرار الشام

11-جبهة الحق

12-حركة فجر الشام الإسلامية

13-لواء جند الرحمن

علما وتم استبعاد الفصائل التالية وذلك بسبب عدم الالتزام بالرباط والعمل والفصائل التي استبعدت هي

1-اللواء 99(جبهة ثوار سوريا)

2-كتائب آل البيت

3-صقور الشام

4-كتائب محمد الإسلامية

5-لواء التوحيد

ريف حلب الجنوبي
غرفة العمليات

تشكيل غرفة عمليات الجنوب



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

تعلن حركة المثنى الإسلامية

عن بدء معركة

﴿ توحيد الراية ﴾

لاستعادة النقاط التالية من براثن الميليشيات الإيرانية والمرتزقة الشيعة

تل مرعي - تل السرجة - تل العروسة - قرية الدناجي

لفتح الطريق لريف دمشق الغربي وفك الحصار عن مدينة كناكر

والقضاء على المشروع الإيراني الصفوي

ضمن غرفة عمليات حركة المثنى الإسلامية والتي تضم الفصائل التالية

حركة المثنى الإسلامية

كتيبة أنصار السنة كتيبة سعد كتيبة الأمة الواحدة

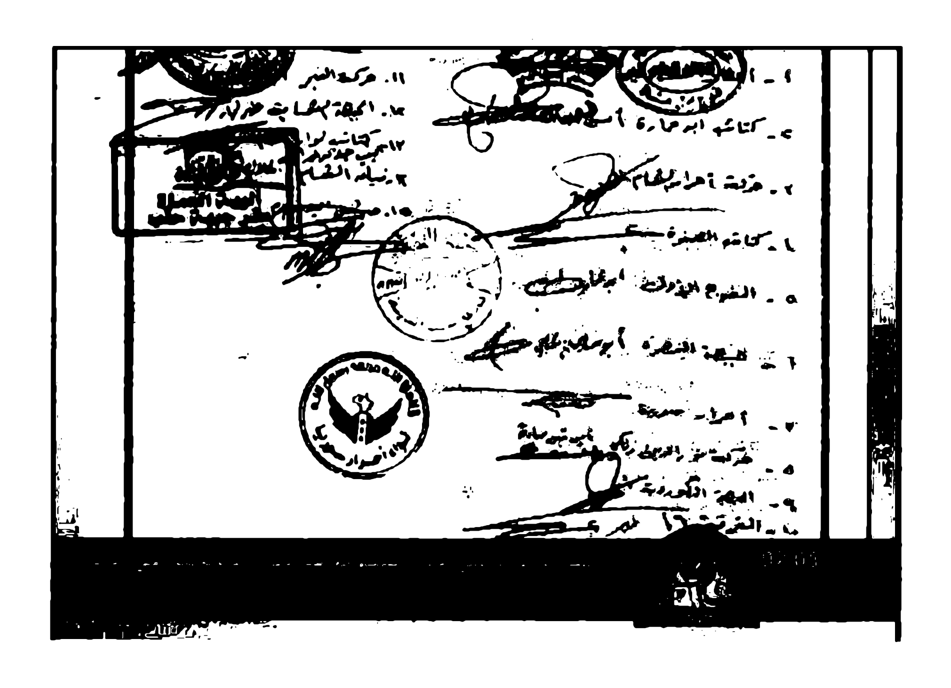
وذلك بالاشتراك مع غرف العمليات التالية

غرفة جبهة النصرة - فجر التوحيد - الجيش الأول - الفيلق الأول

الطريق إلى دمشق - فتح الشام - أحرار الشام

بيان بدء معركة توحيد الراية





٣ - حركة أحرار الشام

٦ - جبهة النصرة

٨ - حركة نور الدين زنكي

١١ - حركة الفجر



٢٤ أبريل ٢٠١٥ م
٢٥ رجب ١٤٣٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

بيان رقم (٣)

صادر عن غرفة عمليات #فتح_حلب

نعلن عن انضمام فصائل أخرى إلى غرفة عمليات فتح حلب

لتصبح الفصائل الآتية جميعها ضمن الغرفة

١- الجبهة الشامية
٢- أحرار الشام
٣- جيش الإسلام
٤- أجناد الشام
٥- كتائب ثوار الشام
٦- تجمع فاستقم كما أمرت
٧- كتائب فجر الخلافة
٨- حركة نور الدين الزنكي
٩- جيش المجاهدين
١٠- جيش السنة
١١- كتائب أبو عمارة
١٢- الفرقة ١٠١
١٣- الفرقة ١٦
١٤- الفرقة ١٣
١٥- لواء الفتح
١٦- لواء السلطان مراد
١٧- لواء فرسان الحق
١٨- لواء صقور الغاب
١٩- لواء الحق
٢٠- ألوية الفرقان
٢١- حركة بيارق الإسلام
٢٢- لواء الحرية
٢٣- حركة بيان
٢٤- لواء شهداء الأتارب
٢٥- لواء السلطان محمد الفاتح
٢٦- جبهة الأصالة والتنمية
٢٧- تجمع العزة
٢٨- لواء أنصار الخلافة
٢٩- لواء صقور الجبل
٣٠- لواء سيف الله
٣١- قوات النخبة

بيان رقم (3) صادر عن غرفة عمليات فتح حلب

صادر عن غرفة عمليات #فتح_حلب

قال الله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا "
نعلن عن انضمام الفصائل التالية إلى غرفة عمليات فتح
حلب تحضيراً للمعركة الكبرى :

- حركة نور الدين الزنكي
- جيش المجاهدين
- جيش السنة
- كتائب أبو عمارة
- الفرقة ١٠١
- الفرقة ١٦
- الفرقة ١٣
- لواء الفتح
- لواء السلطان مراد
- لواء فرسان الحق
- لواء صقور الجبل
- لواء الحق
- ألوية الفرقان
- حركة بيارق الإسلام

الفصائل التي أعلنت انضمامها إلى غرفة عمليات فتح حلب

((قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

تم بعون الله تعالى تشكيل غرفة عمليات الجنوب بالتعاون مع غرفة عمليات أهل الشام لصد تقدم قوات الأسد مدعومة بميليشيات إيرانية وعراقية ضمن معركة (المستعانون بالله) بمشاركة الفصائل التالية :

1-جيش الشام

2-جيش المجاهدين

3-لواء الهوية

4-حركة حزم

5-جبهة النصرة

6-جيش المهاجرين والأنصار

7-(كتائب مجاهدي ابن تيمية-جبهة الأصالة والتنمية)

8-مجموعات زيدان

9-لواء أحفاد الصحابة

10-الجبهة الإسلامية أحرار الشام

11-جبهة العز

12-حركة فجر الشام الإسلامية

13-لواء جند الرحمن

كما وتم استبعاد الفصائل التالية وذلك بسبب عدم الالتزام بالرباط والعمل والفصائل التي استبعدت هي

1-اللواء 69 (جبهة ثوار سوريا)

2-كتائب آل البيت

3-صقور الشام

4-كتائب محمد الإسلامية

5-لواء التوحيد

بيان تشـــكيل غرفة عمليات الجنـــوب بالتعاون مع غرفة عمليات أهل الشام

Embassy Of The Syrian Arab Republic	سفارة الجمهورية العربية السورية
Tehran	طهـران



بسمه تعالی

التاريخ: 2019/4/24

جناب آقای حسین امیر عبد اللهیان

دستیار ویژه محترم رئیس مجلس شورای اسلامی

در امور بین المللی

السلام علیکم و رحمت الله و برکاته؛

در کمال مسرت و امتنان وافر پیام تبریک جنابعالی به مناسبت روز ملی کشورم جمهوری عربی سوریه را دریافت نمودم.

جناب آقای دکتر عزیز و گرامی، اینجانب مراتب قدردانی و سپاس وافر خود را از جنابعالی به خاطر تلاشهای ثمربخش و متمایز شما در پیگیری تحکیم روابط برادرانه میان دو کشور و به اجرا گذاردن راهبرد مشترک در خدمت به جبهۀ مقاومت و مقابله با توطئه های سلطه گرانۀ استکبار، ابراز می دارم. همانطور جنابعالی به خوبی اشاره فرمودید، روابط و همکاری جمهوری عربی سوریه و جمهوری اسلامی ایران طی سال های گذشته بر اساس حسن تفاهم و منافع مشترک روند رو به رشدی را طی کرده است، اینجانب نیز امیدوارم این روابط در پرتو اراده مشترک رهبران دو کشور در تمامی زمینه ها، بویژه همکاری های پارلمانی بیش از پیش گسترش روزافزون یابد.

از درگاه خداوند بلند مرتبت و توانا، سلامت و موفقیت جنابعالی، سعادت و بهروزی نمایندگان مجلس شورای اسلامی، ملت و دولت کشور دوست و برادر جمهوری اسلامی ایران را مسئلت می نمایم.

همراه با احترام و قدردانی وافر.

برادرتان

سفیر جمهوری عربی سوریه در تهران

عدنان حسن محمود

رسالة من السفير السوري في طهران



United Nations — S/RES/2254 (2015)

Security Council

Distr.: General
18 December 2015

Resolution 2254 (2015)

Adopted by the Security Council at its 7588th meeting, on 18 December 2015

The Security Council,

Recalling its resolutions 2042 (2012), 2043 (2012), 2118 (2013), 2139 (2014), 2165 (2014), 2170 (2014), 2175 (2014), 2178 (2014), 2191 (2014), 2199 (2015), 2235 (2015), and 2249 (2015) and Presidential Statements of 3 August 2011 (S/PRST/2011/16), 21 March 2012 (S/PRST/2012/6), 5 April 2012 (S/PRST/2012/10), 2 October 2013 (S/PRST/2013/15), 24 April 2015 (S/PRST/2015/10) and 17 August 2015 (S/PRST/2015/15),

Reaffirming its strong commitment to the sovereignty, independence, unity and territorial integrity of the Syrian Arab Republic, and to the purposes and principles of the Charter of the United Nations,

Expressing its gravest concern at the continued suffering of the Syrian people, the dire and deteriorating humanitarian situation, the ongoing conflict and its persistent and brutal violence, the negative impact of terrorism and violent extremist ideology in support of terrorism, the destabilizing effect of the crisis on the region and beyond, including the resulting increase in terrorists drawn to the fighting in Syria, the physical destruction in the country, and increasing sectarianism, and underscoring that the situation will continue to deteriorate in the absence of a political solution,

Recalling its demand that all parties take all appropriate steps to protect civilians, including members of ethnic, religious and confessional communities, and stresses that, in this regard, the primary responsibility to protect its population lies with the Syrian authorities,

Reiterating that the only sustainable solution to the current crisis in Syria is through an inclusive and Syrian-led political process that meets the legitimate aspirations of the Syrian people, with a view to full implementation of the Geneva Communiqué of 30 June 2012 as endorsed by resolution 2118 (2013), including through the establishment of an inclusive transitional governing body with full executive powers, which shall be formed on the basis of mutual consent while ensuring continuity of governmental institutions,

Encouraging, in this regard, the diplomatic efforts of the International Syria Support Group (ISSG) to help bring an end to the conflict in Syria,

15-22539 (E)
1522539

Please recycle 

القرار 2254

إن مجلس الأمن، إذ يشـــير إلى قراراته 2042 (2012) و2043 (2012) و2118 (2013) و2139 (2014) و2165 (2014) و 2170 (2014) و2175 (2014) و2178 (2014)

و2191 (2014) و2199 (2015) و2235 (2015) و2249 (2015) والبيانات الرئاســـية المؤرخة 3 آب 2011 و21 آذار 2012 و5 نيســـان 2012 و2 تشرين الأول 2013 و24 نيسان 2015 و17 آب 2015

وإذ يؤكـد من جديـد التزامه القوي بسـيادة الجمهورية العربية السورية واستقلالها ووحدتها وسلامتها، وبمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه،

وإذ يعرب عن أشـد القلق إزاء اسـتمرار معاناة الشعب السوري، وتدهور الحالة الإنسانية الأليمة، واستمرار الصراع الدائر والعنف الوحشي المتواصل الذي يتسـم به، والأثر السـلبي للإرهـاب والأيديولوجية المتطرفـة العنيفة في دعم الإرهاب، وما تخلفه الأزمة من أثر مزعزع للاسـتقرار في المنطقة وخارجها، بما يشـمل الزيادة المترتبة على ذلك في أعداد الإرهابيين الذين يجتذبهم القتال في سـورية، والدمار المادي الذي لحق بالبلد، وتزايد النزعة الطائفية، وإذ يؤكد أن الحالة ستستمر في التدهور في ظل غياب الحل السياسي،

وإذ يشـير إلى مطالبته بأن تتخذ جميـع الأطراف كل الخطوات الملائمة لحماية المدنيين، بمن فيهم أفراد الجماعات العرقية والدينية والمذهبية، وإذ يؤكد في هذا الصدد أن السـلطات السـورية تتحمل المسؤولية الرئيسية عن حماية سكانها،

وإذ يكرر التأكيد على أنه ما من حل دائم للأزمة الراهنة في سورية إلا من خلال عملية سياسـية جامعة بقيادة سـورية تلبي التطلعات المشروعة للشعب السوري، بهدف التنفيذ الكامل لبيان جنيف المؤرخ 30 حزيران 2012، الذي أيده القرار 2118 (2013)، وذلك بسـبل منها إنشـاء هيئة حكم انتقالية جامعة تخوّل سلطات تنفيذية كاملة، وتعتمد في تشـكيلها على الموافقة المتبادلة، مع كفالة اسـتمرارية المؤسسات الحكومية،

وإذ يشجع، في هذا الصدد، الجهود الدبلوماسية التي يبذلها الفريق الدولي لدعم سوريا للمساعدة على إنهاء النزاع في سورية،

وإذ يثنـــي على التزام الفريق الدولي بالبيان المشـــترك عن نتائج المحادثات المتعددة الأطراف بشأن سوريا الصادر في فيينا بتاريخ 30 تشـــرين الأول 2015 وبيان الفريق الدولي المؤرخ 14 تشرين الثاني 2015 بكفالة الانتقال السياسي تحت قيادة سورية

وإذ يشـــدد على الحاجة الملحة لأن تعمـــل جميع الأطراف في سورية بشكل حثيث وبنّاء في سبيل تحقيق هذا الهدف،

وإذ يحث جميع الأطراف في العملية السياســـية التي تتولى الأمم المتحدة تيسيرها على الالتزام بالمبادئ التي حددها الفريق الدولي، بما في ذلك الالتزام بوحدة ســـوريا واســـتقلالها وسلامتها الإقليمية وطابعها غير الطائفي، وكفالة استمرارية المؤسسات الحكومية، وحماية حقوق جميع الســـوريين، بغض النظر عن العرق أو المذهب الديني، وضمان وصول المساعدات الإنسانية إلى جميع أنحاء البلد،

وإذ يشـــجع على مشـــاركة المرأة على نحو هـــادف في العملية السياسية التي تتولى الأمم المتحدة تيسيرها من أجل سورية،

وإذ يضع في اعتباره الهدف المتمثل في جمع أوسع نطاق ممكن من أطياف المعارضة، باختيار السوريين، الذين سيقررون من يمثلهم فـــي المفاوضات ويحددون مواقفهم التفاوضية، وذلك حتى يتســـنى للعملية السياسية أن تنطلق، وإذ يحيط علما بالاجتماعات التي عقدت في موسكو والقاهرة وبما اتخذ من مبادرات أخرى تحقيقا لهذه الغاية، وإذ يلاحظ على وجه الخصوص جدوى اجتماع الرياض، المعقود في الفترة مـــن 9 إلى 11 كانون الأول 2015، الذي تســـهم نتائجه في التمهيد لعقد مفاوضات تحت رعاية الأمم المتحدة بشأن التوصل إلى تسوية سياسية للنزاع، وفقا لبيان جنيف وبيان فيينا، وإذ يتطلع إلى قيام المبعوث الخاص للأمين العام إلى سورية بوضع اللمسات الأخيرة على الجهود المبذولة تحقيقا لهذه الغاية،1

1. يؤكد من جديد تأييده لبيان جنيف المؤرخ 30 حزيران 2012، ويؤيد بيان فيينا في إطار السعي إلى كفالة التنفيذ الكامل لبيان جنيف، كأساس لانتقال سياسي بقيادة سورية وفي ظل عملية يمتلك السوريون زمامها من أجل إنهاء النزاع في سوريا، ويشدد على أن الشعب السوري هو من سيقرر مستقبل سوريا؛

2. يطلب إلى الأمين العام أن يقوم، من خلال مساعيه الحميدة وجهود مبعوثه الخاص إلى سوريا، بدعوة ممثلي الحكومة السورية والمعارضة إلى الدخول على وجه السرعة في مفاوضات رسمية بشأن عملية انتقال سياسي، مستهدفا أوائل كانون الثاني 2016 كموعد لبدء المحادثات، عملا ببيان جنيف وتماشيا مع بيان الفريق الدولي المؤرخ 14 تشرين الثاني 2015، بهدف التوصل إلى تسوية سياسية دائمة للأزمة؛

3. يقر بدور الفريق الدولي باعتباره المنبر الرئيسي لتيسير الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة لتحقيق تسوية سياسية دائمة في سوريا؛

4. يعرب عن دعمه، في هذا الصدد، لعملية سياسية بقيادة سورية تيسرها الأمم المتحدة وتقيم، في غضون فترة مستهدفة مدتها ستة أشهر، حكما ذا مصداقية يشمل الجميع ولا يقوم على الطائفية، وتحدد جدولا زمنيا وعملية لصياغة دستور جديد، ويعرب كذلك عن دعمه لانتخابات حرة ونزيهة تجرى، عملا بالدستور الجديد، في غضون 18 شهرا تحت إشراف الأمم المتحدة، بما يستجيب لمتطلبات الحوكمة وأعلى المعايير الدولية من حيث الشفافية والمساءلة، وتشمل جميع السوريين الذين تحق لهم المشاركة، بمن فيهم أولئك الذين يعيشون في المهجر، على النحو المنصوص عليه في بيان الفريق الدولي

المؤرخ 14 تشرين الثاني 2015؛

5. يسلّم بالصلة الوثيقة بين وقف إطلاق النار وانطلاق عملية سياسية موازية، عملا ببيان جنيف لعام 2012، وبضرورة التعجيل بالدفع قدما بكلتا المبادرتين، ويعرب في هذا الصدد عن تأييده لوقف إطلاق النار في جميع أنحاء سوريا، وهو ما التزم الفريق الدولي بدعمه والمساعدة على تنفيذه، على أن يدخل حيز النفاذ بمجرد أن يخطو ممثلو الحكومة السورية والمعارضة الخطوات الأولى نحو انتقال سياسي برعاية الأمم المتحدة،

استنادا إلى بيان جنيف، على النحو المنصوص عليه في بيان الفريق الدولي المؤرخ 14 تشرين الثاني 2015، على أن يتم ذلك على وجه السرعة؛

6. يطلب إلى الأمين العام أن يقود، من خلال مكتب مبعوثه الخاص وبالتشاور مع الأطراف المعنية، الجهود الرامية إلى تحديد طرائق وشروط وقف إطلاق النار، ومواصلة التخطيط لدعم تنفيذ وقف إطلاق النار، ويحث الدول الأعضاء، ولا سيما أعضاء الفريق الدولي لدعم سوريا، على دعم وتسريع كل الجهود المبذولة لتحقيق وقف لإطلاق النار، بسبل منها الضغط على جميع الأطراف المعنية للموافقة على وقف إطلاق النار والتقيد به؛

7. يشدد على الحاجة إلى آلية لرصد وقف إطلاق النار والتحقق منه والإبلاغ عنه، ويطلب إلى الأمين العام أن يقدم إلى مجلس الأمن تقريرا عن الخيارات المتاحة بشأن إنشاء آلية تحظى بدعم المجلس، وذلك في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز شهرا من تاريخ اتخاذ هذا القرار، ويشجع الدول الأعضاء، بما في ذلك أعضاء مجلس الأمن، على تقديم المساعدة، بسبل

منها الخبرة الفنية والمساهمات العينية، لدعم هذه الآلية؛

8. يكرر دعوته الواردة في القــرار 2249 (2015) والموجهة إلى الدول الأعضاء لمنع وقمع الأعمال الإرهابية التي يرتكبها على وجه التحديد داعش وجبهة النصرة، وســائر الأفراد والجماعات والمؤسســات والكيانات المرتبطين بهمــا أو بتنظيم القاعدة وغيرها من الجماعات الإرهابية، على النحو الذي يعينه مجلس الأمــن، وعلى نحو ما قد يتفق عليه لاحقا الفريق الدولي لدعم سوريا ويحدده مجلس الأمن، وفقا لبيان الفريق الصادر في 14 تشــرين الثاني 2015، والقضاء على الملاذ الآمن الذي أقامته تلك الجماعات على أجزاء كبيرة من ســوريا، ويلاحظ أن وقف إطلاق النار المذكور أعلاه لن يطبق على الأعمال الهجومية أو الدفاعية التي تنفذ ضد هؤلاء الأفراد والجماعات والمؤسســات والكيانــات، على النحو المنصوص عليه في بيان الفريق الدولي لدعم سوريا الصادر في 14 تشرين الثاني 2015؛

9. يرحــب بالجهود التــي بذلتها حكومة الأردن للمســاعدة في إيجاد فهم مشــترك داخل الفريق الدولي لدعم سوريا للأفراد والجماعــات الذين يمكن أن يحــددوا بوصفهم إرهابيين وهو سينظر على وجه السرعة في التوصية التي قدمها الفريق لغرض تحديد الجماعات الإرهابية؛

10. يشــدد على ضرورة قيام جميع الأطراف في ســوريا باتخاذ تدابير لبناء الثقة من أجل المســاهمة في فرص القيام بعملية سياسية وتحقيق وقف دائم لإطلاق النار، ويدعو جميع الدول إلى استخدام نفوذها لدى حكومة سوريا والمعارضة السورية من أجل المضي قدما بعملية الســلام وتدابير بناء الثقة والخطوات الرامية إلى التوصل إلى وقف لإطلاق النار؛

11. يطلـــب إلى الأمين العام أن يقـــدم تقريرا إلى المجلس، في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز شـــهرا واحدا من تاريخ اتخاذ هذا القرار، عن الخيارات المتاحة للقيام بالمزيد من تدابير بناء الثقة؛

12. يدعو الأطراف إلى أن تتيح فورا للوكالات الإنســانية إمكانية الوصول السريع والمأمون وغير المعرقل إلى

جميع أنحاء سوريا ومن خلال أقصر الطرق، وأن تسمح فورا بوصول المســاعدات الإنســانية إلى جميع من هم في حاجة إليها، لا ســـيما في جميع المناطق المحاصرة والتـــي يصعب الوصول إليها ، ويدعو دول الفريق الدولي لدعم ســـوريا إلى اســـتخدام نفوذها على الفور تحقيقا لهذه الغايات، ويطالب بالتنفيذ الكامل للقرارات 2139 و2165 و2191 وأي قرارات منطبقة أخرى؛

13. يطالب بأن توقف جميع الأطـــراف فورا أي هجمات موجهة ضـــد المدنيين والأهداف المدنية في حـــد ذاتها، بما في ذلك الهجمـــات ضد المرافق الطبية والعامليـــن في المجال الطبي، وأي استخدام عشوائي للأسلحة، بما في ذلك من خلال القصف المدفعي والقصف الجوي، ويرحب بالتزام الفريق الدولي لدعم سوريا بالضغط على الأطراف في هذا الصدد، ويطالب كذلك بأن تتقيـــد جميع الأطراف فورا بالتزاماتها بموجب القانون الدولي، بما في ذلك القانون الدولي الإنســـاني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، حسب الاقتضاء؛

14. يؤكد الحاجة الماسة إلى تهيئة الظروف المواتية للعودة الآمنة والطوعية للاجئين والنازحين داخليـــا إلى مناطقهم الأصلية وتأهيل المناطق المتضـــررة، وفقا للقانون الدولي، بما في ذلك الأحكام الواجبة التطبيق من الاتفاقية والبروتوكول المتعلقين

بمركز اللاجئين، وأخذ مصالح البلدان التي تستضيف اللاجئين بالحسبان، ويحث الدول الأعضاء على تقديم المساعدة في هذا الصدد، ويتطلع إلى مؤتمر لندن بشأن سورية الذي سيعقد في شباط 2016 وتســتضيفه المملكة المتحدة وألمانيا والكويت والنرويج والأمم المتحدة، بوصفه إسهاما هاما في هذا المسعى، ويعرب كذلك عن دعمه لتعمير سوريا وتأهيلها بعد انتهاء النزاع؛

15. يطلب إلى الأمين العام أن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن في غضــون 60 يوما عن تنفيذ هذا القرار، بما في ذلك عن التقدم المحرز في العملية السياسية التي تيسرها الأمم المتحدة؛

16. يقرر إبقاء المسألة قيد نظره الفعلي.

الفهرس


دار
المحجة
البيضاء
للطباعة و النشر و التوزيع